جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربية وآدابها

رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسي

إعداد الطالبة
منال موسى أحمد إسماعيل

إشراف

د . حسن فليفل
"أستاذ الأدب الأندلسي المشارك "

قدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

1434هـ / 2013 م

نوقشت هذه الرسالة يوم الأحد بتاريخ 21 / 7 / 2013 م

الموافق 13 / رمضان / 1434 هـ وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة : التوقيع:

1 ــ د. حسن قليفل مشرفا ورئيسا .....

2 ــ د. جمال غيظان ممتحنا خارجيا .....

3 ــ د. حسام التميمي ممتحنا داخليا .....

إهداء

إلى صديقي المخلص، زوجي الحبيب "ماهر" الذي كان سببا في وصولي إلى هذا المقام .

إلى "أمي وأبي" اللذين شدّا من أزري ورفعا من همّتي وعزيمتي ؛ في سبيل إنجاز هذا العمل .

إلى عمتي "أم زوجي" التي كانت بمثابة الأم الحنون.

إلى أختي الوحيدة "إيمان" التي افتقدتها دوما ، وأمدّتني بالأمل في أوج يأسي

إلى "إخواني" أحبّائي .

إلى صديقاتي "نسرين وأسماء وهناء وإيمان وأم عنان" .

إلى أحلى نسمات هبّت بشذاها في حياتي ، بناتي

"رغد ورؤى وسدن" .

أهدي هذا العمل

شكر

أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان والامتنان ، من الشمعة التي أضاءت دربي وأنارت ظلمات جهلي " الدكتور المشرف حسن فليفل " الذي لم يبخل بعلمه علي ، وأعطاني الكثير من الإرشاد والتوجيه في سبيل إنجاز عملي هذا .

منال موسى أحمد إسماعيل

المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

إهداء.....ت

شكر .....ث

المحتويات.....ج

ملخص بالعربية .....ذ

مقدمة.....ر

الفصل الأول: الندب في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيّين .....(1ــ 43)

أولا: البكاء **2**

ثانيا: ذكر سبب الوفاة 12

ثالثا: وصف ساعات الموت والوداع.....18

رابعا: الأماني المستحيلة في الندب 23

أ ــ رجاء الخلف 23

ب ــ فدية الفقيد 24

خامسا: اليأس من الحياة 27

سادسا: الصدمة في المصيبة 33

سابعا : الوفاء والجزع..... 35

ثامنا: الشكوى والسخط..... 40

الفصل الثاني: التأبين في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيين .....(45 ــ 77)

أولا: الأخلاق الحميدة 46

ثانيا: العِلْمُ والتديّن 59

ثالثا: تفضيل المرثي على غيره في صفاته 64

رابعا: التأبين المستحيل 67

خامسا: تأبين القدْر والمكانة 68

سادسا: الصفات الخَلْقيّة 71

سابعا: الدعاء 74

الفصل الثالث: الحياة والموت والآخرة .....(78 ــ112)

أولا: حديث الآباء والأبناء الأندلسيين عن الحياة الدنيا 79

أ ــ مساوئ الدنيا وصفاتها المذمومة 79

ب ــ الدعوة إلى الحذر من الدنيا وعدم الغرور بها 85

ثانيا: حديث الآباء والأبناء الأندلسيين عن الموت 90

أ ــ الموت قدر ووقت معلوم لا مفرّ منه 91

ب ــ الموت نهاية كل مخلوق والكل فيه سواسية 94

ج ــ الحديث عن أصل الإنسان ونهايته والحكمة من خلقه وموته..97

ثالثا: حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الآخرة وعزاء الشعراء لأنفسهم 102

أ ــ ما بعد الموت 102

ب ــ العزاء 105

الفصل الرابع: الدراسة الفنية لشعر رثاء الأبناء والآباء الأندلسيّين.....(113ــ168)

أوّلاــ بنية القصيدة 115

أ ــ مطلع القصيدة ومقدّمتها 115

ب ــ خاتمة القصيدة 119

ثانيا ــ ظواهر أسلوبية 122

1 ــ أسلوب النداء والمخاطبة 122

2 ــ توظيف الموروث..... 123

3 ــ أسلوب الالتفات 129

4ــأسلوب الحكاية 130

5 ــ الحوار 131

6 ــ بروز بعض المحسنات البديعية.....133

ثالثا ــ الصورة الفنّية 136

1 ــ الصورة الحسّية 136

أ ــ الصورة البصريّة 137

1ــ الحركة وتداخلها في الصورة البصرية..... 137
2ــ اللون ودلالاته في شعر الرثاء 139
ب ــ الصورة الشمّيّة 142
ج ــ الصورة الذوقيّة 143
د ــ الصورة السمعيّة 145
هـ ــ الصورة اللّمسيّة 146
2 ــ الصورة العقليّة 147
3ــ الصورة الإيحائيّة 150

رابعاــ الموسيقى 152
أ ــ الموسيقى الخارجيّة 152
1 ــ الوزن 152
2 ــ القافية 156
ب ــ الإيقاع الداخلي: 161
1 ــ التكرار..... 161
2 ــ التجنيس 163
3 ــ التصريع 165
4 ــ الترصيع 166
5 ــ حسن التقسيم 167

خاتمة 169
ملحق.....(171ــ 184)
الفهارس 185
فهرست الآيات القرآنية الكريمة..... 186
فهرست الأحاديث النبوية الشريفة.....188
فهرست الأعلام 189
فهرست الأماكن..... 194

فهرست القوافي 195
المصادر والمراجع.....206
ملخص باللغة الإنجليزية 225

ملخص باللغة العربية

تناولت هذه الدراسة الرثاء في الشعر الأندلسي الموجّه للأبناء والآباء من عصر الولاة حتى نهاية عصر بني الأحمر (95 - 897)هـ ، تحت عنوان " رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسي" ، وجاءت الدراسة في ثلاثة موضوعات رئيسة،كل موضوع منها شكّل فصلا كاملا، الندب والتأبين والحديث عن الحياة الدنيا والموت والآخرة ، مثّل الندب ومعانيه الفصل الأول ، وقد عرضت فيه أحزان الشعراء والمواقف التي مرّوا بها في ندب أبنائهم وآبائهم ، بتحليل أشعارهم ومعانيها والموازنة بين الطرفين وبيان كل ما قد يمثل الندب في رثاء الابن أو الأب الأندلسي .

أمّا الفصل الثاني: فحمل معاني التأبين التي جاء بها شعراء الأندلس في رثاء أبنائهم وآبائهم من حديث عن مزايا جعلت الفقيد أهلا بشرف التأبين وسببا لفخر الراثي وافتقاده لخصال ظلّت غصّة حاول تزيينها بأحلى الصفات عبر أشعاره.

أمّا الفصل الثالث : فقد ركز على المعاني المتناولة في غرض الحديث عن الحياة الدنيا والموت والآخرة وأثر كل منها على نفسية الراثي ، وكيف كانت سببا في عزائه وتقبّل محنته بما فيها من أسباب تصوّر حقيقة الحياة و الموت وماهيتها ، وما في الآخرة من أحداث قد تكون كافية لوعظ الشعراء والنظر إلى المدى البعيد وعدم اقتصار تفكيرهم على مصاب الدنيا .

ومن هنا ، فإنّ هذه الدراسة تصوّر تنقل الشعراء في عواطفهم من الندب إلى التأبين إلى تذكّر الحياة والموت والآخرة وتدرّج أحداث محنتهم ، إضافة إلى موازنة بين المعاني الموضوعية بين رثاء الأبناء ورثاء الآباء إن وجدت، سواء أكان ذلك في التشابه أم الاختلاف .

أمّا الفصل الأخير: فقد خُصّص لتعرّف الخصائص الفنية لشعر الدراسة والتعمق في قدرة الشعراء في التعبير عن أفكارهم ومعانيهم عبر بيان مزايا قصائدهم الرثائية وأساليبهم المتبعة وحسّهم الموسيقي وصورهم الشعرية .

مقدمة

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله ، أمّا بعد :

فقد تنوّع الرثاء في الشعر العربي ، واحتلّ مكانة رفيعة بين الأغراض الشعرية ، وتعدّدت أنواعه باختلاف المرثي ، فجاء في حُللٍ متنوعة حزينة ،ولمّا كان الرثاء من أكثر الأغراض الشعرية مسّا بمشاعر النفس الإنسانية الدفينة ، فقد جاءت هذه الدراسة لتتخصص بنوعين من الرثاء في الفترة الأندلسية ككل ، لتحمل عنوان : رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسي ؛ رغبة مني بتعرّف عناصر هذا الشعر ومزاياه ومعانيه المختلفة ، والتعمق في الأغراض الرئيسة للرثاء ومعانيه الفرعية المتعلقة بالرثاء الشخصي ، البعيد عن أشكال التكلف والتعقيد ، عبر رثاء الأبناء والآباء ، وقد احتوت الدراسة ما قال الآباء في أبنائهم الذكور والإناث، بينما اقتصرت على رثاء الأبناء لآبائهم فقط دون أمهاتهم ؛وذلك لقلة ما وجدت من مادة شعرية متعلقة برثاء الأمهات، مع الحرص على إدراك المزايا الموضوعية التي تفرّد بها كل طرف من الدراسة وبيان ما تشابه بينهما وكيفية التشابه والاختلاف ، لننعم النظر في رثاء الأصل للفرع ورثاء الفرع للأصل ،وتكشّف حقائق هذين النوعين من الرثاء بالجمع بينهما في دراسة واحدة .

وفي حدود علمي وبعد البحث مطوّلا ، لم أعثر على دراسة متخصّصة في هذا الموضوع ، وكل ما وجدت دراسات جزئية تناولت رثاء الآباء أو الأبناء بشكل مفرد وبطريقة مختلفة ؛ لأنّ الهدف مختلف ،إذ فصلوا بين رثاء الآباء والأبناء وحرصوا على سرد الأفكار المتناولة وعرضها دون وجود هدف لذلك . ومن هذه الدراسات : رسالة ماجستير بعنوان : الرثاء في الأندلس "عصر ملوك الطوائف " لفدوى القاسم ، ورسالة بعنوان : الرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين لمهدي عواد الشموط ، ورسالة بعنوان : شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر لفاطمة مفلح ، ورسالة أخرى بعنوان: رثاء المرأة في الشعر الأندلسي ، إضافة لدراسة مخيمر صالح بعنوان: رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري ، وأفدت منها جميعا في أخذ فكرة واضحة عمّا تحدثوا من أمور ومن تناولوا

من الشعراء ، لإدراك ما سيكون في دراستي وتجنب التكرار، إلا في مواضع كان لا بدّ لي من الإشارة إلى الأفكار نفسها في بيان العديد من المعاني .

وقد اتّبعت في الدراسة المنهج التحليلي ، إذ قمت بجمع الأشعار من مصادرها وتحليل معانيها وأفكارها والموازنة بين رثاء الآباء لأبنائهم ورثاء الأبناء لآبائهم عبر الدراسة الموضوعية التي ضمّت الفصول الثلاثة الأولى ، إضافة إلى تحليل الخصائص الفنية لشعر الطرفين في فصل رابع ، تعمّقت عبره في بنية القصيدة واللغة والأسلوب والموسيقى والصورة الفنية.

وجاءت الدراسة في أربعة فصول : أمّا الفصل الأول ، فهو بعنوان : الندب في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيين ، وضّحت فيه معاني الندب المتناولة ،إذ قسّمتها إلى أحد عشر معنى رئيسا،حاولت فيها إبراز فجيعة الطرفين ومرارتها وبيان التشابه والاختلاف في المعاني ، وما تفرّد فيه كل طرف عن الآخر ، وقد كانت المعاني الرئيسة كالآتي : البكاء ، ذكر سبب الوفاة ، وصف ساعات الموت والوداع ، الأماني المستحيلة في الندب ، اليأس من الحياة، الصدمة في المصيبة ، الوفاء والجزع ، الشكوى والسخط .

وجاء الفصل الثاني بعنوان : التأبين في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيين ، بيّنت فيه أهم المعاني التي حرص الطرفان على تأبين الفقيد بها وإبرازها ، ومزايا فخرهم وأسباب التوجه إليها والفرق بين الطرفين ، وقد قسّمتها إلى سبعة محاور رئيسة ،هي : الأخلاق الحميدة ، العِلْم والتديّن ، تفضيل المرثي على غيره في صفاته ، التأبين المستحيل ، تأبين القدْر والمكانة ، الصفات الخَلْقية ، الدعاء .

وحمل الفصل الثالث عنوان : الحياة والموت والآخرة ، و قسّمته إلى ثلاثة محاور رئيسة ، كان أولها : حديث الآباء والأبناء الأندلسيين عن الحياة الدنيا ، بما فيها من مساوئ ومن صفات مذمومة ، ودعوة إلى الحذر من الدنيا وعدم الغرور بها . وثانيها : حديث الآباء والأبناء الأندلسيين عن الموت ، وضّحت فيه المعاني المتناولة في حديثهم عن الموت . وثالثها : حديث الآباء والأبناء الأندلسيين عن الآخرة وعزاء الشعراء لأنفسهم ، بيّنت فيه ما تناولوا من أحداث يوم القيامة، وكيف استطاع الشعراء تخفيف مصابهم بالعديد من الأمور التي هوّنت مصابهم .

أمّا الفصل الرابع ، فكان بعنوان :الدراسة الفنية لشعر رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسي، تعمّقت عبره في الخصائص الفنية لشعر الدراسة ، وقسّمته إلى أربعة محاور رئيسة : بنية القصيدة وما فيها من مطلع ومقدمة وخاتمة، وظواهر أسلوبية ، وضحت فيها أهم الأساليب التي اعتمدها الشعراء في رثائهم ، كان أبرزها :أسلوب الحوار والنداء وتوظيف الموروث والتضمين والالتفات والمحسنات البديعية ، وكانت الصورة الشعرية ثالث المحاور الرئيسة في هذا الفصل : وتقسّمت بين الصورة الحسية بأنواعها ، والصورة العقلية والصورة الإيحائية . وأخيرا الموسيقى ، بما فيها من موسيقى خارجية تمثلت بالوزن والقافية ، إيقاع داخلي ضمّ : التكرار والتجنيس والتصريع والترصيع وحسن التقسيم .

وقد ختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصّلت إليه من نتائج ،وفهرس للمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة وملحق عرّفت فيه بشعراء الدراسة وبيّنت فيه مقدار ما قالوا من شعر الرثاء المتعلق بالدراسة، سواء أكان الفقيد المقصود هو الأب أم الابن .

ومن أهم المصادر التي اعتمدتها : زواهر الفكر وجواهر الفقر لابن المرابط ، إذ ضمّ قصيدة ابن الجنّان التي تركت بصمة مهمة في الدراسة ، ولباب الألباب لمؤلف مجهول ، وضمّ مادة شعرية مهمة ،وأدباء مالقة لابن خميس، ونفح الطيب للمقّري، والذخيرة لابن بسّام الشنتريني، والذيل والتكملة لابن عبد الملك، وغيرها الكثير ممّا ذكرت في المصادر والمراجع ، إضافة إلى دواوين الشعراء مثل: ديوان أبي حيان الأندلسي، والحصري القيرواني، ويوسف الثالث، وعبد الكريم القيسي، وابن عبد ربه، وابن الجياب، والمعتمد بن عباد، ولسان الدين بن الخطيب، إضافة إلى بعض المصادر التي خدمت الموضوع، بما فيها من عبارات تخصّ الرثاء مثل : مقامات السيوطي ، وأخص منها المقامة اللازوردية في موت الأولاد وسلوة الحزين في موت البنين لابن أبي حجلة والتعازي والمراثي للمبرّد وغيرها ممّا وثقت في المصادر والمراجع.

وأخيرا ، فإني أرجو التوفيق في هدفي ونيل مجهودي ثمرة علم نافع في حياتي العلميّة والعمليّة .

الفصل الأول

الندب في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيّين

أولا ــ البكاء

ثانيا ــ ذكر سبب الوفاة

ثالثا ــ وصف ساعات الموت والوداع

رابعا ــ الأماني المستحيلة في الندب

أ ــ رجاء الخلف

ب ــ فدية الفقيد

خامسا ــ اليأس من الحياة

سادسا ــ الصدمة في المصيبة

سابعا ــ الوفاء ورفض الصبر

ثامنا ــ الشكوى والسخط

يمثّل الندب كلّ معنى للحرقة وللذع من الأحزان ،بما في تلك المعاني من عبارات مدمية لقلوب قائليها، ومسبّبة لبكائهم المرير بحسرة فراق الأحبّة إلى العالم الآخر ؛ لذا فقد عبّر الشعراء خلاله عن الأحزان والآلام المصوّرة لمقدار اللوعة الملمّة بهم ،مصوّرين أشدّ اللحظات صعوبة في حياتهم ([1]) .

ويمثّل الندب والتأبين أهم محاور الرثاء الرئيسة، وقد آثرت الفصل بينهما ؛ لأنّ الندب هو:" التوجّع يكون بتعظيم الرزء وإجلال الخطب وإعمال التأسف. والتأبين بذكر المرثي ومكارمه ، ووصف ما يجب له " ([2]) . لذا فإن لكلّ منهما مزاياه الخاصة التي تميّزه عن الآخر، رغم اشتراكهما معا بأساس متين يربط بينهما ، وهو البكاء وتعداد المحاسن والتهويل فيهما،ومع أنّ البكاء هو المميز للندب بكل أشكال الحزن ،ومع أنّ تعداد المحاسن هي ميزة التأبين ،إلا أنّ كل طرف منهما يتخلّل الآخر وينساب فيه بميزة التهويل والمبالغة المشتركة بينهما .

وقد أظهر الآباء في ندبهم لأبنائهم وسائل كثيرة، عبّروا خلالها عن فجيعتهم، وحسرة نفوسهم بعد فلذات أكبادهم.كما عبّر الأبناء بدورهم عن مصيبتهم في آبائهم، فندبوهم وتحسّروا في رثائهم. جاء في الحلّة السّيراء ما يدلّل على قيام الأبناء بدور الآباء نفسه في معظم واجباتهم قال: "فأصحبت([3]) أيّامهم العصيّة وأكثبت([4]) آمالهم القصيّة ،وها هم قد نهضوا بالأعباء ،وانفردوا بالمحاباة في الأحبّاء حتى جرى الأبناء مجرى الآباء ([5])".أمّا أهمّ مظاهر الندب في رثاء الأبناء والآباء ، فهي :

أولا ــ البكاء

` منّل البكاء طريقا إلى تفريغ الحسرات والآهات والمشاعر بأشكالها المختلفة ،وقد كان له في الرثاء حضور بارز لا يمكن التقليل من شأنه ؛لما أدرك الشعراء فيه من سبيل لإطفاء حرقة أكبادهم ، وتخفيف من لوعة حسراتهم ،وتعبير عن مقدار الأحزان التي تعتصر

---

[1] ـ ينظر :ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (ندب) وضيف ،شوقي :**الرثاء** ،12 ،والصمادي ،ساري ،**ظاهرة الحزن في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري** ،21.

[2] ـ الرندي ، أبو البقاء صالح بن شريف **: الوافي في نظم القوافي** (مخطوطة) ، 28 . نقلا عن : الشموط ، مهدي عواد : **الرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، كانون الثاني ، 2010 م ، صـ 9 والسعودي ، نزار جبريل : **رثاء المرأة في الشعر الأندلسي** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، كانون الثاني ، 2006م ، 68 ، 78 .

[3] ـ أصحب :ذلّ وانقاد بعد صعوبة ،ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (صحب).

[4] ـ أكثبت :قربت ،ابن منظور، **نفسه** ،مادة (كثب).

[5] ـ ابن الأبّار :294/2

قلوبهم([1]). فالدموع رحمة من عند الله سبحانه وتعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقوط دمعته: "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء"([2]).

ويلجأ الشاعر في مأساته إلى وسيلته الأولى في التنفيس عن آهاته وحسراته ،إذ يكون قادرا على ذرف الدموع والعويل بحرارة ؛لتخفيف جرعات الأسى عن نفسه الحزينة.

والبكاء عادة يكون الاستجابة الأولى الغالبة على النفس البشريّة، وإحدى وسائل كثيرة، يعبّر الشعراء بواسطتها عن ندبهم ، ولا أرى أنها الوسيلة الوحيدة التي تسعف الشعراء في ندبهم ، كما وجد محمد إبراهيم حوّر في دراسته ([3])؛ لأنّ الشعراء أبدوا وسائل أخرى كثيرة منها : الأرق والصّدمة والموازنة بين الفقيد وغيره ،إضافة إلى وسائل أخرى ستتبيّن في الدراسة .

وقد بكى الآباء أبناءهم ،والأبناء آباءهم في الشعر الأندلسيّ ،فكيف كان بكاؤهم ؟وهل كان سبب بكائهم واحدا ؟

يعدّ الحزن حملاً ثقيلاً على كاهل الراثي ،لذا فإنّ البكاء فرج منحه الله سبحانه للحزين المكلوم، ووسيلة لتخفيف آثار الأسى التي صارت خطوطًا مرسومة في نفس الراثي ،فأبو الربيع الموحّدي يرى أنّ البكاء فاضحٌ لصاحبه ،ومتنفس ٌ للأحزان التي يحاول صاحبها كتمانها ،يقول في رثاء ولده([4]): (البسيط)

زند الأسى من حَشَى المحزونِ يقْتَدِحُ وأدمعُ الثكلِ في أجفانِهِ سَفَحُ

تُبدي المدامعُ حُزْنًا ظلّ يكْلُمُهُ فُؤادُهُ فهْوَ مخْفِيّ ومُفْتَضَحُ

إنّما قاله أبو الربيع الموحّدي جاء حاملا المعنى نفسه للكثير من الآباء، ممّن رغبوا في البكاء لأسباب قريبة ،كما صوّر العديد من الأبناء الفكرة نفسها في لجوئهم إلى البكاء، فابن الجنّان مثلا اعتكف في ربوع أحزانه، وصاحبته الدموع المنهمرة لمصيبته الهائلة ، هذه المصيبة التي لو بذل فيها دماء أحشائه، لما أعطاها حقّها ،يقول في رثاء أبيه([5]): (البسيط)

لا أمْنَعُ الدّمْعَ أنْ يَهْمي وأنْ يَكِفَا ولا أزالُ بِرَبْعِ الحُزْنِ مُعْتَكِفَا

فَإنَّ رُزْئِيَ رُزْءٌ لو بَكَيْتُ له دمَ الحَشَا ما كفى لوْ سالَ أو وَكَفَا

---

[1] - ينظر:صالح ،مخيمر ،**رثاء الأبناء في الشعر العربي** ،22.

[2] - البخاري ، **محمد بن إسماعيل :صحيحه** ،كتاب الجنائز ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :" يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه،147.

[3] - **رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي** ،44

[4] - **الديوان** :43.

[5] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،337 ، 338.

ولو أقُدّ صِدارَ([1]) الصّدْرِ عن كَبِــدي لم يُصْبِحِ الوجْدُ مِنّــي فيــه مُنْتَــصِفا

أكثر الشاعر من توظيفه للأفعال المضارعة؛ لاستمراريّة الحزن والألم في نفسه، وقد لجأ إلى توظيف(لو) مرّات عديدة ؛لتفيد امتناعًا لامتناع ،فالدّماء لن تكون لصعوبة بذلها،إنّها رغبة بعيدة التّحقّق ،إذ إنّ الدماء لا تنهمر كالدموع على المصيبة ،وشقّ الصدار لن يكون ،إذ جعله للكبد ؛ لتعميق صورة الحسرة في أحشائه .وقد ذُكر في كتاب التعازي ،أنّ الصّدار عادة جاهلية نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها .إذ دخلت عائشة على الخنساء ،فقالت لها: أتتّخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟".([2]) لقد أراد الشاعر في موقفه هذا التعبير عن ألمه، وكأنّه يودّ وضع الصّدار على كبده لا على جسده فقط ،ثم يمزّقه؛ تفريغا لجزء من أحزانه.

تناول الشاعران السّابقان ،أبو الربيع الموحّدي الأب وابن الجنّان الابن، المعنى نفسه الذي ذكره الكثير من الآباء والأبناء ؛ تعبيرا عن الفكرة نفسها ، وهي بكاء الفقيد في سبيل إطفاء لهيب الفرقة ، والتّعبير عن ألمها حبّا ووفاء.

فالتشابه بين الطّرفين بلجوء المكلوم إلى ذرف الدّموع ؛ للتّخفيف من مقدار المصيبة، والرّغبة الشّديدة في بذل أقصاها ؛تعبيرا عن الأحزان التي لا تساويها أحزان أخرى ،وهو أمر متوقّع من الطّرفين ؛ لأنّ البكاء كما ذكرت سابقا ،وسيلة منحها الله تعالى لأيّ كان في التّخفيف من حسراته ،لذا لا فرق هنا بين الآباء والأبناء إلا العلاقة الرابطة بين الطرفين .فابن الجنّان مثلا، عكس ببكائه قوّة العلاقة الرّابطة بين الابن وأبيه ومدى تعلّقه به ، في مقابل حبّ الأب لابنه، الذي لا يبلغه حبّ وفناء ووفاء ، والذي يكون دافعًا وحيدًا لبكاء الابن غالبا.

ومع أنّ البكاء للتخفيف من وطأة الحزن على النفس ، قد تناوله كلّ من الأب والابن في بكاء الآخر، إلا أنّ بعض الأبناء ميّزوا بكاءهم لآبائهم بأن باحوا بحاجتهم للبكاء، لأمور نظروا إليها على أنها أسباب إضافية محفّزة لهم لبكاء الأب بمرارة .فعمر بن أحمد مثلا ،علّل بكاءه لأبيه بالشفقة على مصيره السائر إليه ،إضافة إلى حسرته التي خلّفها في نفسه الحزينة،راجيا أن ينفعه البكاء للتّخفيف من شدّة حزنه ،يقول:([3]) (الطويل)

بَكَيْتُــكَ إشْــفاقًا عليــكَ وحَــسْرَةً لعلّ البُكا مــنْ شِــدّةِ الوجْــد يَنْفــع

جمع الابن في بكاء أبيه بين الحزن والشفقة والرّأفة، في حين بكى الآباء أبناءهم ؛ لحسرات الفراق،والغصّة الملازمة لنفوسهم من بعدهم، دون وجود لأسباب محدّدة بعينها.

---

[1] - الصّدار : قميص صغير يلي الجسد، ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (صدر) .

[2] - المدائني : **التعازي** ،66.

[3] - ابن الأبّار:**الحلّة السيراء** :214/1.

أمّا أهمّ الأسباب التي دفعت الأبناء إلى بكاء آبائهم كما جاء في أشعارهم ، فهي الحرص على برّهم والتزامهم بذلك بعد موتهم، بعبراتٍ مستمرّةٍ ، تزيد من قناعتهم بعدم التقصير في بكاء الأب من باب مرضاته .فابن خلصة الضّرير وضّح الفكرة بتفاصيلها بكلمات موجزة ،يقول في رثاء أبيه:([1]) (الخفيف)

كِدْتُ أقْـضِي عَلَيْـكَ نَحْبـي نَحيبـا وأرَى ذاكَ فـي رِضـاكَ قلـيلا

انعكس هنا مدى حرص الأبناء على برّ آبائهم ورضاهم بمفهومه المقصود المتعارف عليه.

كما ظهر واضحا في بكاء الأبناء لآبائهم مقدار الضعف الذي أبدوه كفرع بعد الآباء، بعد أن زال أصلهم وبقيت منه آثاره ،وقد كانوا يستمدّون قوّتهم وبأسهم من وجود هذا الأب في حياتهم ،يقول ابن مطروح في رثاء أبيه: ([2]) (المتقارب)

إذا جَـفّ مِـنْ شَـجَرٍ أصْـلُهُ فـلا بُـدّ للفَـرْعِ أنْ يَـذبُلا
سَـأبْكيهِ مـا دُمْـتُ ذا مُقْلَـةٍ وأعْـصِي العَـواذِلَ والعُـذّلا

إنّ صورة البكاء المستقبليّة بدت واضحة هنا ، بالجمع بين السّين المفيدة للمستقبل في الفعل المضارع ، وبين الدّيمومة (سأبكيه ــ ما دمت)؛ليعارض الراثي كلّ من يحاول موعظته أو لومه، في بكائه على المدى البعيد .

واستمداد الابن قوّته من أبيه، والبكاء لحسرة الفراق بين الفرع وأصله، فكرة ذكرها الآباء في ندب أبنائهم بصور عديدة دون توظيف ما يدلّ على البكاء ، ومن صور ندب الآباء للأبناء: الأماني المستحيلة ،التي عكست التوقّعات والآمال التي اندثرت مع موت الأبناء، وما كان يمثّل الأبناء من دعم معنويّ للآباء ،وهو ما تشابه مع حسرة الأبناء في بكاء أصلهم بعد زواله الأبديّ .

إذن ، فقد لجأ الآباء والأبناء إلى البكاء؛ لغاية رئيسة هي نفسها لدى الطرفين .ومع أنّ الأبناء قد وضّحوا أمورا زادت حاجتهم إلى بكاء آبائهم ،كالإشفاق على مصيرهم وحرصهم على برّهم ،وعجزهم كفرع بعد زوال أصلهم . إلا أنّ بكاء الآباء لأبنائهم أمر فاق تصوّر الأحزان ، إذ إنّ فراقهم لأبنائهم ، هو السبب الوحيد لبكائهم ،دون الحاجة إلى التبرير

[1] ـ ابن بسام الشنتريني :**الذخيرة** ،ق3/م329/1
[2] ـ ابن الأبّار: **تحفة القادم** ،228.

وذكر الأسباب .على عكس الأبناء ،ممّن حاولوا تصوير أسباب أكثرها معنوية قد يفتقدها الابن بموت أبيه .

وما سبق لا يمنع افتقاد الآباء والأبناء للكثير من صفات المرثي ، من خصال حميدة وأمور عديدة جاءت في حلّة التأبين .

وكان للحمام حضوره في شعر الرثاء هنا ،إذ تأثّر الآباء والأبناء في بكائهم بأصواتها بصور مختلفة، عبّرت في نهايتها عن أساهم وأحزانهم ،رغم مدلولات أصوات الحمام بأنواعها بين فرح وحزن . فالحمام وصف " بالإسعاد و حسن الغناء والإطراب والنّوح والشّجا "([1]).

ومن هنا جاء توظيف الآباء والأبناء للحمام بمدلولاته الحزينة في رثائهم ،ضمن معان تشابهت عند الطرفين ،أثبتت التشابه الكبير في توجّه الشعراء إلى أمور أدركوا جيدا كيف يمكنهم توظيفها لخدمة الظرف، وقلبها لصالح رغباتهم بأشكالها ،التي تمثّلت هنا بحرصهم على توظيف أهمّ الأسباب التي خدمت الشعراء في التعبير عن السعادة عادة، إلى أمور استعانوا بها في مصائبهم، والتعبير عن هولها ؛ليدلوا بصور حزينة على الدوام ،بعيدا عن كلّ فرصة للسعادة المنبعثة عادة من الأصوات نفسها ، وكان عبد الكريم القيسي أحد الآباء الذين استعانوا بصوت الحمام([2]) ، إذ أكّد أنّ أصوات الحمام وغناءه صار نواحا في أذنه ونفسه ،كما أنّ تراقص أوراق الشجر لم يكن فرحا ،لكنه تضامن مع الشاعر ومصيبته. يقول في رثاء ابنين توأمين له مات أحدهما بعد الآخر ([3]) : (البسيط)

وليْسَ شَدْوُ حمـــامِ الـــدّوْحِ شِـــدْوَ غِنـــى لكنّهُ النّـــوْحُ فيهـــا تـــسمعُ الأُذُنُ

والغصْنُ في الرّوضِ عنْدي ما انْثَنى طَرَبًا بَلِ انْثَنَى أسَفا في رَوْضِهِ الغُصُنُ

وقد جاء أبو علي إدريس اليماني العبدريّ في رثاء أبيه بمعان تشابهت إلى حدّ كبير مع فكرة عبد الكريم القيسي، مؤكدا استمراريّته في البكاء مستقبلا، إذ إنّ بكاءه سيكون مصاحبا لصوت الطير ،الذي قد لا يغنّي حزنا، وإنما بهجة وفرحا ،ويتجاوز الشاعر ألحان الطيور الباعثة للحزن في نفسه ،فلا يكتفي بالبكاء على ألحانها ،بل يجد نفسه حزينا نادبا أيضا

---

[1] - الجاحظ : **الحيوان** 3/ 205.

[2] - كان ابن عبد ربه والمعتمد بن عباد من الآباء الذين ربطوا أحزانهم بصوت الحمام .ينظر : ابن عبد ربه : **ديوانه** ، 72 والمعتمد بن عباد **: ديوانه** ، 68 ،69.

[3] - **الديوان** :329

على ألحان المغنيات ممّن يتغنّين فرحا؛ فألحانهنّ التي تكون سببا للسعادة والبهجة عادة تحولّت إلى ندب تفجع به نفسه وتذوب حرقة بسماعها ، يقول([1]): (الطويل)

سَأَبْكِي إذا غَنّى ابــنُ وَرْقــاءَ هاتِفًــا وإنْ كانَ ما يعنيهِ ضِدّ الّــذي أعْنَــي
ومَا نَدَبَتْ فــي مَــسْمَعي كُــلّ قَينَــةٍ تُغَرّدُ بِــاللّحْنِ البَــرِيّ مِــنَ اللّحْــنِ

إذن ، فالنّظرة التشاؤميّة والحزن السّوداوي ،قد خيّما على حياة الأبناء([2]) والآباء، حتى صارت أسباب الطّرب بأشكالها محفّزة للبكاء والأحزان؛ فهي أمور جمعت في كنفها حسرة الطرفين، رغم ما فيها من أسباب اللهو والترف والجمال الطبيعي؛ لأنّ المفقود أغلى منها جميعا ،وترك فراغا لا يمكن ملؤه بها ،فالحمام يبعث الأسى في نفس الحزين، ويزيد من رغبته في العزلة والانطواء ،كما أنّ الفرح سواء أكان سمعيّا كطرب المغنيات ،أو بصريّا كتراقص الأشجار وأغصانها ،لم يعد له من مكان في حياة المرثي ،بل هي دافع للذكريات المستمرة ، وموازنة سيطول عهدها، بين ماض تزيّن بوجود الأحباب فيه ،وبين حاضر ليس فيه من صاحب إلا الوحدة .

وقد اشترك الآباء والأبناء في تصوير بكاء الأهل والأقارب والأباعد على فقيدهم؛ إعلاء لشأن من فقدوا .إذ صوّروا بأشعارهم حزن الناس وبكاءهم على المرثيين. فالمعتمد بن عباد مثلا يصوّر بكاء زوجته وبناته على ولديه المرثيين ،معبّرا عن مقدار التآلف أو الدعم النفسيّ له من قِبَل بناته وزوجته بذكره لفظة (معي)،

يقول([3]): (الطويل)

مَعــي الأخــواتُ الهالكــاتُ علَيْكُمــا وأمّكما الثّكْلــى المُــضَرَّمةُ الــصّدرِ
فَتَبْكــي بــدمْعٍ لــيْسَ للْقَطْــرِ مثلــه وتزجُرُها التّقوى فَتُصْغي إلى الزّجْــرِ

[1] - ابن بسام الشنتريني :**الذخيرة** ،ق3/م336/1

[2] - عبّر ابن الخطيب عن الفكرة السابقة أي الاستعانة بالطير في التعبير عن مدى أسفه وحزنه .ينظر :المقّري ، **نفح الطيب** ،13/5.

[3] - **الديوان** :107.

ويؤثّر بكاء الشاعر وزوجته عند تذكّر فقيدهم في النساء والأولاد بمن حولهم ،فيبكون على بكائهم ،وقد مثّل ذلك معونة لأهل الفقيد ودعما، يقول في رثاء ولديه :([1]) (البسيط)

أبْكي وتَبْكـــي ونُبْكـــي غيْرَنـــا أسَـــفا لَـــدَى التّـــذَكّرِ نِـــسْوانًا وولْـــدانا

يلاحظ التكرار والاستمرارية في فعل البكاء ،وتوظيف حروف العطف بين الأفعال للدلالة على بكائه المستمرّ المصاحب لبكاء زوجته ،وما نتج عنه من بكاء النساء ؛لأنّهن "أشجى الناس قلوبا عند المصيبة ،وأشدّهم جزعا على هالك ؛لما ركّب الله عز وجل في طبعهنّ من الخور وضعف العزيمة "([2]).كما أضاف الأولاد ؛ لتأثّرهم السريع بمصائب الكبار وبكائهم خاصة .

ويصف عمر بن أحمد بكاء الكلّ بعد فقد أبيه وعويلهم عليه، وهو معنى حمل الفكرة نفسها التي حرص عليها الآباء ،إعلاء للفقيد وإجلالا له، يقول([3]): (الطويل)

لِفَقْـــدكَ تَنْهَـــلُّ العُيـــونُ وتَـــدْمَعُ وتَنْهَـــزُّ أرْكـــانُ المَعـــالِي وتَخْـــشَعُ

ويُعْوِلُ مَنْ قَدْ كانَ بـــالأمْسِ ضـــاحِكا لَغفلَتِـــهِ فـــي ظِـــلّ نعْمـــاكَ يَرْتَـــعُ

يؤكّد الشاعر لأبيه المرثيّ أنّ فقده أثّر في الكلّ من بعده ،فدموعهم تنساب بكثرة ، وعويل من كان يضحك في أيام وجوده، علا وصخب بكاءً وحسرةً ؛لإدراكه ما كان عليه من نِعَمٍ وما سيكون من سوء الحال بعد الفقيد ،حتّى إنّ المصاب مسّ المعالي فخرّ بها لهول المصيبة . ويظهر جمال التعبير السابق بتقديم الشاعر للمفعول لأجله ؛لإبراز سبب كلّ المصائب التي حلّت بهم بقوله (لفقدك) ،وإعطائه تعميما للعيون بقوله(العيون) ليزيد مساحة ندب الفقيد من قبل الناس.وتلاحظ الاستمرارية في عطف الأحداث ومشاركتها لبعضها .

ويحاول الآباء كعادتهم التنويع أكثر والمبالغة أيضا، فالحصري القيرواني جعل لابنه الشأن العظيم ،إذ إنّ الأسى والبكاء لم يقتصر عليه، وإنما امتدّ ليصل إلى أعدائه أيضا يقول([4]): (الخفيف)

أنـــا أبْكـــي علَيْـــكَ مِـــلءَ جُفُـــوني والأعـــادي متـــى بكيْتُـــكَ يبْكـــوا

و يجعل يوسف الثالث مكانة رفيعة لمن رثاهم ،إذ بكاهم أفضل أبناء الأسر الملكيّة بغزارة ؛لما لهم من شأن رفيع.يقول في رثاء ولديه وأخيه([5]): (البسيط)

ثلاثةٌ أفْـرِدُوا مـــنْ لـــمْ يَـــزَلْ بِهِـــمُ مُبلّـــغَ القَـــصْدِ فـــي حِـــلٍّ ومُرْتَحَـــلِ

---

[1] - **الديوان** :70

[2] - المبرد : **التعازي والمراثي** ،209

[3] - ابن الأبّار :**الحلّة السيراء** ،215/1.

[4] - **الديوان** :149.

[5] -**الديوان** :106.

بَكَــتْهُمُ الغــرُّ مــنْ أبنــاءِ أسْــرَتِهِم بمَــدْمَعٍ كَــأتِيِّ العــارِضِ الهَطــلِ

إذن، فبكاء الأقارب والأباعد كان جزءا من ندب الفقيد عند الآباء والأبناء، لكنه طغى عند الآباء، إذ حاولوا التفوّق فيه على أنفسهم ،فمنهم كما رأينا من جعل بكاء الفقيد من أفضل الناس مكانة كيوسف الثالث ،ومنهم من وسّع ساحة البكاء؛ ليشمل فيها الأعداء أيضا كالحصري القيرواني .

وجاء بكاء الأقارب والأباعد ضمن الأشعار السابقة على الراثي وحاله من بعد الفقيد، ولبكاء المصير الذي لاقاه المرثي أيضا. فأمّا الأول: فهو أمر طغى على غالب الأشعار التي مرّت بنا وتعدّد شعراؤه ،وخاصة عند الآباء ؛لأنّ حال الراثي في ذلك الموقف أصعب ما يكون ، ومن السهل الوصول فيه إلى قلوب الناس والتأثير فيهم ،وبالتالي بكاؤهم عليه،ممّا يدعم الراثي ،ويشعره بالمعونة النفسية وبأهمية من فقد. وأمّا الثاني : فهو البكاء على مصير المرثي كما حصل مع أبي الربيع الداني([1]) ، فقد كان ألما للراثي وحسرة على المرثي؛ لأنّ نظرة الشفقة لمن عاش معزّزا في حياته، تؤذي كلّ من يهمّه أمر الفقيد إلى أبعد ما يكون، ولا يرغبون فيها أبدا ، مع كلّ الظروف الصعبة التي يعيشونها .

وينتقل أبو حيان الأندلسي ليؤكد رغبته بزيارة قبر ابنته ورفضه لفكرة البكاء عليها مدّة عام واحد ،فذاك لن يكون في قاموس رثائه الأبديّ ؛لأنّه سيداوم على البكاء.يقول([2]):

(الطويل)

ولَسْتُ كَمَــنْ بكَــى حبيبيْــه حقبــةً فقالَ وقدْ مَــلّ البُكــا منْــه والــسّهَرْ

"إلى الحوْلِ ثُمّ اسمُ الــسّلامِ عليْكُمــا ومَنْ يبكِ حوْلا كاملا فقدِ اعتَــذرْ"([3])

ولكنّنـــي أبكيـــكِ إذ نلْتقـــي معًـــا فتُبْصرُ عينَيْ وجهكِ الزّاهِــرِ القَمــرْ

إنّ الشاعر لم يصرّح حقيقة بفكرة زيارة القبور ،لكنّ تضمينه لقول لبيد في أبياته ما هو إلا دلالة على المعنى المقصود ، رمزا للإخلاص وقياما بالواجب.

وهذا يذكّرنا بعادة قديمة منذ الجاهلية ،فقد "مات ابن لأرطأة بن سميّة ([4])،فأقام على قبره حولا يأتيه في كلّ غداة فيقول :إن أقمت حتى أمسي هل أنت رائح معي ؟ثم يبكي

---

[1] - صوّر أبو الربيع الداني أساه وحزنه،وذلك لبكاء الناس شفقة على مصير أبيه الذي ضرب بإشبيلية حتى الموت، وهو أمر زاد الحسرة في نفسه:تنظر حادثة مقتل أبيه والأبيات التي قالها الشاعر فيه : ابن الأبّار **:تحفة القادم** ، 184 ، 187 وابن سعيد المغربي :**اختصار القدح**123، والصّفدي ، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات 15**/347،144.

[2] - **الديوان**:178،179

[3] - هذا البيت للبيد ،ينظر :**الديوان** ،79.

[4] - هو أرطأة بن زفر بن عبد الملك ،وسميّة أمّه ،شاعر فصيح في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية ،لم يسبقها ولم يتأخر عنها .أبو فرج الأصفهاني **:الأغاني** ،13/3.

وينصرف، ويأتيه عند المساء ،فيقول :يا عمرو ،إن أقمت حتى أصبح هل أنت غاد معي ؟ويبكي وينصرف،فلمّا كان في رأس الحول تمثّل بشعر لبيد([1]): (الطويل)

إلى الحَوْلِ ثُمّ اسـم الـسّلامِ علَيْكُمـا ومَنْ يَبْكِ حَوْلا كـاملا فقـدِ اعتَـذرْ

ثم ترك أرطأة قبر ابنه "([2]).

ويؤكّد أبو حيان الأندلسي مرة أخرى رغبته الشديدة في البقاء إلى جانب قبر ابنته نضار ،إذ يقول([3]): (الخفيف)

إنّ جِـسْمِي مُقَيّـدٌ بالـضّريحِ وفُـؤادي وقْـفٌ علـى التّبْـريحِ

إنّه يؤكّد المعنى (بإنّ)،وقد يكون ما عنى الشاعر من تقيّده بالضريح مجازيّا ،أي في عواطفه وكيانه لا بجسده ، لكن لا فرق بين هذا وذاك،فارتباط عواطفه بالضريح قد يكون سببا لمداومة زيارة قبر ابنته وبكائها.

كما كثر الاستسقاء، نحو ما قال أبو الربيع الموحّدي في رثاء ابنه ،داعيا السحاب مشاركته زيارة قبر الفقيد وهو ما يؤكد أنّ زيارة القبور كانت ظاهرة منذ زمن بعيد، من أسبابها الدعاء بالسقيا، يقول([4]): (الوافر)

دعينـا يـا عنـانُ نـزورُ قبـرا بأثنـاءِ البطيحـةِ والقـصورِ

وقد جاء الحصري القيرواني في زيارته لقبر أبيه بمعان تشابهت مع ما جاء به الآباء([5]) فيما سبق، متسائلا من سيزور قبره من بعد سفره ، الأمر الذي يؤكد أنّ زيارة القبور عادة اقترنت بالموت وأهل الميت من بعده، يقول([6]): (الوافر)

رحلتُ وهـا هنـا مَثْـوى الحبيـبِ فمـن يبكيـكَ يـا قبـرَ الغريـبِ ؟
سـأحملُ مـن ترابـكَ فـي رحـالي لكـي أغنـى بـه عـن كـلّ طيـبِ

---

[1] - **الديوان** :79.
[2] - المدائني **:التعازي** ،71،72.
[3] - **الديوان** :146
[4] - **الديوان** :44
[5] - أشار أبو الوليد الباجي في رثاء ولديه إلى فكرة زيارة القبور أيضا . تنظر الأبيات في : ابن خاقان **: قلائد العقيان** 3 / 601وابن بسام الشنتريني **: الذخيرة** ، ق2،1م/101 ، و ياقوت الحموي**: معجم الأدباء** 251/11.
[6] - ابن بسام الشنتريني **: الذخيرة** ،ق4 /م1 /270 .

إذن ،فزيارة القبور أمر محبّب إلى النفس البشرية ،رغم ما فيها من آلام وتجدّد للذكريات باستمرار ،وقد وجد هنا عند الآباء والأبناء ،لكنّه كان أكثر حضورا وتميّزا في رثاء الآباء لأبنائهم ،إذ تعدّد الشعراء واختلفت المعاني ،كدعوى أبي حيان الأندلسي إلى زيارة القبر الأبديّة دون الاكتفاء بانقضاء عام واحد ،فهو إصرار لم أجده عند الأبناء مثلا.

ومن هنا ، فإنّ فالتشابه بيّن واضح بين الآباء والأبناء في حيّز البكاء ، إذ إنه جزء مهم من الندب ،الذي كان ولا زال هو نفسه غالبا لكلّ من فقد عزيزا عليه إلى الأبد ،لذا قلّ ما سنجد اختلافات شاسعة في المعاني المطروحة في ساحة الندب ،باستثناء حدّة الأحزان وتفاوتها من شخص لآخر ،ومن موقف إلى آخر .

ثانيا :ذكر سبب الوفاة

فقد الشعراء أبناءهم وآباءهم لأسباب عدّة، كان أهمّها المرض والشهادة والقتل في الميادين السياسية ،وممّن عانوا طويلا مع المرض نضار ابنة أبي حيان الأندلسي ،فقد صارعت الموت أشهرا عديدة ،ذاق فيها أبوها أشدّ لحظاته قسوة وعذابا،.يقول في رثائها([1]):

(الطويل)

أمَــرَّ حيــاتي يــا نــضارُ سُــقامُك وكَوْنُــكِ لا يــسْري إليــكِ منَامُــكِ

أقَمْتِ شــهورًا لا يَبُــلّ لــكِ اللّهَــى شــرابٌ ولا يغْــذوكِ يومًــا طعامُــكِ

تــواتَرَتِ الأسْــقامُ نفْــخٌ وســعْلةٌ وقيْــىءٌ وإســهالٌ فعــزَّ مرامُــكِ

يصف الشاعر أثر سقام ابنته قبل موتها في نفسه وحسراته التي لم يتمكن التخلص منها بعد موتها ،ونلاحظ توظيف الشاعر لأداة النداء (يا) ،وهي للقريب والبعيد معا ،فابنته صارت حقّا تحت التراب لكنها قريبة من نفسه.

وها هو ابن الجنّان يتحدث كالآباء عن معاناة أبيه مع المرض لأيام عدّة قبل موته، يقول([2]): (البسيط)

أقــامَ تــسْعَ ليَــالٍ مــا وَجَــدْتُ لــهُ فيها شِفاءً ولا صَدْرَ المَشُوقِ شَــفَى

عالَجْتُــهُ راجِيًــا إبْــراءَ عِلّتِــهِ وكيفَ يَبْــرَأُ مُــشْفٍ واقِــفٌ بِــشَفا؟

مثّل ابن الجنان فيما سبق استسلامه لمرض أبيه الشيخ الكبير؛ لعلمه باقتراب الأجل، والمعنى نفسه بدا واضحا في قول أبي حيان الأندلسي في مرض ابنته، لكنّ لذعة الألم والموت بالحسرة كان حضورها أشد ما يكون في نفسية الأب، ولا عجب في ذلك، ففقدانه لابنته بعد معاناة شديدة من الألم والعذاب، لا تضاهيها أيّة مأساة من مآسي الحياة، وربما تكون معاناة الابن سببا أيضا للآباء أحيانا في تمنّي الموت حقّا للابن، في محاولة يائسة للحدّ من آلامه، وهو أمر تبثّه أشعارهم الحزينة الواصفة لمقدار المعاناة، نلتمسها بنبراتهم التي أهلكتها آهات الألم والعذاب ،رغم أنهم لم يصرّحوا بها .

وكان الحصري القيرواني من أكثر من عبّر عن مرض ابنه ومعاناته ،إذ جمع الأسباب الجسدية والنفسية وأمورا أخرى أودت بحياة ابنه الفقيد ، فأشعاره سبب لتصوّر الفرق الشاسع بين تعبير الآباء عن معاناة أبنائهم مع المرض حتى الموت ،وبين تصوير الأبناء لمرض آبائهم ،الذي لم يكن ذا حضور متميز في أشعارهم .

---

[1] - **الديوان** :377.

[2] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،343.

فها هو يتحسر بأشد الحسرات ،على أثر فقدان ابنه بمرض الرعاف ،مصوّرا مقدار معاناته ومقدار تأثير المرض به ،ومشاركته لصغيره المعاناة نفسها، فتكرار لفظة (يا قتيل الرعاف) فيما سيأتي تختصر عذابا مريرا مرّ به الطرفان في الحسرة نفسها ،وتنقل صورة المرض الفاتك بابنه وكأنّه قاتل لا يعرف كيف تكون الرحمة ،يقول فيه([1]): (الخفيف)

يا قتيلَ الرّعـافِ كيـف نَبَـا منْـ ... ـكَ حُسامٌ لـهُ مـضاءٌ وفتْـكُ
يـا قتيـلَ الرّعـافِ أعْـزِزْ علينـا ... بـدمٍ طلّـه مـن الأنْـف سَـفْكُ
يـا قتيـلَ الرّعـافِ إنّـي غريـقٌ ... في بحـارٍ لـم يَجْـرِ فـيهنّ فُلْـكُ

ويتجاوز الحصري القيرواني الأسباب الجسديّة المتمثّلة بالمرض ؛ لتكون سببا في وفاة ابنه إلى أسباب نفسيّة، يرى أنّها أثّرت على ابنه إلى حدّ كبير، وقد تكون سببا في قتله ، تلك التي تمثّلت بفرقة أمّه عنه صغيرا، يقول([2]): (الخفيف)

أُتُـرَى أمْرَضَـتْكَ فُرْقَـةُ أُمّ ... دَأبُهـا فـي أبيـكَ غَـدْرٌ وفَـرْكُ([3])

ويقول في قسوتها :([4]) (الوافر)

وقـدْ وضَـعَتْهُ واحْتَمَلَتْـهُ كُرْهًـا ... وفـي أحـشائِها أرْبَـى ارْتِكاضَـا
تنـاءَتْ وهْـوَ مِـنْ شَـوْقٍ إليْهـا ... على جَمْرِ الغَـضَا([5]) لكِـنْ تغاضَـى

جلب الشاعر الذكريات التي وجد خلالها أنّ الأمّ كانت سببا لعلّة ابنه، وقد تناولها على مراحل ،فبداية المأساة منذ الحمل حين كرهت حملها ،ثم كبر طفلها محاولا كتمان مشاعر الشوق والحزن، حتى تلاشى أخيرا نحو الموت ؛لأسباب كانت أمّه ضمنها، فشعورها به كأمّ لم يكن إلا لموته ،إذ أعطته قدره ببكائه ميتا، بينما تخلّت عنه في حياتها .

ويمكن إضافة الحسد إلى الأسباب التي كانت سببا لموت ولد هذا الشاعر ،فهو يرى أنّ وقع سهام أعين الحساد لم يكن هيّنا ،إذ حسدوه على ابنه النجيب،والحسد قد ذكر أذاه في القرآن الكريم ،قال تعالى "وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ"([6])،يقول الشاعر في ذلك([7]):(الخفيف)

يُكْبِـرُ النّـاسُ مِنْـكَ مـا سَـمِعوهُ ... ورَأوْهُ والعيـونُ سُـهامُ
فيقولـونَ كـلُّ بـدْرٍ هـلالٌ ... عنْـدَ هـذا وكُـلُّ كَهْـلٍ غُـلامُ

---

[1] - **الديوان** :149.
[2] - **الديوان:**149.
[3] - قيل الفرك : بغضة الرجل أو بغضة المرأة له وهو الأشهر . ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (فرك).
[4] - **الديوان** 184.
[5] - يقال : أغضى عينا على قذى :أي صبر على أذى .ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (غضا).
[6] - **الفلق**/5.
[7] - **الديوان** :167.

حـــــسَدوني وقيـــــلَ أيّ نجيـــــبٍ لـــــمْ يلِـــدْ قـــطُّ مِثْلَـــهُ الأقـــوامُ

إذن، فالفرق شاسع بين الآباء والأبناء في التعبير عن المرض كسبب للوفاة ،وربما يكون السبب في ذلك هو إدراك الأبناء وإيمانهم بفكرة موت الآباء في حياتهم ،وتقبّلها أكثر من تقبّل الآباء لموت الأبناء في حياتهم .فالأشعار السابقة للآباء ،تنقل صورة الآلام التي هدّتهم على مضد ،والتي كان من الصعب وصول الأبناء الوصول إلى الحالة نفسها في تصوير الآباء لصراع أبنائهم مع المرض ،رغم تفوّقهم في أمور أخرى.

ومن الآباء أيضا من تحدّث بفخر عن استشهاد ابنه في ساحة القتال ،فقد "مجّد الإنسان المسلم الشهادة في سبيل الله وأشاد بها ؛لما للشهداء من مقام محمود عند ربهم، ومعنى هذا أنّ الإنسان المسلم يؤمن بعمق أنّ الشهداء أحياء عند ربهم ،وإن ووروا في التراب وأصابهم البلى ،وهو إيمان أزال عن الموت صورة الدمار النهائي، الذي كان أصل الرعب والفزع فيه"([1])، يقول ابن أبي الخصال في رثاء ولده الذي نال الشهادة:([2]) (الطويل)

وما ماتَ إلا بعد مَا مـــاتَ قِرْنُـــه ُ([3]) ولاقاه مُنْ هَبّاتِه الـــضّيْغمُ الأضـــرى
فـــرَاهُ([4]) بيُمْنـــاهُ بـــصارمِ نفْـــسِه وخَلّى على كُـــرْهٍ لـــصاحبِه اليُـــسْرى
ومـــا زالَ أقـــرانُ الظّهـــورِ مُقـــاتلا وكَيْفَ تَوَقّى المَوْتَ مِنْ حيثُ لا يُدْرى
وما ســـاقَ ذاك الحتْـــفُ إلا شـــهادةً تركْتَ بها فـــي كُـــل ّمَنْزِلَـــةٍ شِـــبْرا

يؤكّد الشاعر لنفسه أنّ ولده لم يستشهد إلا بعد تحقيقه لبطولات خلّدت مجده وشهدت له بشجاعته، مفتخرا بالبسالة التي قدّمها وببطولته في ساحة المعركة ،في مواجهة أشرس أعدائه، حتى حقّق الشهادة .

وذكر الشهادة كسبب للوفاة ،أمر اقتصر على رثاء الآباء لأبنائهم ،إذ افتخر الآباء باستشهاد أبنائهم كجزء من الشجاعة ،وغَفِل الأبناء عن هذه الميزة لآبائهم ؛لانشغالهم بأمور أخرى.

---

[1] - فلاف،أحمد:**الحياة والموت في الشعر العربي**،رسالة دكتوراة ،جامعة الجزائر ،1993م،103.
[2] - ابن أبي الخصال :**رسائله** 647 والمراكشي ،ابن عبد الملك ،**الذيل والتكملة** ، 1/ 40.
[3] - القِرن :الكفء والنظير في الشجاعة والحرب ويجمع على أقران .ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (قرن)
[4] - تفرّى الجلد وانفرى : انشقّ ، وأفرى أوداجه بالسيف شقّها ، وكل ما شقّه فقد أفراه وفرّاه. .ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة (فرا).

ومما سبق تركّز ذكر أسباب الوفاة عند الآباء ما بين المرض والشهادة ،بينما وجدت في المقابل تركيز الأبناء على قتل آبائهم لأسباب سياسيّة ،وما ترك ذلك من الأثر الواضح في نفوسهم من مشاعر مضطربة ورغبة شديدة بالثأر، حتى صارت غاية مشرّفة وطموحا يقف بشموخ أمام أعينهم([1])، فإدريس بن إدريس يتمنّى الثأر لأبيه ممّن كانوا سببا في قتله غدرا([2]) ،يقول في تلك الحادثة([3]): (البسيط)

رُوحِي الفِداءُ لِمَا جاءتْ مَنِيّتُهُ ... يَرْمِي بها بلدٌ ناءٍ إلى بلدِ

فاخْتُلِسَتْ نفْسُهُ منْهُ مُخاتَلَةً ... حتّى تَخَلّى مِنَ الأموالِ والوَلَدِ

أهْدى إليه المنايا ذو قرابَتِهِ ... بِغَيْرِ جُرْمٍ سِوى البغضاءِ والحَسَدِ

لَئِنْ ظَفِرتُمْ بِيَومِ قَتْلِنا غَلَبا ... إنّا لنَرْجو مِنَ الرّحْمنِ فَوْزَ غدِ

حتّى يُزيلَ أقلَّ الحَقِّ أكْثَرُهُ ... ويَشْرَبُ الكأسَ ساقِينا يدًا بيدِ

تمنّى الشاعر لو تمكّن من فداء أبيه حينها ،وقد استلّت روحه من جسده ،فاستلّ بدوره من ابنه وأهله غدرا .ونلاحظ تأكيد الشاعر بأدوات التّوكيد (إنّ واللام المزحلقة) ورجاءه ورغبته الشديدة بالانتقام لمقتل أبيه في الأيّام المقبلة ؛ليردّ لهم الصاع بالصاع ، ويذيقهم الموت من الكأس نفسها .

ويرى يوسف بن إسماعيل أنّ ثأره تحقق قديما من قتلة أبيه([4])،إذ صرّح بما في نفسه من مشاعر الحقد والكراهية للمسلمين، وذكر أذى اليهود للأنبياء سابقا مما أشبع غريزة الثأر لديه نوعا ما، يقول([5]): (الخفيف)

أقَتَيلا بِسِنْجِلٍ ليسَ تخْشى ... حَشْرَ جِسْمٍ قدْ سَمِعْتَ النّصيحا

غُودِرَ الجسْمُ في التّرابِ طَريحا ... وغَدَا الرّوحُ في البسيطَةِ ريحَا

أيّها الغادِرونَ هَلّا وفَيْتُمُ ... وقَدَيْتُمْ شِبْهَ الذّبيحِ ذبيحَا

إنْ يَكُنْ قَتْلُكُمُ لهُ دونَ ذنْبٍ ... قد قَتَلْنا مِنْ قَبْلُ ذاكَ المسيحَا

ونَبِيّا مِنْ هاشِمٍ قد سَمَمْنا ... خَرّ مِنْ أكْلَةِ الذراعِ طَريحَا

---

[1] - ينظر :أبو سويلم ،أنور : **مرثاة الخنساء (الموت ـ الثأر ـ الخلود)**مجلة أبحاث اليرموك 1886 ،العدد1 مج4، 15

[2] - أهدى رجل قريب إليه سنون مسمومة كراهية وبغضا له ،ممّا أودى بحياته .تنظر حادثة مقتل أبيه غدرا في : الصفدي، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات** 318/8.

[3] - الصفدي ، صلاح الدين : **نفسه** 8 /319.

[4] - والد هذا الشاعر يهودي مشهور من غرناطة، هو إسماعيل بن يوسف اليهودي ،وقد مات صلبا ،لأنه استهزأ بالمسلمين ،وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغنّى بها . ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب** 2 /90 ،91.

[5] - ابن سعيد :**نفسه** 91/2.

أظهر الابن فيما سبق مشاعر الغيظ والحقد على من آذى أباه من المسلمين ، مبيّنا لهم أنّ اليهود حقّقوا له ثأره قديما، وفعلوا أكثر من فعلتهم هذه، بادّعائهم قتلهم المسيح عيسى عليه السلام،قال تعالى :"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ "([1]).

كما أشار إلى حادثة تسميم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومصيبة المسلمين به،" فعن أنس رضي الله عنه أنّ امرأة أتت إلى رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك : فقالت : أردت لأقتلك ، قال " ما كان الله ليسلطك على ذلك " قال أو قال "علي" قال : قالوا: ألا نقتلها ؟ قال :لا ، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عيه وسلم"([2]).

ويحاول الشاعر فيما سبق تمجيد تفوّق اليهود وشدّة بطشهم الذي وصل قتل الأنبياء ،وذلك خير انتقام في نظره لإشفاء غليله من قتلة أبيه .

وقد لام الجليس بن الجبّاب الرّيح التي كانت سببا في وفاة أبيه في البحر، متحسّرا لمقتله بسببها، بعد أن كان يراها رسولا مخلصا توصل سلاماته وأشواقه إلى أبيه ،ليبيّن أنّ أقرب الأشياء إلى الإنسان قد يكون سببا لسلبه أحبّ الناس إليه يقول([3]): (البسيط)

وكُنْتُ أهْدي معَ الرّيحِ الــسّلامَ لــهُ ما هَبّتِ الرّيحُ في صُــبْحٍ وإمْــسَاءِ

إحْدى ثِقــاتِي عليــهِ كُنْــتُ أحْــسَبُها ولمْ أخَلْ أنّها مِــنْ بعْــضِ أعْــدائي

لقد عكست الأشعار السابقة، ما يسكن نفس الابن من مشاعر الحقد والكراهية التي تنمو وتكبر يوما بعد يوم في نفسه ،ومدى عمق تأثيرها على نفسيّته ،وبالتالي على كلماته وأشعاره . فالغدر من أكثر الأمور تأثيرا وبقاءً في النفس، خاصّة عندما يودي بحياة شخص عزيز على الابن الشّاهد للمصيبة في صغره ، فكيف إن كان هذا الشخص العزيز هو الأب ؟

فالصغار وحتى الشباب من الأبناء ،لا يمكنهم مسح تلك المشاهد من ذاكرتهم؛ لتكون سببًا في سلبيّتهم الدائمة ،كما حصل مع إدريس بن إدريس .وقد أبدى يوسف بن إسماعيل يأسا حاول جبره،إذ إنّه يائس من الوصول للمسلمين ،فيحاول عزاء نفسه، بتحقيق الثأر مسبقا بإلحاق الأذى بالأنبياء .

إذن، فالقتل في الميادين السياسية في جوّ من الغدر ، والتعرض للخيانة من أكثر الناس والأشياء قربًا وأمانًا ،كانت أسبابًا لمداومة الحسرة في نفوس الأبناء، وملازمتهم مدى

---

[1] - **النساء** /157.

[2] - مسلم : **صحيحه** ،كتاب السلام ، باب السم ، 568 ، 569.

[3] - ابن شاكر ،محمد :**فوات الوفيات** ،334/2.

الحياة، دون محاولة للنسيان ؛لتكون صفحة مفتوحة في حاضرهم ومستقبلهم ،ودافعا إلى الحقد والسخط ، وهي أسباب دفعتهم هنا إلى التصريح بأسباب وفاة الأب ،وغضّ البصر بعد ذلك عن الفخر باستشهادهم في مواقف أخرى.أمّا الآباء، فقد كان المرض الملازم لأبنائهم، ومعاناتهم له بعظيم آلامه، ومعايشتهم له لحظة بلحظة ،هو الحسرة الملازمة لنفس الأب، والمولّدة لرغباته الشديدة في الموت في كثير من الأحيان ؛لعجزهم عن تحمّل الأسى .

لذا فقد ركّز كلّ طرف منهم على الأسباب الأكثر تأثيرا في نفوسهم كسبب للوفاة، مع أنّ أسباب الوفاة وكيفيّة وقوعها متعدّدة ولا تحصى.

ثالثا:وصف ساعات الموت والوداع

صوّر بعض الشعراء المشاهد الأخيرة لأبنائهم، معبّرين عن حقيقة المشاعر الحزينة في أعماق نفوسهم بحسرة تدمي القلوب، كان سعيد بن الحكم والحصري القيرواني وأبو حيان الأندلسي أكثرهم تصويرا لتلك اللحظات، وشاركهم ابن الجنّان أيضا لحظات أبيه الأخيرة قبل موته، في موقف تشابهت أحداثه إلى حدّ كبير بين الطرفين، بما فيه من مشاعر الحزن والحسرة والأحاسيس الصّادقة؛ لهول لحظة الموت، ووصف سكراته، في تصوير" حسرة ما أنكاها على النفوس ،وجمرة ما أذكاها في القلوب ،وروعة ما أفتّها على الأعضاد([1]) ،ولوعة ما أحرّها على الأكباد"([2]).

فها هو سعيد بن الحكم يقول في وصف ساعة منيّة ابنه محمد:([3]) (الكامل)

لمّـــا دَنَـــا مِنْـــهُ الحِمـــامُ رَحِمْتُـــهُ ودنَـــوْتُ مِنْـــهُ لـــسُنّةِ الإذكـــارِ
فيَمُـــدُّ يُمْنَـــاهُ إلـــى يُمْنَـــايَ والـــ عَيْنَـــانِ مِنْـــهُ عَنَانَتَـــا ([4])اسْـــتِعْبارِ
وعَـــلا بهـــا فـــاهُ يُقَبّلُهـــا وأقْـــ بَـــلَ فـــي تَـــشَهّدِهِ علـــى التّكـــرارِ
حتّـــى قـــضَى والله يرْحَمُـــهُ كريـــ ـــمُ العهْدِ فـــي الإيـــرادِ والإصْـــدارِ

نجح الشاعر بتصوير مشهد حيّ للحظات ابنه الأخيرة،"وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ "([5])، إذ ربط الأحداث بعضها مع بعض، بالإكثار من توظيف حروف العطف (الواو والفاء)؛ فالتتابع في الأحداث حاضر في المشهد،وكذلك التفاعل بين أعضاء الجسد ،إذ العينان تنقلان كلّ ما يرغب صغيره في قوله ،والأيدي المتشابكة ،وكأنّه يطلب إليه الدعم في محنته بعد تقبيل يده .

ويستدعي الحصري القيرواني أحداث تلك الليلة بحزن شديد . يقول([6]): (الرمل)

ليلـــةُ المَـــوْتِ دَعـــانِي فَـــدَعا لـــي وقـــدْ قَبَّـــل رأسِـــي واعْتَنَـــقْ
وهْـــوَ يُنْـــدي عَرَقًـــا مِـــنْ شَـــمّهِ قـــالَ هَـــذا مـــاءُ وردٍ لا عَـــرَقْ
ولقَـــدْ مَرّغْـــتُ فـــي مـــصرعِهِ وجَنـــاتي واسْـــتَطَبْتُ المُنْتَـــشَقْ

---

[1] - العضد:هو ما بين المرفق إلى الكتف وجمعها أعضاد .ابن منظور :**لسان العرب** ،مادة (عضد).
[2] - ابن بسام الشنتريني:**الذخيرة** ،ق3/ م219/1.
[3] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،56.
[4] - العنانة:السحابة وجمعها عنان :ابن منظور :**لسان العرب** ،مادة (عنن).
[5] - **ق**/19.
[6] - **الديوان** :20

إنّ لفظة (ليلة الموت)تعبير عن الحسرات والآلام التي تعتصر الشاعر على ولده، فالشعور بين الابن وأبيه متبادل لوصول الفراق الأبدي وسكرات الموت بادية لا مفرّ منها.

وقد تحدّث ابن الجنّان عن ساعة موت أبيه أيضا ،في موقف قلّ ما تختلف ظروفه بين البشر ،يقول([1]): (البسيط)

أبْدَى سُكُونًا وكَرْبُ المَوْت يَـشْئِزُهُ([2]) فَخِلْتُـــهُ غَفَلَـــتْ أوْجاعُـــهُ فَغَفَـــا

بيْنَـــا أعَلِّلُـــهُ مِـــنْ سَـــكْرَةٍ غَـــشِيَتْ لم أدْرِ كيفَ كَخَطْفِ البارقِ اخْتُطِفـــا

أدارَ ســـاقِيه أكْـــواسَ الحِمـــامِ لـــهُ ونحْنُ ننْظُرُ لـــمْ نعْلَـــمْ متـــى نَزَفـــا

وكـــانَ أقـــربَ منّـــا إذ نَطيـــفُ بـــهِ إليه مَنْ قدْ دَنـــا للقَـــبْضِ وازْدَلَفـــا

وغُطّيَ الأمـــرُ عـــنْ أبـــصارِنا ولـــهُ غِطاؤُهُ عَنْ عَيانِ الأمْـــرِ قـــد كُـــشِفا

وماتَ حيث قَـــضَى الـــرّحمنُ ميتَتَـــهُ نائي المَحَلّةِ([3]) عنْ ربْـــعٍ بـــه كَلُفـــا

أظهر الشاعر صورة الأب الرؤوف بأبنائه، في محاولته إبداء الهدوء أمامهم ،حتّى ظنّوا أنّ أوجاعه قد زالت ،بينما هو في قلق وخوف شديدين تجاه الموت .ويتعجّب الشاعر كيف ومتى توفي أبوه على حين غفلة؟! جاعلا ذلك الموقف كسرعة البرق ،فملك الموت أخذ روحه سريعا ،على غفلة منهم جميعا،وكأنّه قد أسقاه مجموعة من كؤوس الموت . قال تعالى :" فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ "([4]).

يبدو أنّ حديث الشعراء الآباء عن لحظات الاحتضار الأخيرة هي الأشد تأثيرا في نفوسهم ممّا تناولت في الندب حتّى الآن ،والأكثر إيلاما في النفوس؛"فالأولاد ثمرات الفؤاد وفلذ الأكباد ،ومصابهم أعظم مصاب ،ومماتهم يصدع القلوب والأوصال والأعصاب "([5]) ولحظات موتهم الأخيرة هي أكثرها مرارة وحسرة في نفوس آبائهم .وقد اقترب ابن الجنّان إلى حدّ كبير من الآباء في تصوير تلك اللحظات ونجح في ذلك .

وقد عكس هذا الشاعر فيما سبق حرصه وإخوته على مجالسة أبيهم، والوقوف إلى جانبه في محنته حتّى رمقه الأخير، كما عكس صورة للموت المجهول الذي تنطبق عليه العديد من الأسئلة :كيف ومتى وأين ؟([6]).

---

[1] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،344

[2] - يشئزه: يقلقه،ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (شأز).

[3] - المحلّة :منزل القوم وهو نقيض الارتحال .ابن منظور ، **نفسه**، مادة (حلل).

[4] - **الواقعة** /83-85.

[5] - السيوطي :**مقامات جلال الدين السيوطي** ،المقامة اللازوردية في موت الأبناء ،972/2.

[6] - ينظر : عمّار ،فضل :المنية والأمنية :**فكرة الموت في الشعر الجاهلي** ،مجلّة جامعة الملك سعود، مج6،الآداب 1994م،صـ11.

ورغم التقارب الشديد بين الآباء والأبناء في هذه الجزئية من الندب، إلا أنّ الآباء تفوّقوا في إبداء حسراتهم التي أذابت القلوب على أبنائهم ،إذ حرصوا على تصوير تلك اللحظات بعيدا عن الفلسفة التي بدت واضحة في شعر ابن الجنان ،حيث مشاعرهم الملتهبة حينها ،والتي تشاركوا فيها مع أبنائهم في رغبة الاستمرار في الحياة رغم إدراكهم المستحيل، واستسلام الطرفين للموت ، وأساهم على الفراق الذي سيكون .

أمّا ابن الجنّان ، فقد وجدت أنه تحدّث عن الموقف بإيمان قويّ أكثر منه عند الآباء ، انطلق من نفس متماسكة نوعا ما ،محاولا التطرّق لأمور تتعلّق بالموت وجبروته وكيفية حلوله بالبشر على حين غرّة ،أكثر من حرصه على تصوير ألمه في ذلك الموقف ومداه ، ولا عجب في ذلك ،إذ إنّ قصيدة ابن الجنان كانت من أكثر القصائد تناولا لحديث الحياة والموت .

ولم يكتف الشعراء الآباء بوصف ساعة الموت ،بل منهم من تعرّض لذكر وداعهم بعد الموت .فهل تعرّض الأبناء للحديث نفسه في ندب آبائهم؟ وهل تساوى الطرفان في طريقة التناول وتعدّد الشعراء؟ أم طغى جانب على الآخر ؟.

تعدّد الآباء الذين تناولوا هذا المعنى في ندبهم لأبنائهم منهم ابن الجياب ، الذي بدت كربة نفسه غارقة في الأحزان، وقد دمّرتها الفجيعة التي مرّ بها.يقول في وداع ابنه([1]):

(الطويل)

لوَدّعْتُـــهُ والـــدّمْعُ يهْمِـــي ســـحابُهُ كما أسْلَمَ الـــسّلْكُ الفريـــدُ المجنّـــسا

وقَبّلْـــتُ فـــي ذاك الجبـــينِ مُوَدّعًـــا لأكْـــرمَ مـــنْ نفْـــسي علـــيّ وَأسْـــلَمَا

ودّع الشاعر ابنه بالبكاء الغزير كماء السماء وقبّله قبلة الوداع في جبينه ؛ ليعلي من شأن نفسه بتلك القبلة ،وينفّس جزءا من كربته ،ويشير بقوله (في ذاك الجبين) إلى بعد المسافات التي صارت تفصل بينه في عالم الأحياء ،وبين ابنه في عالم الأموات .

ويتحدّث أبو حيان الأندلسي عن يوم موت ابنته نضار بعد فراق لحظاتها الأخيرة ، عندما بدأ عويل النساء، وحان وقت تشييع الجنازة ،يقول([2]): (الطويل)

وكـــانَ لهـــا يـــومٌ عظـــيمٌ لمَوْتِهـــا فـــأعْوَلَ نـــسوانٌ وشُـــقّتْ مـــدارِعُ

وكانت قد اوصَتْ لا يُناعُ([3]) إذا قضَتْ فما قبِلَتْ تلـــك الوصـــاةَ الـــسوامعُ

---

[1] - الحبّازي ،مشهور **:ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية،1983/1982م،280.

[2] - **الديوان** :26.

[3] - استناع الشيء : تمادى .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (نوع).

تمشّى سُراةُ النــاسِ ظُهْــرًا أمامَهــا وصــلّوا عليْهــا والــدعاءُ مُتــابعُ
وساروا أمامَ النعشِ حتّى ثَــوَى بهــا لمنزلِهــا والقبــرُ أقــبح واســعُ
ولمّا أثــاروا بالمــساحي بــدَا لهــم ترابٌ كمثــلِ الــوَرْسِ أصــفرُ فــاقعُ
وفاح َأريــجُ المِــسْكِ مــن جَنَباتــهِ كأنَّ بها تَجْــرَ اللّطــائِم ([1]) واضِــعُ

تحدّث الشاعر عن يوم الفراق العظيم ،وعمّا أبدته النساء من نواح وتمزيق للمدارع. وهو أمر حرام شرعًا أوصت نضار بالابتعاد عنه؛ لعلمها بتحريمه من قبل .قال صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية "([2]). كما تشير الأبيات السابقة إلى بعض العادات عند النساء في توديع الميت وهي عادات لا نزال نشهدها أحيانا في الوقت الحاضر أيضا .

ويودّع الحصري القيرواني جنازة ولده عبد الغني واصفًا إياه بالضياء المنبعث من الظلمات ،مبيّنًا له أنّ السعادة ستكون حليفة له في كلّ حين ،متعلّقة به هو لا بغيره، يقول([3]): (الكامل)

عبــدَ الغنِــيّ لــكَ المَــسَرّةُ غائبــا ولِيَ المــساءَةُ مُــصْبِحِي ومَــسائي
لمّــا غَــدَوْا بــكَ جــائزينَ كأنّمــا يمــشونَ فــي ظُلَــمٍ لِــدفنِ ضــياءِ

إنه يصف لابنه إشراق جنازته وكأنّه نور يشقّ طريقه إلى الدفن عبر الظلمات ، وبلفظة (الظلمات)يدلّ على كمّية النور ؛ ليعطيه مقاما رفيعا وشأنا عظيما .

ويزيد الشاعر من شأن جنازة ابنه، بمشاركة الملائكة في تشييعها، ومزاحمة أكرم الناس بعضهم بعضا لدفنه، يقول([4]): (الخفيف)

شَــيّعَتْ نعْــشَكَ الملائــكُ والنّــا سُ وقَــدْ زاحَــمَ الكِــرامَ الكِــرامُ
عَجَبًــا حولَــهُ بغيــرِ نــداءٍ حُــشِرَ العــالمونَ والأعــلامُ
ورأيْنــا أمامَــهُ النّــورَ يــسْعى فالْمُــصلّونَ وُقّفــوا والإمــامُ

إنّه يتعجّب من تجمّع الناس بكثرة ،وقد وظّف لفظة (الحشر)؛دلالة على كثرتهم، جاعلا تشييع الجنازة من قبل الملائكة أوّلا ومن ثم الناس ؛ رغبة منه في إعطائها مكانة رفيعة من السماء. والأرض معا ،ثمّ نجده يوظّف ضمير الجمع بقوله"ورأينا "مسبوقا بواو العطف؛ لتتابع الأحداث ،فالتشييع والنور متلاحقان مشهودان من قبل الجميع في الجنازة .

---

[1] - اللطائم : العير التي تحمل الطيب والمسك . ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (لطم).
[2] - البخاري ، **محمد بن إسماعيل : صحيحه** ، كتاب الجنائز ، باب ليس منّا من شق الجيوب،148.
[3] - **الديوان** :81.
[4] - **الديوان** : 165

إنّ تعدد الآباء ممّن تناولوا هذه الفكرة ،لم يجد نظيرا منافسا لدى الأبناء في تصوير الفكرة نفسها ،فابن حمديس مثلا هو من تحدّث من الأبناء عن ساعة وداع أبيه بعد الموت إلى القبر([1]) ،يقول([2]): (المتقارب)

ومـــا أنْـــسَ لا أنْـــسَ يـــومَ الفـــراق وأسْـــــرارُ أعْيُنِنـــــا فاشِـــــيَة

ومَـــــرّتْ لِتوديعِنـــــا ســـــاعةٌ بلؤلـــــؤِ أدْمُعِنـــــا حالِيَـــــة

ولـــي بـــالوقوفِ علـــى جمْرِهـــا وإنْـــــضاجِه قـــــدَمٌ حافِيَـــــة

ورُحْـــتُ إلـــى غُرْبـــةٍ مُـــرّةٍ وراحَ إلـــى غُرْبَـــةٍ ســـاجِيَة

ينفي الشاعر نسيانه ليوم الفراق ويكرّر بأدوات النفي؛ تأكيد حفر تلك اللحظات وحسرتها في أعماق نفسه ،فكيف ينسى وكلّ ما يحاول كتمانه من مشاعر الحزن قد بدت في عينيه ذلك اليوم ؟ وانقضت ساعة الوداع بتفريق الابن عن أبيه بلحظات شديدة الأثر في نفسه وكأنّها لهيب الجمر بحدّ ذاته ،وينتهي الشاعر بالعودة إلى غربة دنياه ووالده إلى غربة التراب حيث لا رجعة .

فقد خلق الشاعر جوّا من الغربة لنفسه ليعيش مشاعر الغريب نفسها؛ نتيجة الحزن واليأس وهذا ما حصل مع الشاعر ، فرغم أنه كان لا يزال حيّا في دنياه ، إلا أنها مثلت الغربة في نظره بعد موت أبيه.

ويلاحظ فيما سبق أنّ الشاعر قد جمع نفسه مع أبيه في حالة الحزن التي مرّا بها في ساعة الوداع ،لقوله (ومرّت لتوديعنا) ،(بلؤلؤ أدمعنا)،مخيّلا إلى نفسه أنّ أباه يشاركه الحزن نفسه؛ لوداعه أيضا وإن كان قد فارق الحياة ،فالشاعر جعل دموع أبيه تفيض لشدّة الحزن أيضا.

وقد مثّل ابن حمديس هنا شعور الابن بخسارة الأصل والسّبب الأساس في القوّة المغادرة لعالمه إلى الأبد ،دون محاولة للإطالة في المعاني والأفكار ،فالإيجاز بيّن وواضح في نقل مشاعر الابن في لحظاتها، وإظهار عجز الفرع بعد الأصل . أمّا الآباء فقد احتلّت هذه اللحظات حيّزا أكبر من أشعارهم؛ لصعوبة ذلك الموقف على نفس الأب، ولمحاولة الشعراء تعظيم شأن جنازة أبنائهم وتأبينها أيضا كالحصري القيرواني وأبي حيان الأندلسي ؛لبيان شأن الفقيد ومقدار الخسارة ، وهو أمر طغى على أشعارهم في المواقف كلّها غالبا .

---

[1] - ينظر: القاسم ،فدوى :**الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف** ،رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية، 2002م.والشموط ، مهدي عواد : **الرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين** ، الجامعة الأردنية ،كانون الثاني ،2010، 13 .

[2] - **الديوان** :523.

رابعًا:الأماني المستحيلة في الندب

تحسّر الآباء على خيبات أملهم العديدة ،فناحوا بأمانيهم التي كانوا يرجونها من الدنيا،وصارت مجرّد خدع لغربة أبدية ليس فيها من أمل . لذا فقد أكثروا من أمانيهم التي ضاعت مع أبنائهم وغادرتهم بلا رجعة. وقد توجّه الأبناء في ندبهم لآبائهم إلى أمان تمنّوها حقا ، لكن التلاشي والزوال كان مصيرها ، إذ صارت اليوم في عالم المستحيل .فهل كانت المساحة نفسها لهذا الغرض عند الطرفين ؟وهل اشترك الآباء والأبناء في بعض أمانيهم ؟أم كان الاختلاف بين الطرفين في ربوع الأماني المستحيلة ؟ وإن وجد الاختلاف ،فكيف كان ذلك ؟ .

أــ رجاء الخلف :وهي من الأماني التي ألهبت حسرة الآباء ،فهم عادة يرجون رؤية خلف أبنائهم فيحلمون ويتمنّون ؛ليبعثوا الحياة في نفوسهم على المدى البعيد ،وقد باتت مثل هذه الأماني مستحيلة، تبعث الحسرة في نفوسهم ؛ليعبّروا عنها بصور مختلفة في أشعارهم. فمحمد بن جبير الكناني يبوح برجائه المستحيل ،يقول([1]): (الطويل)

وعُقْباكَ بعْدي كُنْــتُ أرْجــو بَقاءَهــا زمانًا ليبْقى من بنِيــكَ بهــا عقْبِــي

إنّ خلف ابنه من بعده كان غاية لم ولن يدركها ،فاستمرار سلالته من بعده صارت مستحيلة بوفاة ولده ،لا أمل فيها ،ولا رجاء منها، والأماني كلّها ضاعت بضياع الولد .

ويخاطب محمّد بن عمر بن المنذر ابنته وقد توفّيت، وسملت عيناه في ظروف لم يذكرها ، إذ يقول([2]): (الطويل)

أوَاحِدَتي قــد كُنْــتُ أرجــوكِ خِلْفَــةً لعينَيّ أُخْتَيْــكِ اللّتــين سِــبَا الــدّهْرُ

رضــيتُ بحُكــمِ الله فيمــا أصَــابني إذا لم يكنْ يُــسْرٌ فيــا حبّــذا العُــسْرُ

ينادي الشاعر ابنته بهمزة النداء ،فهي بعيدة حقا في مكانها، قريبة إلى نفسه الثكلى ، ليخبرها أنّ رجاءه كان وجودها عوضا لبصره ،لتكون بصيرته التي سيبصر بها بعد فقد عينيه ،لذا فإنّه لم يرد الخلف من أبنائها ليكونوا في حياته ،وإنّما أراد دعمها ووجودها لتكون عونا لعينيه .وحقّا فإنّ "البصر إذا بطل لم يبطل النطق([3]) ."والأعمى إن كان قد طرأ عليه العمى بعدما ميّز الأشياء فهذا يرى ؛لأنّ القوّة المتخيّلة منه ارتسم فيها صور الأشياء من المرئيّات،على اختلاف أجناسها وأنواعها "([4]).لذا فإن الشاعر فيما سبق بقوله "أواحدتي "

---

[1] ـ ابن خميس :**أدباء مالقة** ، **134** .

[2] ـ ابن الأبّار :**الحلّة السيراء** 208/2 ولم يذكر هنا تفاصيل سمل عينيه.

[3] ـ الصّفدي، صلاح الدين :**نكت الهميان في نكت العميان** ، 18 .

[4] ـ الصفدي ، صلاح الدين :**نفسه** ، 18 .

يناديها كأنّه يراها حقيقة ،ثم يتوجّه إليها ببثّ شكواه ،ورغبته في أن تكون النور والبصيرة لبصره المفقود .

اقتصرت أمنية رجاء الخلف على الآباء لأبنائهم ،وهو أمر ليس بالعجيب ؛ لأنّ الأبناء لا يحصلون على الخلف من آبائهم ،وذلك ما عبّر عنه ابن الجنّان في رثاء أبيه،فماذا طلب هذا الشاعر في المقابل ؟.

لقد كشف هذا الشاعر عن رجاء الولد من أبيه في أبيات قالها بحسرة الفراق، إذ يقول([1]): (البسيط)

والمَـــرْءُ جُـــزْءٌ أبـــوهُ كُلّـــهُ وإذا ما أفْرِدَ الجُزْءُ عنْ كُلّيهِ قـد ضَـعُفا

وكُلّ فاقِـدِ شَـخْصٍ يَرْتَجـي خَلَفـا ولا يَرْتَجـــي ابـــنٌ مِـــنْ أبٍ خَلَفـــا

آليْتُ لا أبْكـــي فقيـــدًا لـــسْتُ أخْلُفُـــهُ ما عِشْتُ ،والبَرّ مَنْ قدْ بَـرّ إذ حَلَفـا

بيّن الشاعر فيما سبق أنّ الابن لا يرتجي من أبيه إلا قوّته ودعمه وحنانه وعطاءه الذي لا يفنى إلا بفنائه ،وهو الرجاء الذي صار اليوم مستحيلا للأبناء.أمّا الآباء فهم يرجون الأبناء وخلفهم من الأحفاد ؛ليعوّضوا بهم كبرهم ،ويسدّوا بوجودهم الفطرة الرّبانية التي غُرست في نفوسهم من حبّ للخلف والذرّية والعثور على السند في كبرهم ،وهذا فرق شاسع تميّز به الآباء عن الأبناء في هذا الغرض .

ب ــ فدية الفقيد :

ومن الآباء من رغب في فداء ولده بنفسه، ومنهم من تمنّى لو يستطيع فداءه بالأنفس العظيمة والأموال الكثيرة . فابن عبد ربه يتمنّى لو تمكّن من الموت مع ابنه في الوقت نفسه، وكأنّه يتوجّه ناحية الموت طالبا إيّاه ورافضا الحياة في المقابل ،وكأنّ ذاك هو المفرّ من الحياة، والملاذ الآمن لشعورٍ سيطر على حياته بضرورة الموت من بعد الفقيد ،وهذا حال الكثيرين ممّن عاشوا الموقف نفسه.فها هو ابن عبد ربه يقول([2]): (البسيط)

يا سَيّدي ومَرَاحَ الرّوحِ في جَـسَدي هَلّا دنَا المَوتُ منّي حينَ مِنْـكَ دَنَـا ؟

حتّى يعودَ بِنَـا فـي قَعْـرِ مُظلمـةٍ لحْـدٌ، ويُلْبِـسُنا فـي واحـدٍ كفَنَـا

يخاطب الشاعر ولده متسائلا: ماذا حصل لو أنّ الموت اقترب إليّ وأخذني في الوقت نفسه؟ ليضمّهما قبر واحد ،ويلفهما كفن واحد ، ويكون مصيرهما هو نفسه .

---

[1] - ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،339.

[2] - **الديوان** :189.

ويتمنى يوسف الثالث أيضا لو تمكن من إعطاء ولده نصف عمره، لكنه المستحيل بعينه . يقول في رثاء ابنه([1]): (الطويل)

ويا ليتني قاسَمْتُكَ العُمْرَ مُنْصِفًا لما ضُمّنَتْ منّا القلوبُ النواصحُ

يبوح الشاعر بقوله (ويا ليتني) بأمنية تنبع من أعماق نفسه بمشاطرة ابنه سنين عمره. ونلاحظ أنّ الشاعر أطال (بيا) نفَس الحرارة واللهيب الذي يعتصر أحشاءه .

كما يصوّر في رثاء ولديه وأخيه في مقطوعة أخرى رغبة الحرب تقديم أكرم النفوس ومجموعة من أشجع فرسانها الذين يمتازون بالشجاعة ،يقول([2]): (البسيط)

لوْ أنّها الحَرْبُ فَدّتْهُمْ مَساعِرَها بأنفسٍ كُرَمَا سَالَتْ على الأسَلِ

وعصبةٍ من عُبَيْدِ المُلْكِ عادَتُهُمْ قَرْعُ العِدا وأمانُ الخائفِ الوجَلِ

نلاحظ كثرة الأماني وتسابق الأحلام والإكثار من توظيف (لو) للمستحيل، وما ذاك إلا تأكيد للاستحالة المطلقة في فداء الإنسان المستهدف من قبل الموت"فلو قبل الفداء لسمحت فيه النفوس بالنفائس ،ولو كانت الحياة من ذخائرها ..... ولكنّه السبيل الذي لا محيد عن طريقه"([3]) والحقيقة المطلقة في الوجود .

وبينما كثر من رغب بفداء ولده بنفسه من الشعراء كابن عبد ربه ويوسف الثالث وابن الجياب مثلا([4])، فقد قلّ في المقابل من تمنّى من الأبناء فدية الأب، ومن هؤلاء([5]) ابن البراء التّجيبي الذي شارك ابن عبد ربه الرغبة نفسها التي ذكرتها سابقا ، إذ تمنى ابن البراء التجيبي اللحاق بأبيه، وبيّن أنها أقصى غاية يتمنّاها، لكنّها مستحيلة المنال ؛لأنّ انتهاء أجله لم يحن بعد، وبذلك رغب التشارك مع أبيه في المصير نفسه، يقول([6]) : (البسيط)

دُنُوّ رَبْعِك أَقْصى ما أُؤمّلُهُ لَكنْ منالُ الذي لمْ يُقْضَ مُمْتَنِعُ

إذن ،فقد جمع الأبناء في رغبتهم بفداء الآباء ،بين الرغبة المجرّدة بفدائهم ؛ لمكانتهم العظيمة في نفوسهم، والرغبة في الإحسان إليهم قدر المستطاع ،وعدم التقصير في حقّهم بتحقيق رضا الابن عن نفسه بوفائه لعطاء أبيه ،وشعوره بالسّكينة في أعماق نفسه. لكنّ الحال

---

[1] - **الديوان :**186.

[2] - **الديوان** : 106.

[3] - النويري **:نهاية الأرب في فنون الأدب** ،175/5.

[4] - ينظر :الحبّازي ،مشهور :**ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية،1983/1982م ،280.

[5] - ومنهم أبو عبد الله بن خلصة الضرير الذي بيّن رغبته الملحّة في الموت بدلا من أبيه .ينظر:ابن بسام الشنتريني: **الذخيرة** : ق3 /م1 /329.

[6] - ابن الأبّار **: تحفة القادم** ، 16

لن يكون نفسه عند الأبناء جميعا ،فمنهم البرّ ومنهم دون ذلك، ومنهم من يرغب حقّا بفداء أبيه، ومنهم من يستسلم للقدر المصاحب للحزن في النفس، وهو حال معظم الأبناء ممّن لم يتناولوا الفداء في ندب آبائهم ، دون طلب فداء آبائهم بأغلى النفوس . لاحظنا عجز الشعراء الآباء عن حمل الألم وأثقاله ،واحتراق نفوسهم بنار الفراق، ليفتحوا بذلك عنان المستحيل لأخيلتهم ،وليكثروا من توظيف "لو".فالأماني لن تتحقّق لانتهاء أجل أبنائهم أصلا ،لكنّهم في محاولة لندب ما فات ،يتمنّون ما يدركون حقّا استحالته من باب تنفيس الحسرات والاضطّراب النفسي، والمعاناة الملمّة بأنفسهم ،الأمر الذي يزيد في حسراتهم ومعاناتهم .

أمّا الشعراء ممّن فقدوا أبناءهم، فلا تظهر لديهم سوى الرّغبة المجرّدة اللّحوحة في الموت مع الفقيد لمجرّد الموت ،نتيجة للّوعة والحزن الشديد، وعجزهم عن تحمّل الحياة دون وجود الأبناء فيها ،وحقّا لو أتيحت للآباء فرصة فداء أبنائهم بموتهم بدلا عنهم ،لما فوّتوا الفرصة، ولما وجدتَ أبا حزينا لفقد الولد ، ولكن هيهات!! ،فما إلى ذلك من سبيل؛ لأنّ الموت لن يقبل الفدية، "أم تحسب أنّ الموت يقبل الرّشى([1]) أو يميّز بين الأسد والرشا([2]) ؟كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون "([3])،فالموت سنّة حتميّة لا مفرّ منها ،قال تعالى :"إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ "([4]).

ومما سبق يتبين أنّ المساحة التي شغلها الآباء في أمانيهم المستحيلة في ندب أبنائهم هي أكبر ممّا كانت عند الأبناء في ندب آبائهم ،ورغم اشتراك الطرفين في الرغبة بفداء الطرف الآخر بنفسه أو اللحاق به ،إلا أنّ من تطرّق لهذه الفكرة من الأبناء كان قليلا، كما أنّ الرغبة بفداء الطرف الآخر بأغلى النفوس والأموال الكثيرة فكرة تميّز بها الآباء دون الأبناء، إضافة إلى تميّزهم بما ارتجوا من الخلف الذي ضاع بضياع أبنائهم .وأجد أنّ عجز الآباء عن تقبّل موت الأبناء قبلهم وفي حياتهم ،هو الدافع الوحيد لمثل هذه الأماني عند الآباء وكثرتها ،وهو سبب كان مبرّرا لهم في الإفراط من ندبهم لأبنائهم .

---

[1] - بمعنى الرشوة وهي ما يوصل بها إلى ما يطلب من الأشياء .ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة (رشا).
[2] - الرّشا :من أولاد الظّباء الذي قد تحرّك وتمشّى .ابن منظور : **نفسه** ،مادة (رشا).
[3] - الحريري : **مقاماته** ، 178.
[4] - **الزمر** /30 .

خامسًا :اليأس من الحياة

صوّر الآباء صورا عديدة لمدى اليأس الذي اكتنف حياتهم بعد أبنائهم ،فقد انقلبت حياتهم رأسا على عقب، وزالت بهجتها، ولم يبق إلا التشاؤم واليأس ،لأنّ الأولاد هم أجمل ما في هذه الحياة ففقدهم لأبنائهم الشباب ألم لازمهم طوال حياتهم، ومرارة لم يتمكّنوا إلا التعايش وحسراتها، خاصّة عندما يكون الآباء في مرحلة شيخوختهم وضعفهم، في الوقت الذي يكونون فيه بحاجة لهؤلاء الأبناء([1]). وقد كثر من تحدّث عن هذا المعنى من الآباء ،في حين لم أجد المعنى نفسه عند الأبناء إلا بإيجاز شديد .وقد تحدّث الأبناء عن يأسهم الشديد بعد الآباء بإيجاز شديد في المقابل ،فلماذا كان هذا الفرق ؟ .

لقد فقد عبد الكريم القيسي كلّ معنى للحياة بعد ولديه التوأمين ، إذ يقول([2]): (البسيط)

لمْ يُسلِنِي عَنْهُما مِنْ بَعْدِ بُعْدِهُما مالٌ مَلَكْتُ ولا أهْلٌ ولا وطَنُ

ولا الغَوانِي وما أبْدَيْنَ مِن بِدَعٍ بِحُسْنِها مَنْ رُؤاها الدّهرُ يَفتَتِنُ

ينفي الشاعر قدرة أعزّ الأشياء في وجوده على تمكينه من نسيان حزنه ومصيبته الفادحة في ولديه ،فجمع بين ثلاثة لا غنى عنها:المال والأهل والوطن ،وهي أمور عزيزة على نفس الإنسان عادة ،ثمّ انتقل إلى مظاهر الأنس والسعادة ومن أكثرها رغبة الغواني ،إذ لم يستطعن التخفيف عنه ،ليؤكد هذا الشاعر أنّ كل ما سبق من الأمور التي ذكرها لم يعد لها أي مكان في حياة الأسى واليأس التي يمرّ بها ،ولا قدرة على التأثير على نفس المكلوم.

ويصف أبو حيان الأندلسي جفاءه للناس وعزوف نفسه عن الجميع وما حلّ بحواسّه، يقول([3]): (الرمل)

عَزَفَتْ نفْسيَ عن هذا الوَرى بعدما حَلّتْ نضارُ في الثّرى

فبِسَمْعي صَمَمٌ إنْ حَدّثُوا وبعيني نَبْوَةٌ أنْ تَنْظُرا

كيف لي عقْلٌ بأن أصْحَبَهُم فَأرى وجهَ نضارَ النّيّرا

إنّه يتساءل متعجّبا عن أيّ منطق يسمح له بمصاحبة الناس وهو لا يرى ابنته نضار، فقد صار الصمم والجفاء حليفين له لفقدان ابنته نضار ،لقوله "بعدما حلّت نضار في الثرى".وفيما سبق اشتراك محاور مهمّة في عمليّات اليأس :النفس والحواسّ والعقل ؛ لترسم صورة اليأس الكلّي المغطّي لكلّ معاني الحياة والاستمراريّة فيها .

---

[1] - ينظر:مفلح ،فاطمة:**شعر الرثاء في الأندلس في ظلّ بني الأحمر** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية 2002م .33.

[2] - **الديوان** :329.

[3] - **الديوان** :200، 201.

ويحاول ابن عبد ربه تناسي مصيبته لسيطرة اليأس على نفسه ، إذ لا فائدة من الحزن، ولا أمل في التعافي من مصيبته ،لكنّ يأسه ومحاولته التناسي لا يعني الجلد والصبر. إذ لا مكان لهما في نفسه؛ لعظم مصابه، يقول([1]): (الكامل)

باليـــأسِ أسْـــلو عَنْـــكَ لا بِتَجَلّـــدي هيهاتَ !أينَ مِـــنَ الحـــزينِ تَجَلُّـــدي؟

وممّا زاد من يأسه غيابه الذي لا رجاء منه ،فاللقاء لن يكون حتى يوم القيامة، يقول([2]): (الكامل)

يـــا غَائِبًـــا لا يُرْتَجَـــى لإيابِـــهِ ولقائِـــهِ دونَ القيامـــةِ مَوْعِـــدُ

ويتساءل الحكم بن أحمد عن قدرته على البقاء بعد ابنه الفقيد ،يقول([3]): (البسيط)

عيْنِـــي تجـــودُ بمَـــسْكوبٍ ومُهْـــراقِ فالحمـــدُ لله مـــا للمـــوتِ مِـــنْ بـــاق

وكيف أبْقى بـــلا نـــورٍ ،بـــلا بَـــصَرٍ أم كيفَ ينْبتُ لحـــمٌ زالَ عـــن ســـاقِ

يعزّي الشاعر نفسه بعد انهمار دموعه بأنّ الموت لن يبقي أحدا رغم رؤيته نفسه في عداد الأموات بعد وفاة ابنه.

وقد تطرّق عمر بن أحمد إلى الفكرة نفسها التي طرحها الشعراء السابقون بإيجاز شديد يختصر الكثير من المعاني في ألفاظه ،يقول في رثاء أبيه([4]): (الطويل)

فَلَسْتُ لـــشَيءٍ بعْـــدَ فَقْـــدِكَ فارِحًـــا ولا لِمُـــصابٍ بعْـــدَ فَقْـــدِكَ أجْـــزَعُ

إنّه يعبّر عن مدى يأسه من الآن فصاعدا ،إذ لا يمكن لشيء من بعده جعله سعيدا، ولن يجزع لأيّة مصيبة . ويلاحظ التعميم في قوله (شيء ،مصاب) ،كما يجمع بين الفرح والحزن بواو العطف لقوله (ولا لمصاب)،فاليأس أوصله إلى طريق مسدود ، تساوى فيه الفرح والحزن دون وجود لأيّ فرق بينهما ،ولا يمكن لأيّ شيء تحريك مشاعره مرة أخرى، وذلك تعميم لأنواع الأفراح والأحزان جميعها دون تحديد . وتظهر الحسرة هنا في خطاب الشاعر لأبيه ، وكأنّه لا يجد من يشكو حاله إليه سواه.

إنّ المعنى السابق المتناول من قبل هذا الشاعر ذكره العديد من الآباء من قبل مثل الحصري القيرواني وسعيد بن الحكم وعبد الكريم القيسي.لذا فإنّ الفكرة المتناولة واحدة هنا وهناك ،لكنّ الآباء أطنبوا وفصّلوا ليصوّروا حقيقة فقدان الابن، ومرارة الحياة على الأب من بعده،إذ لا يأس يعلو يأسهم .أمّا الأبناء فأجد أنّهم لم يتطرّقوا إلى الفكرة نفسها بالصّدق نفسه؛لاقتناعهم غالبا بأنّ الموت سنّة حتميّة الكلّ سائر إليها، ومن الطبيعي جدّا موت الأب في

---

[1] - **الديوان** :76.
[2] - **نفسه**:76.
[3] - ابن الأبّار:**الحلّة السيراء** ،213/1.
[4] - ابن الأبّار:**نفسه**، 214/1.

حياة أبنائه ،لكنّ سلب الأبناء الشّباب والصّغار من حياة آبائهم سرقت منهم كلّ الآمال والأحلام ،وبيّنت لهم حقيقة غضّوا أبصارهم عنها أو حاولوا أن يحجبوها عن أنظارهم، وهي أنّ الموت لا يعرف صغيرا أو كبيرا ،فيكون مصير الابن الصّغير قبل الأب الشيخ الكبير، وهي فكرة كانت سببا مبرّرا للآباء في إبداء حسراتهم .

وقد اشترك الآباء والأبناء فيما سبق في تصوير انعكاس الأثر السلبيّ لتجاوب المصاب بالفجيعة مع من حوله من الناس، وعلى علاقاته الاجتماعية وتفاعلاته بعد مرور فترات طويلة أحيانا ، نتيجة لفقدان الابن أو الأب .

وللذكريات دورها في زيادة حالة اليأس التي يعيشها الراثون، وقد أكثر منها الآباء أيضا([1]) في تصوير اليأس المتسلّل إلى حياتهم ،على عكس الأبناء الذين لم يكن لهم حضور متميز في هذا الغرض، كجزء مكمّل لليأس المخيم على حياتهم ،فأبو الوليد الباجي أشار إلى ذكرياته اليائسة، إذ قرن بين نظره وصورة ولده من جهة ،وبين السمع وصورته المتخيّلة في ذهنه من جهة أخرى ،فصورة الفقيد وصوته صارت عظيمة على أعضاء الشاعر الذهنية، يقول([2]): (الكامل)

فـــإذا نَظَـــرْتُ فشَخْـــصُهُ مُتَخَيّـــلٌ وإذا أصَـــــخْتُ فَـــصَوْتُهُ مُتَـــوَهّمُ

ومهما حاول الشعراء نسيان مصائبهم أو بالأحرى التناسي فإنّ الذكريات تقرّب البعيد، إذ إنّها دافع للتفكير المستمرّ، ممّا يزيد من حالة اليأس والأسى التي يعيشها الراثي ؛ليظلّ بذلك أسير الحزن دون وجود سبيل للمفرّ ،يقول ابن الأبّار في رثاء صغيره ([3]): (الوافر)

لقَدْ تَربَـتْ يَمِينـــي مِـــنْ شُـــخَيْصٍ إلى التّـــرْبِ اسْـــتقلّ مِـــنَ التّرائِـــبْ

يُقَرّبُـــــهُ التّـــــذكّرُ وهْـــوَ نـــــاءٍ ويُحْـــضِرُهُ التّفكّـــرُ وهْـــوَ غائـــبْ

والشوق مرضٌ في دائرة الذكريات "فالحزن يهدّ البدن والشوق يهدّ القلب "([4]) فالأشواق تبعث اليأس والأسى في نفس سعيد بن الحكم، إذ يتحدّث عن شوقه لابنه في حياته قبل الممات ،فكان إن غاب عنه ساعة من الزمن يظلّ منتظرا رجعته إليه ،فكيف حاله اليوم والأشواق تقتله ؛ لفراقه الأبدي لا تعينه فيه سوى الدموع ، يقول([5]): (الكامل)

قد كُنْتُ حـــينَ تغيـــبُ عنّـــي ســـاعةً مـــا إنْ يَقِـــرّ مِـــنَ النّـــزاعِ قـــراري

وتظـــلّ تعْـــدو بـــي إليـــكَ صـــبابةٌ لـــولا الـــدموعُ عَـــدَتْ بِحَـــرّ أُوارِ

---

[1] ـ تحدّث ابن رشيد الفهري عن هذه الفكرة وبيّن أثرها على نفسه .ينظر : ابن الخطيب:**الإحاطة**،141/3

[2] ـ ابن بسام الشنتريني :**الذخيرة** ،ق3/م462/1.

[3] ـ **الديوان** :89 . وقد كتب في متن الصفحة (في رثاء صغيره) ، بينما كتب في الهامش (يدل البيتان على أنّ المرثي ولده أو ولد أحد أعزائه الأقربين) ينظر :**الديوان** : 89 .

[4] ـ أبو حيان التوحيدي :**البصائر والذخائر** ،462/1.

[5] ـ مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،56.

فَلِمَ اسْـتَجَزْتَ البَـيْنَ عَنّـي سـبْعَةً لـم تُعْـنَ فيهـا سـاعةً بمَـزارِ

أمّا الحصري القيرواني فإنّه يبثّ أشواقه اليائسة لابنه عبد الغني ،يقول([1]): (الكامل)

عبدَ الغنِيّ اشْـتَقْتُ هـل لـكَ أوْبَـةٌ في الدهرِ تُرْجَـى أم أبـوكَ يَـؤوسُ

دمَنِـي وإنْ مُلِئْـتْ دمـىً وحـدائِقا كالبيـدِ بعـدَكَ مـا بِهِـنّ أنـيسُ

قَبُحَـتْ مَحاسِـنُها وضـاقَ رحيبُهـا إنّ القصورَ علـى الكظـيمِ حبـوسُ

حـسناتُ أيّـامي ذنـوبٌ بعـدما فـارَقتَني وسـعودُهُنّ نُحـاسُ

جمع الشاعر فيما سبق بين الشوق واليأس ، وبين السؤال عن الرّجعة والرّجاء المستحيل ،وبين الوحشة والأنس والقبح والحسن والضيق والرحب ،وكلها تناقضات يائسة لا حياة فيها ،حلّت مكان أنس وحياة كانت في الماضي ،أراد منها وصف اليأس والشوق بلا أيّ وميض للأمل وأثر ذلك على نفسه.

وقد تحدّث ابن الجنّان في رثاء أبيه عن أثر الذكريات على نفسه ، في معنى تشابه إلى حدّ كبير مع ما جاء به الآباء السابقون في رثاء أبنائهم ،يقول([2]): (البسيط)

هُوَ المُصابُ الذي قدْ صابَ عارِضُـهُ رجَـا رجَـائي فَمَبْنـاهُ قـد انْخَـسَفا

أقامَ رَسْـمَ الأسَـى عنـدي وجَـدّدَهُ رَسْمٌ تَغَيّـرَ فـي دارِ البِلَـى وعَفَـا

فعـودُ جِـسْمِيَ ذاوٍ مِـنْ تَـذَكّرِهِ وكيفَ يَنْعَمُ فَـرْعٌ أصْـلُهُ انْجَعَفـا([3])

يتنقّل الشاعر فيما سبق بين الأفعال الماضية والمضارعة، فالأسى وقع في الماضي، لكنّه متجدّد لوفاة أبيه،مما ولّد الأحزان ،وخلق حالة من الأسى واليأس في نفسه ؛لاستمرار الموازنة بين ذكريات الماضي وواقع لحظاته في الحاضر.

لقد وضّحت الأبيات السابقة سبب يأس الأبناء، وذلك لما هم فيه من حاجة لأساس قد تهدّم وقوّة استمدّوا منها وجودهم الذي انخسف بموت أصلهم وأساسهم ،لذا فإنّ الحاجة إلى وجود الأب كدعم وملجأ يلجأ إليه الابن سبب قويّ دفع الأبناء للشعور بالضعف. لكنّهم مع ذلك سرعان ما سيغادرون ساحة الأحزان واليأس إلى الحياة من جديد.

أمّا الآباء فاليأس توّج حياتهم من لحظة فراق الابن الأبدي ؛فهم حياة آبائهم ولا حياة من دونهم في نفوسهم ،فيصيرون جسدا بلا روح، قد نزعت أرواحهم منهم في الحياة ،ولا سبيل لهم إلى الخروج من دائرة الأحزان والذكريات إلا بعد مرور السنين، وقد لا يكون ذلك إلا بموت الأب نفسه، ولو بعد حين من الزمن.

---

[1] - **الديوان** :211

[2] - ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،339.

[3] - جعفه : قلعه .ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (جعف).

وقد مثّل اليأس والاستمرار في جلب الذكريات في مخيّلة الشعراء سببًا رئيسًا لامتناعهم عن النوم ، إذ إنّ استمرار الشعراء في جلب ذكرياتهم المصاحبة لدموعهم ،كان غالبا في ساعات الليل ،حيث لا جليس ولا أنيس إلا الخيال والذكريات ،وحالة اليأس المخيّمة على نفوسهم ،فيسهر الراثي وحيدًا مفكّرًا مصاحبًا ذكريات الماضي ومآسي الحاضر فتمتنع عيناه عن النوم ؛لأنّ أعضاء الجسد الواحد تدعم بعضها بعضا في آلامها، ومن عوارضها الأخيرة السهر والحمى .قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"([1]).فمحمد بن جبير الكناني يطلب أن يكون الليل شاهدا على أرقه، يقول([2]):

(الطويل)

سَلِ اللّيْلَ عنّي هلْ أنِسْتُ إلى الكَــرَى وكيفَ وأجْفاني معَ النّومِ فِــي حَــرْبِ

وقدْ رَقّ لــي حتّــى تَقَــرّى أديمُــهُ وأقْبــلَ يبكينــي بأنْجُمِــه الــشّهْبِ

إنّ الليل شاهد حيّ فيما سبق ،إذ يطلب الشاعر من السامع في صدر البيت الأول أن يسأل الليل عن حالته وعن نومه ؟ ويردّ الشاعر مباشرة بسؤال آخر دون أن ينتظر جواب السؤال الأول ، قائلا :(وكيف وأجفاني مع النوم في حرب)؟؛ ليؤكّد أنّ جفونه تفتح حربا مع النوم وترفضه بشدّة ،فما كان من الليل إلا مشاركة الشاعر وأحزانه .

ويطلب الحصري القيرواني إلى ابنه أن يرأف بحاله ،فالضرر قد أصاب عينيه ؛ لشدّة بكائهما ولأرقهما ،يقول([3]): (الوافر)

أضَــرّ بمُقْلَتَــيَّ هُمــولُ دمْعــي وَسُــهْدُهُما فَهَــبْ لهمــا غِماضَــا

لجأ الشاعر إلى العين بوسائلها المعبّرة عن أسى صاحبها بالجمع بين الدمع والسهر فالعلاقة وطيدة في الرثاء بين العين والدمع ؛لأنّ العين التي تبكي المرثيّ اليوم ،هي نفسها التي كانت تنظر إليه في كلّ لحظة ،وتشتاق إلى رؤيته من جديد([4]). إذن فالعين بؤرة لتنفيس المشاعر بالبكاء والأرق والإرهاق ،وإن تحدّث الآباء عن أرقهم، وما أصاب عيونهم من الضرر لكثرة الدموع ،فقد جاء أبو الربيع الداني ليصف ليلته الحزينة التي فقد أباه فيها ،إذ كانت ليلة مريرة من ليالي زمانه ،انتهت بعد معاناة من الأحزان والدموع المصاحبة للأرق ، ولم أجد من الأبناء سوى هذا الشاعر ، الذي قد تطرّق إلى أرقه بعد موت أبيه، يقول([5]):

---

[1] - مسلم :**صحيحه** ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، 660.

[2] - ابن خميس :**أدباء مالقة** ،132.

[3] - **الديوان** :186

[4] - ينظر:م.عيد ،يوسف:**الحواسّية في الأشعار الأندلسية** ،35.

[5] - ابن الأبّار :**تحفة القادم** 187 والصفدي ، صلاح الدين :**الوافي بالوفيات** 348/15

(البسيط)

وليْلةٍ مِنْ خَطيئاتِ الزّمــانِ مَــضَتْ حالَفْتُ فيها الأسَى والدّمْعَ والــسّهَرَا

إنّ ما جاء به أبو الربيع الداني من الأرق هو وليد اللحظة، إذ عاشها في ليلة مقتل أبيه .وهو أمر لا بدّ منه نظرا لصعوبة الموقف الذي قتل فيه أبوه، وما زرعه ذلك المشهد من ذكريات أليمة لازمت الابن .وفي بثّه أحزانه لرفيقه، ينقل مقدار العذاب الذي مرّت به نفسه.

أمّا الآباء فقد جعلوا للأرق بابا واسع الأفق ،إذ رفضوا أن تكون لهم راحة في النوم نحو ما قاله محمد بن جبير الكناني ،كما لحق الضّرر بعيونهم لكثرة البكاء وقلّة النوم كالحصري القيرواني ،وهما أمران صاحبهما الآباء إلى مدى أبعد من مجرّد اللحظات؛ نظرا لاستمرار جلب الذكريات والحياة السابقة بروحها التي كانت مليئة بالحياة، وما حلّ بهم اليوم من موت أبنائهم في حياتهم والحكم عليهم بالموت وهم أحياء في نظرهم.

وقد حاول الآباء كعادتهم التنويع والتفصيل أكثر في الغرض المطروح في ندبهم لأبنائهم،فيوسف الثالث يتمنّى تنفيس أحزانه المعتصرة لأحشائه عبر عينيه بكاءً وسهرًا،أو دفن دموعه وأرقه في أحشائه تخفيفا لألمه ،وذلك لرؤية من هم في سن ابنه المتوفى من الأطفال ،إذ يقول([1]): (الطويل)

فيا ليْتَ ما بالصّدْرِ بالعَينِ قــد بَــدَا ويا ليتَ ما بالعينِ بالــصّدرِ ثاوِيــا

وجَدّدَ لــي الــذّكْرى رضــيعٌ مكانُــهُ بإنــسانِ عينــي لا أقــولُ فُؤادِيَــا

ويتساءل محمد بن جبير الكناني عن عدد الأجانب من الأباعد الذين عانوا الأرق، ممتنعين عن النوم لتفكيرهم في محمد ،ويلجأ إلى السؤال بكم التكثيريّة ؛ للدّلالة على كمّ الألم المتخلّف بسبب الفقيد على البعيد والقريب، يقول ([2]) : (الطويل)

وكمْ أجْنبِيّ فيــك قــد بــاتَ ســاهرًا تُقَلّبُــهُ الأفكــارُ جنْبــاً إلــى جنْــبِ

إنه يضمّ الأباعد في محاولة لتوسيع بؤرة الأرق المتسبّب عن وفاة ابنه ؛لبيان مقدار المصيبة فيه،والإعلاء العظيم من شأنه كغيره من الآباء في ندبهم لأبنائهم ،إذ يندبون دون التفات إلى حدود أو مبالغات ؛للتّنفيس قدر المستطاع عن شيء بسيط من أحزانهم التي لم يعد لها نهاية .

---

[1] - **الديوان** : 165

[2] -ابن خميس : **أدباء مالقة** ،133

سادسًا ــ الصّدمة في المصيبة

وقد تناول هذه الفكرة كلّ من الآباء والأبناء ،فهل حملت صدمة الأبناء من موت آبائهم المفهوم نفسه لصدمة الآباء من موت أبنائهم ؟أم وجد الاختلاف بينهما ؟.

كان ابن الجياب من أكثر من تحدّث من الآباء عن صدمته لموت ابنه أبي القاسم،إذ يقول([1]): (الطويل)

وصَــدْمَةُ خَطْــبٍ نــازَلَتْني عَــشِيّةً فما أغْنَتِ الشّكْوى ولا نَفَــعَ الأسَــى

فقد صَدّعَتْ شَمْلي وأصْــمَتْ مَقــاتِلي وقد هدَمَتْ رُكْنِي الوثيــقَ المُؤسّــسا

يبدي الشاعر حسراته لمأساته ، بقوله (وصدمة)،إذ يبدو عدم توقّعه للخبر ،وكأنّ الموت حصل على غفلة ودون سابق إنذار ، وحينها لم تشفع لحاله شكواه ولا أساه ،وينفي ذلك بتكرار أدوات النفي وحروف العطف المفيدة للترتيب والتعقيب ،فالصدمة أوّلا ،تبعتها مباشرة حالته المريعة الحزينة ،وتحقّق مباشرة تشقّق شمل عائلته وانصداعها، و تهدّم أساس قوّته ،ويؤكّد حقيقة واقعه بتكرار قد لتحقّق الماضي، وإقرانها بالفعل الماضي أيضا، إضافة لتكرار الواو ؛ لمشاركة المآسي والأضرار بعضها مع بعض .

كما يتساءل عن مدى القسوة التي أبداها جسده ،يقول([2]): (الطويل)

هُوَ البَيْنُ حَتْمًــا ،لا لَعَــلّ ولا عَــسى فما بالُ نفْسي لم تُفِضْ عِنــدَهُ أسَــى

وما لفُؤادي لم يَــذبْ منــه حَــسْرَةً فتَبّا لهذا القلبِ سُــرْعانَ مَــا قَــسَا

ومــا لِجفــوني لا تفــيضُ مُــوَرّدا منَ الدمع يهْمي تــارَةً ومُوَرّســا([3])

إنّه يؤكّد حتميّة مصابه ،فهو البين ذاته ولا مكان لرجاء غيره ،لذا يستثني لفظتي لعلّ وعسى من قاموس رثائه، ويتساءل عن الجفاء من جسده ،إذ لم تفرط نفسه من أساها ،حتّى إنّ قلبه لم يصل إلى حدّ الذوبان من حرقة الألم ،فيسخط غضبا عليه بقوله: (فتبّا)ويتّهمه بالقسوة.أمّا جفونه، فيتمنى أن تفيض دموعها ،لكنها لم تفعل .

يتبيّن مما سبق حجم الاضطّراب النفسي الواقع في نفس الأب الثكلان ،إذ يدور في فلك مغلق، غير قادر على استيعاب ما جرى بحاله،لذا فإنّ ردّة فعل جسده لا تستجيب وحالته،

---

[1]ـ الحبّازي ،مشهور **: ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية ،1982 /1983م، 279.

[2] ـ الحبّازي ،مشهور : **نفسه** 278.

[3] ـ المورّس:المصبوغ بالورس،والورس:نبت أصفر باليمن .ابن منظور :**لسان العرب** ،مادة (ورس).

ويبدو أنّه قد عاد إلى أحداث مصيبته لتستوعبها نفسه ،فيدرك حلولها حقّا ،ليتساءل بما يقطّع القلوب،ويعلل ما جرى ،يقول([1]): (الطويل)

وخَلّفْتَ لي عِبْئًا مِـنَ الثّكْـلِ فادِحًـا فما أتعَـبَ الـثّكْلانَ نفْـسًا وأتعَـسا

لقد ترك فقيده ثقلا عظيما من أسى الثكلان ،لذا يتعجّب من مقدار التعب النفسي، والتعاسة المريرة المصاحبة لنفسه ،ويوظّف صيغة التفضيل (أتعس)؛ ليعلي من شأن عذابه وتعاسته ،ثم يتساءل عن حقيقة مثول ولده تحت التراب دون رجعة ،فلا يلمح له بصره مجلسا بعد اليوم ،ويبدو أنّ الشاعر فيما سبق ينتظر جوابا من أحدهم ،ليقول له :بلى قد مات ودفن ولن يرجع ولن تراه بعد اليوم ،فلتستيقظ من صدمتك .

ويتّفق عبد الحق بن محمد السهمي مع ابن الجياب ، فعبد الحق يمرّ بالفجيعة نفسها لموت ابنه عمران ،يقول([2]): (الطويل)

وما كانَ يا عمرانُ بي الظّـنُّ أنّنـي أراكَ مُقيمًـا فـي التّـرابِ تَبيـدُ

ولا أنّنـي أبقـى وراءَكَ سـاعة أُعـاينُ موْجـودًا وأنـتَ فقيـدُ

إنّه ينفي أن تكون ظنونه قد خيّلت إليه للحظة في الماضي رؤية ابنه في التراب ،بينما هو لا يزال حيا يعيش بحسرته من بعده .

لاحظنا أنّ صدمة الآباء في موت أبنائهم تفاقمت آثارها ، نتيجة لشعورهم في أنفسهم وإقرارهم أنّهم أحقّ بالموت من صغارهم ،وأنّ الموت كان لا بدّ أن يكون لهم أوّلا ؛ إذ إنّ موت أبنائهم قبلهم شكّل الصدمة بحدّ ذاتها وهدّ مناكبهم ، لذا فقد أكثروا من الحديث عن أثر الصدمة على أنفسهم كما فعل ابن الجيّاب وعبد الحق بن محمد السهميّ . بينما لم يبد الأبناء الصّدمة نفسها التي أبداها الآباء في موت أبنائهم ، فهذا ابن الجنّان يصف داهيته بأبيه، يقول([3]): (البسيط)

واسْمَعْ أقُصّ الذي قدْ قَـصّ قـادِمَتي وقدّ قَلْبـي ،ورُكْنِـيَ هَـدّ وانْتَـسَفا

إنّي دُهيتُ بمـا حِلْـمُ الحلـيمِ لـهُ كالطّودِ إنْ خف من روْعاتِـهِ وهَفـا

يؤكد الشاعر أنّ سبب علّته ما أصابه من أمر عظيم ،وقد كان في مأمن منه ،وبقوله (إنّي دهيت) ينقل صورة الصدمة عليه في موت أبيه .

---

[1] - الحبّازي ،مشهور: **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية ،1982 /1983م، 280.

[2] - القاضي عيّاض :**ترتيب المدارك وتقريب المسالك** ،776/3.

[3] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،338.

إنّ صدمة الأبناء هنا في موت آبائهم بتوظيفهم لفظتيّ (الداهية ،دهيت)([1]) ، تمثّل صدمة الإنسان بإقبال الموت أكثر من أيّ شيء آخر ،فتعبيرهم عن الصدمة لم يحمل الأثر العميق نفسه الذي تحدّث الآباء عنه ؛لأنّ موت الأب أمر متوقّع في كلّ حين ،متقبّل حلوله في نفسية الأبناء ،وهو أمر يعكس حقيقة الموت المقابلة للحياة وإن كانت لحظة حلول الموت بآبائهم شكّل داهية لهم ،فإنهم سرعان ما يدركون أنه أمر طبيعي من السهل تقبّلهم له .

لذا فإنّ واقع صدمة الآباء كانت أكثر تأثيرا على نفوسهم منها على الأبناء ؛لأنها جمعت بين حقيقتين كان من الصعب عليهم تقبّلها ،موت الأبناء في حياتهم ،وهو الأهم في تشكيل الصدمة ،وحقيقة الموت المحتّم، والفراق الأبدي بسببه ،لتظلّ بصمة حزن في حياتهم، لا يمكن أن تبرأ إلا بعد مرور زمن بعيد عليها ،وبالتحلي بقوّة الإيمان أيضا .

سابعًا ــ الوفاء والجزع

عبّر الآباء والأبناء عن وفائهم، أو رغبتهم بالوفاء لذكرى مرثيّهم بطرق مختلفة، فمن الآباء من استغرب الناس وتعجّبوا من وفائه لابنه ،فظنّوا أنّ عيونه أعطت فقيدها عهدا لذرف دموعها على الدوام ؛ليبيّن مدى التزامه بوفائه لذكرى ابنه طيلة الدهر في المستقبل البعيد، وذلك مثل أبي الوليد العفير في قوله([2]): (الكامل)

حَسْبي دموعٌ مَنْ يُعاينُها يَقُلْ مُتَعَجّبًا أمِنَ الجُفونِ عِهادُ

ومنهم من اتهم نفسه بالخيانة والغدر والتقصير كابن الجياب ،الذي نطق بالكثير عن فكرة الوفاء للمرثي، فها هو يقول معنّفا نفسه ؛لتقصيرها في نظره التعبير عن حزنها على ولده المتوفّى([3]): (الكامل)

لم أوفِ عهدَكَ إذ دفَنْتُكَ ثمّ لم أشْقُقْ فؤادي لا أشُقّ ثيابي

لو أنّني وافيْتُ عهدَكَ صادقا لهجرتُ بعدكَ مَطْعمي وشَرابي

إنه ينفي وفاءه بأيّ عهد ينمّ عن الوفاء ،فشقّ الثياب لم يكن ولا شقّ الصدر ولا هجران الطعام والشراب ،وكلها أمور يعبّر الناس بها عن موت الأحبة ومدى تأثرهم برحيلهم،وهذا الشاعر يرى أنّ وفاءه لم يكن صادقا أصلا في نظره ،إذ صار يقنع نفسه هنا

---

[1] - أشار ابن حمديس إلى المعنى نفسه الذي أشار إليه ابن الجنّان ،كما وظف لفظة (الداهية) . ينظر :**الديوان** .523.

[2] - المراكشي :ابن عبد الملك ،**الذيل والتكملة** ،20/4.

[3] - الحبّازي ،مشهور :**ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية ،1982 /1983، .69

بتقصيره في وفائه لابنه ،فهل كان هذا الأب غير وفيّ لذكرى ولده حقّا ؟ لقد أراد الشاعر من نفسه أن تظهر أسى أكبر، وامتناعا عن أسباب الحياة أكثر ،وهو شعور طبيعيّ لأب فقد ابنه بلا رجعة .لذا فمهما وصف الشاعر نفسه بعدم الوفاء ،فذلك لا يعني مطلقا عدم وفائه لذكرى ابنه في الحقيقة ،لكنه شعور يرافقه دائما ويذكّره بضرورة مؤازرة ابنه في ترابه بشتى الطرق .

ويحرص العديد من الشعراء من الآباء والأبناء على فكرة تقول :إنّ الصبر ما هو إلا نكران لذكرى مرثيّهم ،ولؤم في نفس من بقي من بعده ،وحسرة ستقتل صاحبها من تعذيب الضمير، فالمعتمد بن عباد رأى أنّ تسلّح نفسه بالصبر سيكون لؤما منها، و حتّى إن خفّف من بكائه فستكون الخيانة حقيقة حتميّة في حقّ ولده، يقول([1]): (الطويل)

غَدَرْتُ إذًا إنْ ضَـنّ جفْنـي بقَطْـرِهِ وإنْ لَؤُمَتْ نفسي ،فصاحَبَها الـصبرُ

ويصوّر ابن أبي الخصال مطالب الناس إليه بتخفيف أحزانه وحسراته، رافضا فكرة تناسي ولده وتخفيف أحزانه عليه ؛لأنه جليس فؤاده ،بل أقرب إليه من كل أفكاره وخواطره،فكيف يمكنه تناسي ألم فراقه؟ فذاك من عقوق ذكراه ،لكنّه ينفي أن يفعل ، مؤكّدا عدم استمراريّته دون تجديد لآلامه و ملتزما بالوفاء الأبديّ بعيدا عن آراء الناس ونصائحهم، يقول([2]): (الطويل)

وقـالَ لـيَ الإخـوانُ :هـلا نَقلْتَـهُ وما نَقْلُ مَنْ بَوّأتُهُ القلـبَ والـصّدْرا

أأقْرَبُ مِنْ فِكْري وذِكْـري وخـاطِري فَأمْضي له ظَهْرًا وأحْدو بـه سـفْرا

أعُـقّ بهـا أوْصـالَه لُـوْ فَعلْتُـهُ وأرْهِقُهُ في غيـرِ مَحْمَـدَةٍ عُـسْرا

وبينما يرفض المعتمد بن عباد وابن أبي الخصال السعي إلى سبل الصبر بدعوة من الناس، فإنّ ابن عبد ربه ينفي وجودها أصلا ،فقد فجع بالصبر لمّا فجع بولده، يقول([3]): (المنسرح)

لا صـبرَ لـي بعـدَهُ ولا جَلَـدٌ فُجِعـتُ بالـصبرِ منـهُ والجَلَـدُ

حتى إنّ الناس يدعونه لتصبير فؤاده ،لكنّه يردّ بنفي وجود قلب في جسده أو صبر؛ لأنّ القلب هو أساس الصبر ،يقول([4]): (الطويل)

يقولونَ لـي :صَـبّرْ فـؤادكَ بعـدَهُ فقلتُ لهـم :مـالي فـؤادٌ ولا صـبرُ

وما سبق تصوير منه لمقدار عجزه أمام بلواه ،ورغبته الملحّة بالإفصاح عن مشاعر حزنه والاستمراريّة في عهد نفسه بالحزن والبكاء ؛إرضاء لنفسه وتخليدا لذكرى ولده .

---

[1] - **الديوان** :69.
[2] - ابن أبي الخصال **:رسائله** ،648 والمراكشي ،ابن عبد الملك **:الذيل والتكملة** ،42/1.
[3] - **الديوان** :76.
[4] - **نفسه**:125.

رأينا ما حاول الآباء تأكيده من وفاء لذكرى أبنائهم ورفضهم سبل الصبر ؛لما يجدون فيه من خيانة لذكرى أبنائهم في نفوسهم وحياتهم .وقد جاء ابن الجنّان بالمعاني السابقة التي تناولها الآباء وعبّر عن رفضه لفكرة الصّبر على محنته في أبيه، يقول([1]):

(البسيط)

فيا مُريدَ اصْطِباري لا تُـرِدْ شَـطَطَا ... هيهاتَ تُبْـصِرُنِي بالـصّبْرِ مُتّـصِفا

اذْهبْ سليمًا ودعْنـي آلِفـا شَـجَني ... فـإنّ مِثْلِـيَ للأشْـجانِ مَـنْ ألِفـا

أو فاجْبُرِ اليومَ قلبِي بالبُكـاءِ مَعـي ... إنْ كـانَ يُجْبَـرُ قلْـبٌ بعـدَما تَلِفـا

وسـاعِدِ النّـادبَ الـثّكْلانَ مُحْتَـسِبا ... وجاذِبِ الصّبّ مِـنْ أشْـجانِه طَرَفـا

إنّ المُساعِدَ عِنْدَ الكَـرْبِ كُـلّ فَتَـى ... حازَ العُلا كُلّها :ألتّلْدَ([2]) والطّرُفـا([3])

لا تَلْتفِتْ نَحْـوَ سَـالٍ قـامَ يَعْـذُلُني ... جَهْلا ،فمَا جاهِلٌ شـيْئا كمَـنْ عَرَفـا

يُحَسّنُ الصّبْرَ مَنْ لوْ كانَ يَعْرِفُ مـا ... ألْقاهُ ،قالَ بِحُـسْنِ الـصّبْرِ واعْتَرَفـا

يتوجّه لكلّ من ينتظر منه الصّبر ،ناهيا إيّاه عن أيّة محاولات في ردّه للصّبر. ويردّ مجيبا وحده على ندائه : قد بَعُد إبصاري متحلّيا بالصبر، ويترك الخيار لواعظيه :إمّا المغادرة مع نصائحهم في سبيلهم وتركه في مصيبته وحيدا ،أو مساندة قلبه وحاله بندب أبيه معه في محاولة لجبر كسر فؤاده ،ويبدأ بتبرير موقفه بجعل مساعدة الحزين المكلوم من صفات الشّهامة والمروءة ،معطيا النصائح في لباس الحكمة ،فالجاهل بالشيء ليس كمن مرّ به نفسه، والمدرك لمصيبته يدرك معنى الصّبر وحسنه في المصائب ،لكنّ هذه الحالة لا تنطبق على مصيبته .

ولا يكتفي هذا الشاعر بما سبق ،لكنّه يتوجّه لأخويه ويناديهما لبثّ أحزانهما والمشاركة في ندب أبيهم وفاء لصنيعه ،يقول([4]): (البسيط)

يا ابْنَيْ أبي لا تَكُونا فـي مُـصَابِكُما ... كَمِثْلِ مَنْ نَكرَ الأحـزانَ أوْ نَكَفـا([5])

يا ابنَيْ أبي أسْـعِدا بـاللهِ صِـنْوَكُمَا ... بِعَبْـرَةٍ تَفْـضَحُ الهَطّالَـةَ الوَكَفـا([6])

ولا تَمَـلا بُكـاءً طُـولَ دَهْرِكُمـا ... على أبٍ لـمْ يَمَـلّ الـرّحْمَ والرّأفَـا

---

[1] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر في جواهر الفقر** ،338.

[2] ـ التلد : ما وُلد عندك من مال أو نتج .ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (تلد).

[3] ـ الطارف والطريف : ما استحدثت من المال . ابن منظور ، **نفسه** ، مادة (طرف).

[4] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،351.

[5] ـ نكف الدمع : تنحيتك الدمع عن خديك بإصبعيك أي أقطعته .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (نكف) .

[6] ـ سحاب وكوف : إذا كانت تسيل قليلا قليلا . ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (وكف).

إنّه يخاطب أخويه بأسلوب النداء لعلّهما يجيبا دعوته ؛ليحذرهم إنكار فضل والدهم ويذكّرهم بضرورة مشاركة الشاعر في أحزانه ؛لأنّهما أبناء الرّجل نفسه ،لقوله (يا ابني أبي)،وذلك بذرف العبرات بسخاء طوال الدهر على مصابهم دون ملل ؛لأنّ أباهم لم يملّ في عطفه وعطائه .

ويحثّ ابن الجنّان نفسه على الجزع لمصيبته في أبيه ؛لتجنّب نكران فضله عليه، والتزاما بالوفاء لذكراه ، وهذا المعنى تشابه مع ما قاله المعتمد بن عباد وابن أبي الخصال إلى حد ما ،يقول([1]): (البسيط)

أمّــا أنَــا فَلَــوَ انّــي بَعــدَ مَهْلَكِــهِ سالٍ لألْزَمْتُ نَفْسي الإثمَ والجَنَفــا([2])

وكُنْــتُ كَــافِرَ نُعْمَــاهُ وخَــالِعَ مــا به عَلَيّ مِــنَ اثْــوابِ الرّشَــادِ ضَــفَا

إنّ ما جاء به الأبناء([3]) إشارة إلى سخاء الأب في عطائه لأبنائه خلال حياته، وضرورة مقابلة معروف الأب بحفظ الجميل من الأبناء وعدم نكرانه،إذ إنّ حفظ العهد بالوفاء لذكرى الآباء باستمرار الاعتكاف في المآسي والأحزان بعيدا عن النسيان ،صار رفيقا للأبناء في محاولة لردّ معروف آبائهم ، بإبداء الحب والوفاء والتفاني في ذلك لهم بعد الموت.

وهذا هو غرض الأبناء في الوفاء لآبائهم ،ورفضهم الصّبر على الأحزان .في حين أنّ وفاء الآباء لأبنائهم جاء لمجرّد الوفاء ؛لما يمثّل الابن في حياة أبيه ،ولما يفتقد بفقدانه، وهو دافع إلى ملازمتهم مشاعر تؤكّد ضرورة الوفاء، وعدم العودة إلى ملذات الحياة من جديد؛ إرضاء لنفس الأب ،وكي لا يشعر بتأنيب الضمير ،فكيف تنعم نفسه بسعادة والابن مدفون تحت التراب؟!.

وقد عبّر الحصري القيرواني عن عجزه على الصبر في محنة ابنه وأبيه معا ،إذ غادره الاثنان وبقي وحيدا ،فساوى بين هذا وذاك ،يقول([4]): (البسيط)

صَــبَرْتُ للــدّهْرِ إلا عِنْــدَ فَقْــدِ أبٍ وابْــنٍ فِــداؤهُما نفْــسي وأقْــوامِي

ومن الطبيعي جمع هذا الشاعر بين الأصل والفرع ،فموت كليهما جعل الشاعر في يأس لا يصل إلى حدّ معيّن، وحالة من الضعف الجسدي والنفسي لا يمكن وصفه، فسمح لنفسه برفض فكرة الصّبر من جذورها دون محاولة التبرير.

---

[1] ـ ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،352.

[2] ـ الجانف : المائل عن الحق . ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (جنف) .

[3] ـ أشار ابن شكيل إلى الفكرة نفسها التي عبّر عنها ابن الجنّان في رغبة الوفاء لأبيه وعدم الصبر على مصابه فيه .ينظر : **الديوان** :83.

[4] ـ **الديوان** :165

والحال نفسها مرّ بها يوسف الثالث في رثاء مجموعة من الأحبة التي فقدها ،وقد فقد هذا الشاعر ولديه وأباه وغيرهم ،يقول([1]): (الخفيف)

كَلّفُـــوا مُهْجَتـــي العَـــزاءَ وقـــدْ طَلَبـــوا سَـــلْوَتي فمَـــا أجِـــدُ
فَقَـــدْتُ نفْـــسِيَ الحيـــاةَ وهـــلْ بعْـــدَ فَقْـــدِ الحَيـــاةِ لـــي جَلَـــدُ
يـــا مُعـــينَ الـــضنَا علـــى جَـــسَدي هـــاكَ رُوحـــي إذا فنَـــى الجَـــسَدُ

إنّ الحصري ويوسف الثالث قد تضاعفت أحزانهما بفقد أحبّة لهم شأن عظيم في حياتهما ،ممّا كان صفعة قويّة لهم من الحياة ،أدركوها وعجزوا عن تحمّلها ،فحملوها مكرهين بغصب من الدنيا ،وما أصعب فقدان الشخص لأصله وفرعه معا ،فرغم أنّ فقدان الفرع أشدّ ألما على النفس ، إلا أنّ فقد كليهما هو العذاب بحدّ ذاته .

إذن، فوفاء الآباء لأبنائهم كان بدون مقابل وجدوه منهم.أمّا وفاء الأبناء لآبائهم ،فقد جاء ردّا لجميل قد وجد مُسبقا ،ومن الملاحظ أني لم أجد من الشعراء الأبناء من اتهم نفسه بقلة الوفاء لأبيه ،لحرصهم الشديد على برهم ورد معروفهم بالوفاء لذكراهم ،فلم يتركوا مجالا لنفوسهم للشعور بالتقصير الذي شعره الآباء ،وهو شعور وجد عند الآباء في مخيّلتهم، التي حاولت إبداء الوفاء بشكل فاق قدراتهم ليصلوا في ندبهم إلى حدود المستحيل. لذا أجد أنّ وفاء الآباء فاق وفاء الأبناء، الذين حاولوا غرسه في نفوسهم برضا منهم؛ لغاية محدّدة وهدف صار معروفا.

[1] - **الديوان**:56

ثامنا ــ الشّكوى والسّخط

بثّ الآباء والأبناء شكواهم لأنفسهم ولسامعيهم ؛ليصفوا مقدار الوحدة والوحشة التي يمرّون بها،محاولين رسم صورة واضحة لحياة الذلّ والأسى بعد المرثيّين. فهذا أبوالربيع الموحّدي يشكو بحسرة تملؤها مشاعر جياشة من الحزن وأشكاله لفقد ابنه محمد ،يقول([1]):

(مجزوء الرجز)

جــــلّ الأســـــى عـــــن خُلُـــدي لقطعـــــــةٍ مـــــــن كَبِـــــــدي

يـــــــا حـــــــسرتاهُ اختُلِـــــــسَتْ مـــــن أضـــــلُعي تحـــــتَ يـــــدي

لكـــــم أثـــــارَتْ مـــــن مُقيـــــــ مٍ فـــــــي الحـــــــشى ومُقْعَـــــــدِ

يتوجه الشاعر فيما سبق بالشكوى إلى كل من يسمع نداءه ،في محاولة للتنفيس من حسرات نفسه ،ويلاحظ لجوء الشاعر إلى ياء الندبة ، في محاولة لإطالة النفس الشعري المعبّر عن الآهات .

كما لجأ الآباء والأبناء بالشكوى إلى الله سبحانه ،وإلى أشخاص كان لهم موقع من نفوسهم ليجدوا في الشكوى سببا لراحتهم ،رغم ما وُجد فيها من مسحة الأحزان وعدم زوالها.

فها هو ابن رشيد الفهري يقول في رثاء ابنه شاكيا حسراته لله سبحانه وتعالى([2]):(الطويل)

إلى الله أشكو فهـــو يُـــشكى نوازعـــا عظاما ســـطاها للعظـــام عـــوارقُ([3])

وقد رثى ابن يامين جملة من أقاربه ماتوا في مديدة يسيرة بثغر منرقة منهم ابنته وابنها قبلها ،فقال يشكو غربته التي صار فيها من بعدهما لسعيد بن الحكم في قصيدة اشترك الاثنان في نظمها([4]): (الوافر)

غريـــــبٌ لا يـــــزورُ ولا يُـــــزارُ نَـــــأتْ عنـــــه الأحبّـــــةُ والـــــدّيارُ

يهـــيمُ الهَـــمّ منـــهُ بجـــارِ جنْـــبٍ وزَوْرِ الأنْـــسِ عنـــهُ لـــه ازْورارُ

له فـــي القلـــبِ نـــارٌ لـــيسَ تخْبـــو وإنْ كانـــت تُحـــيطُ بـــه البحـــارُ

إنه يصف نفسه بالغريب ،وما أمرّ غربة الدنيا والمرء في مكانه .إنّها غربة النفس الحزينة؛ لفراق أحبّة كانوا هم الأنس والحياة ،إنّه يشكو وحدته في دنياه حيث لا يزور

---

[1] ـ **الديوان** :44.

[2] ـ **ابن** الخطيب **:الإحاطة** ،141/3.

[3] ـ العظام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم تسمى عُراقا . ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة (عرق).

[4] ـ مؤلف مجهول:**لباب الألباب** ،45.

أحدا، ولا يزار من قبل معلوم أو مجهول ،فقد تحقّق البعد الأبديّ ،ولهيب الفرقة صار نارا لا يمكن إطفاؤها رغم كلّ المحاولات .

إذن، فالشكوى كان هدفها واحدًا في طرفي الدراسة، وإن كانت المعاني التفصيليّة مختلفة اختلافات بسيطة كالفرق بين حاجة الابن لأبيه أو العكس ، إلا أنّ كلّ معانيها الفرعيّة تصبّ في مجرى واحد . وما سبق ممّا تناولت هنا من الأشعار لا يدلّ على قلّة الشكوى؛ لأنّ الندب في الرّثاء يمثّل الشكوى بحذافيرها ومزاياها .

وقد وجد بعض الآباء حقدا على الأيّام وسخطا ، لما ألحقت بهم من الأذى بسلبها أعزّ ما يملكون في حياتهم وهم أبناؤهم ،قال أبو محمد بن سارّة الأندلسي في ابنة ماتت له([1]):

(الوافر)

وجَـدْتُ علـى بنـي الأيـام غيْظًـا كمـا وجـدَ اليتـيمُ علـى الوصِـيّ

أبدى الشاعر في البيت السابق غيظا وحقدا وكراهية على الدهر ساوى حقد اليتيم على وصيّه الخائن للأمانة ،فنظرته صارت تشاؤميّة حاقدة على الأيّام .

ويرثي المعتمد بن عباد ابنه سعدا بقطعة من الشعر يصب فيها سخطه على الحياة من بعد ولده وحاقدا عليها متمّنيا استمرار مراسم الأحزان ؛لأنّ الزمان قد أودى بأعزّ ما يملك، وقد بدأ شعره بإذا ،وهي ظرف لما يستقبل من الزمان . فالشاعر يدعو على الحياة مكرّرا بأن لا يسعد أحد في حياته ولا يغادر الألم أيّا كان ممّن لذعوا على أحبّائهم في الحاضر والمستقبل، يقول([2]): (الطويل)

إذا كان قـدْ أوْدى الزّمـانُ بمثلـهِ ولم يبقَ في عـودٍ لـه طَمَـعٌ بعْـدُ

فلا زالَ ملْذوعًا على سـيّدِ الحَـشا ولا انفكّ ملْطومًـا علـى ملـكٍ خـدّ

أمّا يوسف الثالث فيلقي بسخطه على يوم محدّد من الحياة هو يوم الخميس الذي شهد موت ابنه فيه ،يقول([3]): (مجزوء البسيط)

بُعدا ليـومِ الخمـيس مـن صـفرْ لمـا جَـرَى فيـه سـابقُ القَـدَرْ

قـد أخـذ البـينُ حِـذرَهْ فرَمـى أفئـدةً لـم تكـن علـى حَـذرْ

---

[1] ـ العماد الأصفهاني :**خريدة القصر وجريدة العصر** ،282/2 (الحاشية) وكتب :نقلا عن المختصر .

[2] ـ **الديوان**:68.

[3] ـ **الديوان :**77.

ويتعجّب الدارس لفكرة وجود الشامتين في الموت،إذ لا شماتة في الموت والمصير. لكن كان للشامتين حضورهم في شعر الرثاء ،وفي ديوان الحصري القيرواني خاصة،ومن الصعب معرفة الأسباب الدقيقة ،إذ يبدو أنّ أعداءه كثيرون ممّن لا يتمنّون له الخير ،فها هو يصف مدى السرور الذي انتاب نفس الشامتين لموت صغيره ، مستغربا من قدرتهم على الشماتة في حديث الموت ،يقول([1]): (الوافر)

أسَـرّ اليـومُ مـوتَ ابنـي عـدُوّا غـدًا يقـضي الكـريمُ إذا تقاضَـى

كـأنّ المـوتَ فـي الـدنيا حـديثٌ لقـد نـسِيَ الحـديثَ المُـستفاضا

ويؤكّد في أبيات أخرى أنّ هذا الشامت سيشرب من الكأس نفسها ولن يكون أفضل حالا منه ،يقول([2]): (الخفيف)

فلـئِنْ حلّـتِ الرّزيّـةُ فـي ابنـي واشْـتَفى بـي عـدوّيَ المُتَخَـزّي

فـوَربّي ليَـشْرَبَنّ بكـأسٍ شَرِبَ ابْنِـي بهـا وعُقْبـاكَ تَجْـزي

ولم أجد من الأبناء من يخشى الشماتة من الأعداء إلا يوسف الثالث ،فقد أبدى صبرا في محاولة منه تجنّب شماتة الأعداء؛ ويبدو أنّ ذلك لمكانة أبيه السياسية في دولة بني الأحمر، يقول([3]): (الطويل)

وأبْـدَيْتُ للأعْـداءِ منّـي تَجَلّـدا وصَبْرا كَصَبْرِ الـصّادِياتِ الحَـوائِمِ

إنّ الأسباب الدافعة للشماتة غير واضحة إلى حدّ كبير، فالحصري مثلا يبدو تعرّضه للشماتة نظرا لفهم ولده ولذكائه الذي كان سببا في حسد الناس له ،وقد ذكر حسدهم لابنه في مواطن كثيرة . أمّا يوسف الثالث فتبدو الدوافع السياسية بما فيها من عداوة، ومن حسد لمكانة أبيه السياسيّة، وما مثّله من مقام رفيع في ساحة الحكم، هي الدافع للشماتة، وتحقّق نتيجة البغض والكراهية ؛ لذا فالشماتة في الموت كانت تنطوي على أسباب خاصّة في نظري ، يشخّصها الشاعر الراثي في مخيّلته قد تكون واقعا أو خيالا.

أمّا الحسد فقد أكثر منه الآباء في أشعارهم ،فمن ذلك ما قال ابن رشيد الفهري في حسد الناس لولده([4]): (الطويل)

شبابٌ ثوى شابتْ عليـه المفـارقُ وغصنٌ ذوى تاقَـت إليـه الحـدايقُ

على حـين راقَ النـاظرينَ بـسوْقِهِ رمَتْـهُ سـهامٌ للعيـونِ رواشـقُ

---

[1] - **الديوان** :185.

[2] - **نفسه** :133.

[3] - **الديوان**: 187 .

[4] - ابن الخطيب : **الإحاطة** ، 3 / 141 .

فما أخطــأتْ منــهُ الفــؤادَ بعمْــدِها فلا أبصَرَتْ تلــكَ العيــونُ الرّوانــقُ

وتحدّث الحصري القيرواني في مواطن كثيرة من ديوانه عن الحسد ، ويبدو لجوء الآباء إلى الحسد وجعله سببا من الأسباب التي أودت بحياة أبنائهم ،هو محاولة لإعلاء شأن الفقيد الذي كان هدفا لعيون الحاسدين لكثرة صفاته الحميدة على اختلافها ،كما ينقل صورة من الإيمان بالحسد وأضراره على النفس البشرية ، وهو أمر ذكر في القرآن الكريم والسنة الشريفة ،كما ذكر ما يمنع من وقوعه أو يخفّف من آثاره ،خاصة أن الكثيرين من الناس لا يؤمنون بالحسد وخطورته حقا بين البشر.

إذن ، فقد تفوّق الآباء على أبنائهم في معظم الأفكار المتناولة في ساحة الندب وكثرتها ونجحوا في إبراز عواطفهم الحزينة جميعها، وإيصالها مباشرة إلى نفس المتلقي ، في حين كان تأثير رثاء الأبناء لآبائهم أقل حضورا في ندبهم ؛ وهو أمر من الطبيعي تفوّق الآباء فيه على الأبناء .

الفصل الثاني

التأبين في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيّين

أوّلا ـ الأخلاق الحميدة

ثانيا ـ العِلْمُ والتديّن

ثالثا ـ تفضيل المرثي على غيره في صفاته

رابعا ـ التّأبين المستحيل

خامسا ـ تأبين القدْر والمكانة

سادسا ـ الصّفات الخَلْقيّة

سابعا ـ الدّعاء

أوّلا ــ الأخلاق الحميدة

حاول العديد من الشعراء الآباء في رثاء أبنائهم تغطية مساحة واسعة من أخلاقهم الحميدة ،فنوّعوا وعدّدوا من المآثر ما كان سببا لفخر الآباء بالأبناء على مرّ العصور في الحياة والممات، وذلك حين فاضت مشاعر الحزن ، وألهبت حنينا إلى خصال باتت اليوم شيئا من الماضي ،ولها وجودها في حاضر الأب النادب المؤبّن.

وقد أبّن الأبناء آباءهم المتوفّين أيضا ؛لحنينهم وافتقادهم أخلاقهم وفضائلهم ،فاهتمّوا بندبهم في أشعارهم وتأبينهم.

وقد كان للشجاعة حضور متميز في شعر الرثاء وخاصة عند الآباء ، ومن الطبيعي ذلك ، فهي إحدى أهمّ الأخلاق الحميدة ،إذ إنّ مكانتها المرموقة في أشعار العرب منذ القدم شكّلت مساحة واسعة ؛لأنّ القدرة على مواجهة الأعداء فضيلة بحدّ ذاتها ،وإن كان الموت المتمثّل بالشهادة قد يكون الرفيق الدائم ؛فالشهادة ثمرة مصير متوقّع لدرب الشجاعة ،ولمن وصف بها من الفرسان والشجعان([1]).

فكيف كان تناول الآباء لشجاعة أبنائهم ؟وهل تناول الأبناء شجاعة آبائهم ؟وهل وجد التشابه في المعاني المتناولة بينهما أم انعدم ؟وما هي المبرّرات ؟.

إنّ فخر الآباء باستشهاد الأبناء ، كان أهمّ ما توجّهوا إليه في تأبين شجاعتهم . فالمعتمد بن عبّاد افتخر بفضل الشهادة التي جناها ولده ،مؤكّدا تحقّقها ،وتحقّق الفخر واللّقيا الأخيرة في الجنّة ،يقول([2]): (البسيط)

يا فَتْحُ،قدْ فتَحَتْ تِلْــكَ الــشَّهادةُ لــي بابَ الطِّماعَةِ فــي لُقْيــاكَ جــذْلانا([3])

---

[1] - ينظر :الهدروس ،سالم :**صورة الجهاد في النثر الأندلسي زمن المرابطين** ،مجلة أبحاث اليرموك، مجلد13،العدد2، 186.

[2] - **الديوان** :70.

[3] - جذلان :فرح والجمع ،جذالى .ابن منظور :**لسان العرب** ،مادة (جذل).

وقد ذكر ابن أبي الخصال استشهاد ابنه و شجاعته ومسارعته لتلبية النداء، وتفضيله القيام بالمهمات على النوم ،يقول([1]): (الطويل)

وكُنْـــــتُ إذا أيقَظْتُـــــهُ لمَلَمَّـــــةٍ أَخَذْتُ الكرَى عنْ مُقْلَةٍ منْهُ لا تَكْـرَى

وطَارَتْ بِهِ الجُلَّى([2]) إلى كُلِّ هَيْعَةٍ([3]) وَأَثْباجُها([4]) تُطْوى وأوْداجُها([5])تَفْرى

ويقول أيضاً([6]): (الطويل)

وقَدْ كُنْتُ في تلكَ الـسَّبيلِ احْتَـسَبْتُهُ وأَضْمَرْتُ يَأسًا عن لِقائِي لَـهُ صَـبْرا

فَرُدَّ على رغْـمِ الخُطُـوبِ مُـسَلَّمًا وقَدْ حَازَ مِنْ آثارِهِ في التُّقـى فَخْـرا

إنّ المصير الذي سار الشهيد إليه مثّل فرجا للآباء وعزاء،فرغم الألم والحسرة ،إلا أنّهم أعلوا من شأن منيّة الأبناء ، بتتويج الشهادة لهم في جنّات الخلود . كما أنّ إعلاء الشاعر من بطولات ابنه، كما فعل ابن أبي الخصال ، ميزة اقترنت بمفهوم الشهادة ،إذ كانت البطولة بمزاياها المختلفة طريقا إليها.

واستشهاد الأبناء تفرّد فيه الآباء،إذ لم يتطرّق الأبناء إليها بالتعبير والفخر نفسه ،فقد سيطرت عليهم حسرة مقتل آبائهم ،ولم يحتسبوا الشهادة بابا للعزاء ، ولا مفرّا من الأحزان، أو سبيلا لتخفيفها. فمقتل والد لسان الدين بن الخطيب في واقعة طريف([7])، لم يترك في نفس الابن سوى الحزن والسخط، دون وجود لمشاعر تعزّيها الشهادة ،فلم يؤبّنها، يقول([8]):

(الكامل)

لا كانَ يومُـكِ يـا طريـفُ فطالمـا أطْلَعْـتِ للآمـالِ بَرْقـا خُلّبـا([9])

ورميـتِ ديـنَ اللهِ منـكِ بفـادحٍ عـمّ البـسيطَ مُـشَرّقا ومُغَرّبـا

وخَصَصْتِنِي بالرّزءِ والثّكْـلِ الـذي أوْهى القُوى مِنّي وهـدّ المَنْكبـا([10])

---

[1] - ابن أبي الخصال :**رسائله** ،646والمراكشي ،ابن عبد الملك :**الذيل والتكملة** ،39/1.

[2] - الجلّى :الأمر العظيم .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (جلل).

[3] - الهيعة :هي صوت الصارخ للفزع ،وقيل :الصوت الذي تفزع منه وتخاف منه العدا .ابن منظور ،**نفسه**،مادة (هيع).

[4] - ثبج كل شيء :معظمه ووسطه وأعلاه والجمع أثباج وثبوج ،ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (ثبج).

[5] - الأوداج :قيل إنها ما أحاط بالحلق من العروق .ابن منظور : **نفسه** ،مادة (ودج).

[6] - ابن أبي الخصال :**رسائله** ،646 والمراكشي ،ابن عبد الملك :**الذيل والتكملة** ،39/1 .

[7] - للتعرّف على أحداث واقعة طريف التي استشهد فيها جماعة من الأكابر وغيرهم .ينظر :المقّري ،**نفح الطيب**، 15/5،14.

[8] - المقري :**نفسه** ،14/5،ولم أعثر على الأبيات في ديوان الشاعر .

[9] - البرق الخلّب :الذي لا غيث فيه ، كأنه خادع يومض حتى تطمع بمطره ثم يخلفك .ابن منظور :**لسان العرب**، مادة (خلب).

[10] - المنكب من الإنسان وغيره :مجتمع رأس الكتف والعضد .ابن منظور :**نفسه** ،مادة (نكب).

لعلّ من يقرأ الأبيات السابقة ،يتساءل:أين الشهادة فيما سبق ؟ أمّا أنا فأجيبه : بأنّ الابن لم يلتفت حينها إلى استشهاد أبيه ،الذي كان لا بدّ من تأبين مصيره شهيدا ،أكثر من مجرّد ذكر سبب وفاته ،وذلك بتمجيد استشهاده، والإعلاء من شأنه شهيدا ، والإشارة إلى ما ينتظره عند الله سبحانه من أرفع الدرجات مع الأنبياء والصديقين وذلك كما فعل الآباء في تأبين استشهاد أبنائهم ، لكن مشاعر الأسى والحزن واليأس سيطرت على نفس الابن هنا، ولم تسمح له التّغني بمصير أبيه الشهيد . وممّا يؤكّد استشهاده في تلك الحادثة ،ما جاء به أبو محمد عبد الله الأزدي في تعزيته ،مثنيا على الشهادة لوالد الشاعر وأخيه، وما سيكون لهما من الجنان وحور العين ، قال([1]): (الكامل)

يُهْنِي الشَهيديْنِ الشَهادةُ إنّها سببٌ يزيدُ مِنَ الإلهِ تَقَرّبا
وَرَدَا علَى دارِ النّعيمِ وحُورِها كَلَفا ببِرّهِما يَزِدْنَ تَرَحّبَا

وقد صوّر عبد الملك بن بشر مقتل أبيه على يد أبي جعفر المنصور تصويرا حزينا([2])، ولم يركّز على استشهاده ،بل جعل قتله ميتة انتهت بأبيه جثّة تتخبّطها الرياح، يقول([3]): (الرمل)

لَسْتُ أنْسى مَصْرَعًا مِنْ والِد سَيّدٍ ضَخْمٍ وعَمّ مُفْتَقَدْ
غادَرَتْهُ الخيْلُ في مُعْتَرك بيْنَ عَمّ وأَبٍ زاكٍ وجَدّ
تَسْهَكُ([4]) الرّيحُ علَيْهِ بالضّحى وتَعفّيهِ أعاصيرُ الأبَدْ

فلماذا سار الأبناء بعيدا عن ذكر الشهادة وفضلها ؟ولماذا لم يؤبّنوها ولم يشيدوا بها أو يثنوا عليها ؟ ولماذا لم يمجّدوا دربها كما فعل الآباء ؟ من الممكن أن تكون الظروف التي قتل فيها الآباء سببا لتقاعس الأبناء في الإشادة بهم ، فقد يكون مقتلهم في ظروف صعبة، سببا لغضّ أبصارهم عن مصير الشهادة ، وانجرافهم وراء مشاعر الغضب لمصير الوالد،

---

[1] ـ المقري **:نفح الطيب** ،13/5.

[2] ـ كان والد الشاعر بشر من أمراء الأموية ،فقتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاري آخر عمّال بني أمية على العراق ، فنجا ابنه في فلّ القوم إلى المغرب فقصد الأندلس ودخلها في صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية مع ابن عمه ،وسكن جواره بقرطبة ،ويعرف بالبشريّ . ابن الأبّار **:الحلة السيراء** 58/1.

[3] ـ ابن الأبّار **:نفسه** ،58/1.

[4] ـ سهكت الريح :أطارت ترابها ، وريح ساهكة وسهوك ...:عاصف قاشرة شديدة المرور .ابن منظور **:لسان العرب** ،مادة (سهك).

واقتصارهم على ما يملأ نفوسهم من مشاعر متضاربة ، قلّلوا فيها من شأن استشهاد الآباء دون قصد منهم. ونتيجة لذلك لم يعبّروا عن مقتل آبائهم بما استحقّوا ،رغم أنّ الشهادة لا تقتصر على التقدم إلى ساحات الحروب وخوضها، ليتمّ تحقّقها ،فقد يُقتل الإنسان أو يموت في ظروف أخرى تسمح له بنيلها ، وهذا ما حصل مع المعتمد بن عباد حين كان مصير أبنائه القتل في ظروف شبيهة إلى حدّ ما بظروف آبائهم التي قتلوا فيها([1])، أي أنّهم لم يكونوا في قتال مباشر مع الأعداء في ساحة الحرب ،فكان الترصّد بهم وقتلهم،فاحتسب أبوهم أجرهم ،وأبّنهم بما استحقّوا من التأبين،يقول([2]): (الطويل)

هوى الكوْكبانِ: الفــتْحُ ثُــمّ شــقيقُهُ يزيدُ، فهلْ بعدَ الكواكب مِــنْ صــبْرِ

أفتْحُ لقد فَتّحــتَ لــي بــابَ رحْمــةٍ كما بيزيدَ ،اللهُ قــد زادَ فــي أجــري

إذن ، ففشل الأبناء في تأبين الشهادة لآبائهم ،قابلته رغبة الآباء بالتعبير عن فكرة الشهادة وإعطائها المكانة التي تستحقّ،فلم يغضّوا أبصارهم عما حقّق الابن، رغم كلّ الظّروف الصّعبة التي مرّوا بها؛ وذلك مصدره الفطرة الربانية في نفوسهم، فاحتسبوا وتصبّروا وذكروا فضلها على الشهيد وعليهم . قال تعالى :" وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ([3]).

وقد وصف الآباء أبناءهم بصفات الفرسان المشرّفة، فسعيد بن الحكم مثلا، قال في قوّة ذراع ابنه ،وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره بعد([4]): (الكامل)

لــوْ أنَّ كفًّــا فــي الهيــاجِ تهُــزُّهُ لرَمــى بنــارٍ مثــلَ زنْــدٍ وارِ

و كان الحصري القيرواني خير من مثّل هذا الجزء من التأبين ،فقد أكثر من الإشادة بفروسيّة ابنه وشجاعته، رغم أنّ عمره لم يتجاوز التاسعة ،يقول([5]): (المديد)

كــانَ طِفْــلا لــو غَــزَا مائــةً لــمْ يَهُلْــهُ للْعِــدا عَــدَدُ

طــارَ للْعُلْيــا فَأَدْرَكَهــا بِجَنــاحٍ راشَــهُ الأسَــدُ

---

[1] - تنظر: حادثة استشهادهم :ابن خاقان :**قلائد العقيان** 67/1 -70 و 84 - 86 .

[2] - **الديوان** :105.

[3] - **آل عمران** /169 -171.

[4] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،54.

[5] - **الديوان** :111.

ويقول أيضا في تصويره مقدار هيبته([1]): (الخفيف)

كانَ نَجْمًــا يهابُــهُ القَمَــرُ الــسّعْــ دُ وشِـــــبْلا يَخافُـــــهُ الـــــضِّرْغامُ

لقد تعدّدت المواطن الذاكرة لشجاعة عبد الغني في ديوان أبيه ــ الحصري القيرواني ــ مما دفعني للتساؤل عن حقيقة تسلّح طفل لا يتجاوز التاسعة من عمره بصفات الشجاعة التي قد تكون كبيرة على من هو في سنّه ؟! فهل ذلك من باب إعلاء شأنه فقط ؟أم أنّ هناك أسبابا أخرى ؟.

لعلّ الإعلاء من شأن الابن هنا ، وبيان مقدار مصيبة الأب ،هي الدافع الأكبر لذكر الشجاعة في مواطن كثيرة ،إذ أشار إلى رؤيته لابنه في مفاخره العديدة، بمن هو في سنّ التسعين ،وفي ذلك مبالغة إلى حدّ ما في الوصف ،يقول([2]): (الكامل)

تسعينَ في المقــدارِ كــان كتِــسْعَةٍ فلقــد أقــامَ بهــا منــارَ مقــامي

ربّما كان السبب السابق ،أي الإعلاء من شأن الفقيد هو السبب في تعدّد مواطن ذكر الشجاعة ،وربّما كانت فنون القتال أساسا موجودة حقّا ضمن أسس التربية لابنه منذ الصغر، حتى وجد فيه أبوه الكثير من صفات الفرسان .إذ عرف عن العرب قديما حرصهم على تعليم أبنائهم فنون القتال والآداب المختلفة ،فهو يشير إلى تلقّنه الفروسية على يد الفرسان الشجعان، يقول([3]): (المنسرح)

ربّتْــــهُ فُرســــانُها فــــلا قَــــسَطٌ فــــي الخيــــلِ إلا درَى ولا صَــــبَغا ؟

وربّما كان إكثار هذا الشاعر في ديوانه من ذكر الحسّاد والشامتين يعود إلى ما اتّصف به ابنه من مآثر تفوق عمره ومن صفات الفرسان خاصة ،ومن هنا فإنّ هذه الدراسة من بدايتها إلى الكثير مما سآتي على ذكره ستثبت عكس ما جاء به ابن رشيق القيرواني عندما قال :" ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما ،وقلّة الصفات"([4])،فالأشعار في الدراسة ستثبت سعة المساحة المتاحة للآباء في رثاء أبنائهم الصغار ،حتى إنّ المرأة شهدت رثاء مميّزا تمثّل هنا ،بكثرته ومعانيه المتكرّرة والمتنوّعة ،ومن أهمّهم أبو حيان التوحيدي، وما قال في ابنته نضار ،فكيف يمكن إذا الجزم بصعوبة رثاء الصغار والمرأة والتقليل من شأنهما ؟ فالصغير بذرة ينتظر الأب رؤيتها تكبر؛ ليشهد ذلك لحظة بلحظة ،وكذلك المرأة التي مثّلت الابنة في دراستي .

---

[1] - **الديوان** :166.
[2] - **نفسه** :80.
[3] - **نفسه**:193.
[4] - **العمدة** :154/1.

وقد رثى يوسف الثالث ابنه الرضيع ، فأبّنه مفتخرا بشجاعة العائلة المالكة التي ينتمي إليها ،وافتخر بصنيعهم ، وشمل نفسه وذويه في تاريخ الشجاعة ،والسبب في ذلك أنه ملك ابن ملك،إذ يمثّل جزءًا من عائلة مرموقة في عصر بني الأحمر،يقول([1]): (الخفيف)

سألونا عمّا لدَيْنا اخْتِبارا ... فأجابتْ منّا النّفوسُ اعْتِبارا

نحنُ قومٌ إلى المنايا خِفَافا ... وثِقالا على الأعادي كِبَارا

إنْ هَوَى مِنْ سمائنا اليومَ نَجْمٌ ... فحمانا مُجَدّدٌ أقمارا

وإن كان الآباء قد ركّزوا في شجاعة أبنائهم على الشهادة ومكانتها وجزيل ثوابها من ناحية ،وعلى الإعلاء من شأن أبنائهم الصغار وفروسيّتهم كما فعل الحصري القيرواني من ناحية أخرى ،فإنّ الأبناء سلكوا طريقًا آخر في وصف الشجاعة ضمن قصائد رثاء آبائهم اقترب، إلى حدّ ما لما جاء به يوسف الثالث في تأبين صغيره ،لكنّ الفرق بين ما جاء به هذا الشاعر وأولئك الأبناء ، توجّهه مباشرة إلى رابطة الدم والنسب القريب ،أي أنّه أشاد بالأب والأجداد والعائلة الملكيّة التي لها صلة بصغيره. أمّا الأبناء، فقد ساروا بعيدا عن صلة الدم. فابن الجنّان وهو خير من مثّل هذا النوع من التأبين، انطلق ليؤبّن بدوره فاتحي الأندلس الذين كان لهم الدور الجبّار في تحريرها ،وإخراجها من جبروت الكفّار ،مبيّنا آثار القوة والعزيمة والصبر في نفوسهم حتّى حرّروها من الكفر والكفّار،يقول([2]) (البسيط)

أينَ الألَى رَفَعُوا أعلامَ ملّتِنا ... حتّى ارْتَقَتْ شَرَفًا لِلْمَجْدِ أوْ شَرَفا ؟

وأخْرَجُوا الكُفْرَ مِنْ جَنّاتِ أندلسٍ ... وأوْرَثوا الدّينَ مِنْها الرّوْضَةَ الأُنُفا

نَفَوْا مِنَ الأرضِ طاغُوتًا وطاغِيَةً ... وأرْغَمُوا أنُفًا قد أُشْرِبَتْ أنَفَا

وأشْرَقُوا بِجُرَيْعاتِ اللّمى غُصَصًا ... عِدًا أغَصّوا نواحِي الوَهْدِ والصّدَفا([3])

أزْمانَ أشْرَقَ مِنْ أنْوارِ رُشْدِهِمُ ... على الجزيرَةِ نورٌ أذهَبَ السّدَفا

الفاتِحُوها وما كانَتْ مَفاتِحُها ... إلا الصّوارمَ والخَطِيّةَ الرّعُفا([4])

والحابِسونَ عليها أنْفُسا صُبُرا ... لدى الكِفاحِ فلا مِيْلا([5]) ولا كَشَفا([6])

أولئكَ السّلَفُ الأعْلَوْنَ ذكرُهُمُ ... باقٍ وإنْ كانَ مَاضي عصْرِهِمْ سَلَفا

---

[1] ـ **الديوان** :86.

[2] ـ ابن المرابط **: زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 341 ،340.

[3] ـ الصدفا : كل شيء مرتفع ، ابن منظور **:لسان العرب** ، مادة (صدف) .

[4] ـ يقال : الرواعف : الرماح ، صفة غالبة أمّا لتقدمها أو سيلان الدماء . ابن منظور **: نفسه** ، مادة (رعف).

[5] ـ الميل : جمع أميل ، وهو الجبان أو من لا رمح أو سيف أو ترس معه . ابن منظور **: نفسه** ، مادة (كشف) .

[6] ـ الكشف : جمع أكشف ، وهو من لا يثبت في الحرب ، ابن منظور :**نفسه** ، مادة (كشف).

يا قــدّس اللهُ مِــنْهُمْ معــشَرًا كَرَمًــا بدَت مآثِرُهُمْ أوْصــافَ مَــنْ وَصَــفا
شريعةُ الشّرْعِ فينا بعْــدَهُمْ كَــدِرَتْ وكَمْ حَلا وِرْدُها قِــدْمًا بهِــمْ وَصَــفا
لو أبصروا كيف حالَ الحــالُ بعــدَهُمُ رَقّوا لنــا ،وأراقــوا الأدْمُــعَ الــذّرُفا
ولو أطــاقوا لقــاموا مــن قبــورهِمُ حتّى يُعيدوا زمانَ الفتْحِ مُؤْتَنِفــا ([1])

يتحسّر الشاعر على ما آلت إليه بلاده من غربة في دينها ،وذلّها من بعد عزتها، فيتساءل عن أصحاب الهمّة العالية الذين فتحوها من قبل ،ويأخذ بسرد بطولاتهم والإشادة بمفاخرهم ،وقدرتهم على إخراج النصارى من بلادهم ،وإذلال أصحاب العزّة منهم ،فقد فتحوا البلاد بقوة السيوف،متسلّحين بالإيمان والعزيمة والصبر، حيث لا محلّ بينهم لجبان أو فارّ من حمى الوطيس ،ولو كان لأمثالهم المستحيل ،لقاموا من قبورهم لصدّ طغيان الأعداء وردّهم عن دينهم ووطنهم ،لكنّه المستحيل بعينه ،وزمان الفتح لن يعود ثانية ؛لعجزهم عن القيام من قبورهم .

ولكن، لماذا كان توجّه ابن الجنّان إلى فاتحي الأندلس ،بينما كان بإمكانه الاكتفاء بالإشادة بأبيه فقط ؟ ربما لم تكن في الأب صفات الفرسان، ولعلّ هذا الشاعر احتاج مساحة أكبر للتأبين في قصيدته المشهورة في رثاء أبيه،فوجد غايته عند فاتحي الأندلس لا عند أبيه ، خاصة أنه قد عاصر سقوط المدن الأندلسية في القرن السابع الهجري بيد النصارى ،وشهد حالة الذل التي عاشها أبناء الأندلس في هذه الحقبة ،ولهذا كان لا بدّ أن يتذكّر أولئك الذين تحلّوا بشجاعة نادرة ففتحوا الأندلس ونشروا الإسلام فيها ،لينطلق إلى أهمّ من مثّل التاريخ الأندلسي في الشجاعة والفروسيّة؛ و لتشكّل الشجاعة حيّزا لا بأس به من قصيدته، رغم أنها بعيدة عن صلة القرابة والدم ،فلم يشد الابن بالأب والأجداد ممّن هم على علاقة به ،وممّن تسري دماؤهم في عروقه ،بل توجّه إلى غاية هي أسمى في نظره من مجرّد تأبين شجاعة أبيه،إلى حقيقة تشرّف بسماعها وتعرّفها من أحداث تاريخه الأندلسي.

[1] ـ أنفة الشيء :ابتداؤه ،ابن منظور : **لسان العرب** ،مادة (أنف) .

وهذا ما افتخر به ابن حمديس أيضا في القصيدة التي قالها في رثاء أبيه، يقول([1]): (المتقارب)

مـــضَى ســـالِكًا سُـــبْلَ آبائِـــهِ وأجـــدادِهِ الغُـــرُرِ الماضِـــيَة

كِـــرامٌ تَوَلّـــوا بريـــبِ المَنـــونِ وأبْقـــوْا مفـــاخِرَهُمْ باقِيـــة

إنّ الأبناء هنا لا يتصنّعون الأقوال والأفعال ،فإشادتهم بتاريخ أجدادهم تمثّل فضيلة يعتزّون بها ،والتاريخ العريق والأصل التّليد ذكرى يستغيثون بها من أجيالهم السابقة، وينظرون إليها بكلّ فخر وعزّة ،فكان تأبينهم لآبائهم بضمّ أصل بعيد، لا تربطهم به سوى علاقة الفخر الذهنية بصنيعهم ونصرهم الذي زال اليوم ،وهذه ميزة لتأبين الأبناء الشجاعة في رثاء الآباء ،إذ توجّهوا إلى التاريخ الموجود فعلا ،والمرتبط ذهنيًّا بحاضرهم ومستقبلهم. على عكس الآباء ممّن رغبوا في حصر صفات الشجاعة والفروسيّة على أبنائهم دون غيرهم وتفرّدهم بها ،والتغنّي بصفات قد تكون موجودة فعلا ،أو أنّها مصطنعة متخيّلة في ذهن الأب، يرغب بعرضها التخفيف من أوجاعه وآلامه.

ووصف طرفا الدراسة أثر الكرم الذي تحلّى به من فقدوا ،فهي خصلة حثّ عليها الإسلام ، وحرص أجواد العرب على أن تكون فيهم، وإحدى أخلاق أبنائهم ومزاياهم، لذا فقد أشاد بها الآباء في أبنائهم ،والأبناء في آبائهم ؛ فخرا بخُلُق جمع بين الواجب الديني من جهة ،وبين واجب الإنسان العربي من جهة أخرى.

فها هو أبو حيان التوحيدي يشير إلى جود ابنته نضار ،بأن وظّف فعل السخاء بصيغته المضارعة ؛ للدلالة على الاستمرارية في الجود والكرم ،مميّزا سخاءها بعطاء الدنانير لا بالأفلاس ،يقول([2]): (الطويل)

وحَامِلَةِ الآثـــارِ عـــنْ ســـيِّدِ الـــوَرى مُحَمّـــدٍ المَبْعـــوثِ للجـــنِّ والإنـــسِ

روَتْها بمصرَ والحجازِ وجَـــاوَرَتْ[3] بمكةَ تـــسْخو بالـــدَّنانيرِ لا الفَلْـــسِ

وربما قصد الشاعر من الأبيات السابقة سخوّ ابنته في نشر علمها الذي حملته من سنّة المصطفى عليه السلام ،وهذا لا ينفي عنها صفة الكرم ولو اختلف نوعه .

---

[1] - **الديوان** :524.

[2] - **الديوان** :230.

[3] - وردت هذه اللفظة في الديوان (جاووت) .

وقد أشار محمد بن جبير الكناني إلى كرم ابنه بتوظيف الفعل الدال على(اللذة)،فلذّة الفقيد كانت بكثرة العطاء والجود ،بعيدا عمّا تحمل لفظة اللذة من معان متعارف عليها عادة وغالبا في حياة الشباب ،وقد أعطى الشاعر جود الابن الشأن العالي، بأن جمع بين ألفاظ متشابهة في معناها إلى حد ما (الجود والكرم)، رغم تكلّفه بعض الشيء في التعبير عن فكرته ،يقول :([1])

(الطويل)

جوادًا كـــريمَ الـــنَّفْسِ تَلتَـــذُّ بالنَّـــدى فَتَسْخو ولا تُخفي ،وتُحْيي ولاتَجْبِي([2])

لقد سعى الآباء في تأبينهم لجود أبنائهم إلى التضخيم من شأنهم ،وإضافة صفات تظهر مدى الخسارة التي ابتلوا بها ، وهو أمر شهدناه ، والمغزى واضح فيه ؛ إذ إنّ إضفاء كلّ الصفات الجليلة على الابن المتوفّى لا تكفي؛ لنقل مقدار خسارة الأب الثاكل لابنه ،فصفة الجود قد يتّصف بها الابن في الحقيقة ،لكنّ رغبة الآباء في تعظيم شأنها فيما سبق أمر ملحوظ فعلا .أمّا الأبناء فلا يضطّرون إلى التكلف في وصف جود آبائهم ،إذ يصفونه بعيدا عن المبالغات ، لأنّ الواقع المشهود وجدوه وعاينوه بأنفسهم .فيوسف الثالث مثلا ،تساءل عن الكرم بعد أبيه والسخاء الذي كان ،يقول(3):

(الطويل)

خليليّ أيـــنَ الـــصّبرُ منّـــا ويوســـفُ وأيـــن أياديـــه الكريمـــةُ تُـــصْرَفُ

إنّه إطراء يحاول به إعطاء المكانة المناسبة لأبيه الملك، فالجود سمة في خصاله الحميدة وركيزة مهمة.

وقد أعطى عمر بن أحمد مكانة متميزة لأبيه في جوده وكرمه ،فكفّه تفيض بخيراتها لذوي الحاجة ،وهي عادة استمرت طيلة حياته ،يقول(4): (الطويل)

وكانـــت لـــهُ كـــفٌ يَفـــيضُ نَوالُهـــا مَدى الدَهرِ عن ْ تِسْكابِها ليسَ تقلِـــعُ

يبدو أنّ العمق في تأبين الأبناء(5) لجود آبائهم أكثر، والصدق الملموس في القصد أكثر وضوحا من وصف الآباء لجود أبنائهم؛ فالآباء وكبار السن عادة أكثر حرصا على جود العرب منه عند أبنائهم ،فيوسف الثالث قصد تمييز صفة الكرم في أبيه الملك ،الذي كان لا

---

[1] - ابن خميس : **أعلام مالقة** ،148.وقد اعتمدت هذا المصدر في توثيق البيت السابق بدل أدباء مالقة لأسباب تتعلق بالتحقيق .

[2] - اجتبى الشيء اختاره .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (جبى).

3- **الديوان** : 144

4- ابن الأبّار **: الحلّة السيراء** 214/1

5- . كان ابن شكيل من الأبناء الذين وصفوا كرم آبائهم وأعطوهم حقهم ضمن رثاء آبائهم . ينظر **: ديوانه** ، 83

بدّ من حرصه عليها ،كملك مسؤول عن رعيّته . وأظهر عمر بن أحمد كرم أبيه وميّزه، بجعل كرم أبيه مدى الدهر كالشيء المسكوب. فإدراك الأبناء هنا للجود كميزة لأجواد العرب يعرفون بها ، ولمعنى اتّصاف الآباء بالكرم وأهمّية ذلك، كان دافعا إلى تأبين جودهم؛ والفخر الحقيقيّ لأنفسهم ،كفرع لأصل كريم عرف بسخائه وانتمائهم إليه .

وقد كان للبر مكانته في الدراسة ، إذ تمثّل بالإحسان والعطاء الذي تميّز به المرثي المؤبّن. فكيف كان تعبير كلّ من الآباء والأبناء عن برّ الطرف الآخر ؟وهل أدّى الطرفان حقّ المرثي في الاعتراف ببرّه وإحسانه إليه؟ وهل سعى الآباء كعادتهم إلىالإعلاء من شأن أبنائهم في هذه الصفة أيضا ؟

حرص الأبناء على فكرة البر ؛ التزاما بعقيدة الإسلام ،وردّا على معروف أب متفان منحه لهم ،فقد حثّ الإسلام على برّ الوالدين،وكانت أسس التربية الصحيحة جزءا لا يتجزأ من هذا البر، بالدعوة إليه والترغيب فيه،،قال تعالى :" ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا "([1])،وقد أشاد الآباء بالبر الذي وجدوه في حياة أبنائهم،فكان منهم من أثنى على برّ ابنه له وحرصه على إرضائه،متأسّفا على إحسان افتقده إلى الأبد ، وطاعة غادرت مع الابن الراحل. فقد صاح الحصري القيرواني مفتقدًا بر ابنه عاليًا ،فخورًا به رغم أحزانه، يقول([2]): (الطويل)

بَكَــوْهُ وقــالوا :أيّ بِــرٍّ وفالِــذٍ ([3]) وجَــدْنَاهُ مِــنْ كُــلّ أبَــرّ وأفْلَــذا

فَغاثُوا([4]) به والأرضُ رَيًّا مِنَ البُكــا وطــافُوا بِرَيّــا قبــرِه طيّــبِ الــشّذا

أمّا سعيد بن الحكم فيعطي مساحة أكبر لبرّ ابنه، مصوّرا مقدار مصيبته ،بأن نعت ابنه بصفات عدّة، تدلّ على برّه. يقول([5]): (الكامل)

أوْدى المُسَمّى باسْمِ خيرِ النّاسِ والسْــ سَــامِي إليــه بــه كــريمُ نُجَــارِ

---

[1] - **الإسراء** /23، 24.

[2] - **الديوان** :115

[3] - يفلذ فلذا :قيل هو العطاء بلا تأخير ولا عدة ،وقيل هو :أن يكثر من العطاء .ابن منظور :**لسان العرب** ،مادة (فلذ).

[4] - غيث القوم ،أصابهم الغيث ،وفي حديث رقيقة :ألا فغثتم ما شئتم غثتم ،أي سقيتم الغيث وهو المطر ،والسؤال منه غثنا ومن الإغاثة بمعنى الإعانة أغثنا .ابن منظور :**نفسه** ،مادة (غيث).

[5] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،55.

أوْدى مُحمّـدٌ ابنـيَ البَـرّ ،الـصّفْيـ يُ، المُعْتَـزِي للـصّفْوَةِ الأبـرارِ

وقد أشار ابن حمديس لبر ابنته وشيء من مزاياها في رثائها، ليتفق مع ما سبقه من الآباء في تأبين بر أبنائهم المرثيين([1]).

كما صوّر ابن أبي الخصال كيف كان يشدّ أزره بولده البر ،يتحامى به من شرور الأعداء،لينقل بذلك صورة الأب الضعيف الذي يستمدّ قوته من وجود الأبناء الشباب في حياته وبرّهم له ، وهو شعور مرافق لنكبة أب ابتلي في ولده ،فالابن البر لأبيه هو من ينفعه في لحظات ضعفه وشدته . يقول([2]): (الطويل)

وكانَ ظهيـرًا لـي علـيهِمْ وفـيهِمُ أشُدّ بـه أزْرا وأحْمـي بـه ظَهْـرا

وقد أشار هذا الشاعر في رسائله إلى مقدار افتقاده لابنه بمفارقته الأبدية؛ لما كان عليه من برّ وصلاح له وحتى لغيره من ذوي المكانة وأهله وأترابه، وهو أمر فاقم مصيبته وعظّم من شأنها ([3]).

وإن كان الآباء قد تأسّفوا على البرّ الزائل من أبنائهم ،فقد جاء الأبناء في المقابل؛ ليعبّروا عن برّ قدّمه الآباء لهم في حياتهم،عن عطاء لا ينتظر المقابل ،وسهر وإفناء للنفس في سبيلهم ،وحرمان لسدّ جوعهم ،وحسرات كبتت ؛لأجلهم ،فعبّروا عن العطاء وأشادوا به، وحرصوا عليه وأوصوا به ؛استمرارا لرحلة اعتراف الابن بجميل أبيه عليه وجزيل أفعاله . فهذا ابن الجنّان أبدى رغبة شديدة في تأصيل أبيه وتفصيل عطائه ،إذ يؤبّن عطاياه له ولإخوته ، ويذكر مواقفه وحنانه، وحرصه عليهم في حياته ، مشدّدا على أخويه عدم نسيان ذلك ،يقول([4]): (البسيط)

ولا تَمـلا بكـاءً طـولَ دهْرِكُمـا على أبٍ لـمْ يمَـلّ الـرّحْمَ والرّأفَـا
غَـذَا وربّـى وأوْلَـى كـلّ عارِفَـةٍ وبالحنـانِ لنـا فـي ظِلّـه كَنَفَـا
وحاطَ واحْتاطَ والـرّحمنُ يـشْكُرُهُ وفي جَنابِ الرّضـا وطّـا لنـا كَنَفَـا
وكـان إنْ ألَـمّ يومًـا ألَـمّ بنـا يظـلّ مُنْكَـسِرَ الأضـلاعِ مُنْقَـصِفا
مُـسَهّدَ الجفْـنِ لا تَرْقَـا مدامعُـهُ كأنّمـا طَرْفُـهُ مِـنْ دوننـا طَرَفـا
ما كان يرضَى سُلُوّا لو أصـيبَ بنـا فـإنْ سـلوْناهُ لا عَـدْلا ولا نَـصَفا

ويقول([5]): (البسيط)

---

[1] - ينظر **:الديوان** ،366.

[2] - ابن أبي الخصال :**رسائله** ،646 والمراكشي ،ابن عبد الملك **:الذيل والتكملة** ،40/1 .

[3] - ينظر : ابن أبي الخصال :**رسائله** ،296 ،297.

[4] - ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،351،352 .

[5] - ابن المرابط **:نفسه** :352.

أيـــامَ علّمَنـــي التنزيـــلَ يمنحُنـــي منهُ الهُدى وعلى أخْذي لـــهُ اللّطَفَـــا

إنها صفات الأب الحاني على صغاره ،وجدها ابن الجنّان في أبيه ،وأشاد بها بحسرة الرثاء . قد ظلّت محفورة في ذهنه بصورها وذكرياتها ، مصمّما على حملها في صدره، ورافضا نسيانها أو تناسيها ، فعطاء الأب لأبنائه ،كان دون مقابل ،إنّه تصرّف نابع عن غريزة ربّانية زرعت في أعماق قلبه ، لا يكون فيها منّ ولا أذى .وقد شارك ابن شكيل ابن الجنّان في التعبير عن الفكرة نفسها في رثاء أبيه والاعتراف بفضله وعطائه ([1]).

ويجمع سعيد بن الحكم بين الحب والتفاني الذي كان يقدّمه لابنه ،وما قابله في المقابل من برّ ولده وحرصه على تلبيته في كلّ حين ،وهي أمور تبيّن ضرورة قيام كلّ طرف بواجبه تجاه الآخر، يقول([2]): (الكامل)

ولقدْ مَنَحْتُـكَ مِـنْ ودادِيَ مـا غَـدَا عَمْرو بنُ شَـأْسٍ يـدّعي لِعَـرار ([3])
قد كنتَ لي مثلَ الـصّدى إمّـا دَعَـوْ تُ إجابـــةً إلا مزيـــدَ حِـــوار
فالآنَ عاقَكَ عـن إجابـةِ دعْـوَتي بعـدُ الحِمـامِ علـى دُنُـوّ الـدّارِ

وإن كان الأبناء فيما سبق ،قد صوّروا فكرة حنان آبائهم ،وحصروها على أنفسهم في الرعاية والسهر والحرص، إلا أنّ بعض الآباء أعلوا من شأن برّ أبنائهم ، كما فعلوا في الكثير من مواطن التأبين ،بأن جعلوا برّهم يشمل من هو أكثر بعدا من الأب؛ تعظيما لبرّهم ولشأنهم ، وهو أمر ملحوظ في مناقب الأبناء الحميدة ،ومنهم محمد بن جبير الكناني ،إذ جعل برّ ولده لذوي القربى أيضا، والمرء لا يكون برّا بقرابته ،إلا إذا كان برّه قد وصل أهل بيته قبل ذلك ،ممّا يوسّع بؤرة برّ الابن هنا ،يقول([4]): (الطويل)

وكُنْـتَ وَصُـولا للقرابـةِ جارِيًـا بمرْضاتِهِمْ بَرّا بريئًـا مِـنَ العُجْـبِ

ويجعل أبو حيان التوحيدي برّ ابنته يصل إلى ذوي الحاجة ،فإن كان ذلك يضمّ الإحسان والجود ،إلا أنّه استخدم لفظة البرّ لتصويرها، يقول([5]): (البسيط)

وذاتُ بـــرّ لـــذي فَقْـــرٍ ومَـــسْكَنَةٍ تبـــرّه ُخِلْـــسَةً لا ترْقَـــبُ العَنَـــا

---

[1] - **ينظر :الديوان** :83.
[2] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،56.
[3] - هو عمرو بن شأس ،شاعر كثر شعره في الجاهلية والإسلام ،كان له ولد يقال له عرار من أمة سوداء ،وكانت امرأته تؤذيه وتستخف به فقال عمرو لها : (الطويل)
أرادت عِرارا بالهوان ،ومن يُرِدْ عِرارا ،لعمري ،بالهوان فقد ظلم
.ينظر :الجمحي :**طبقات فحول الشعراء** 196/1 -200
[4] - ابن خميس :**أدباء مالقة** ،134.
[5] - **الديوان** :230.

وتغنّى الآباء بمناقب أبنائهم المختلفة ، فابن عبد ربه مثلا أشار إلى مآثر ولده التي كانت دافعًا لحسده من قبل الناس في نظره،إذ جمع بين الصلاح والسماحة، يقول([1]):

(الكامل)

الآنَ لمَّـــا أنْ حوَيْـــتَ مَـــآثرًا أعْيَتْ عَدُوًّا فـــي الـــوَرى وحَـــسُودا

ورَأيْتُ فيكَ مـــنَ الـــصَّلاحِ شَـــمائلا ومِـــنَ الـــسَّماحِ دلائـــلاً وشُـــهودا

إنّ توظيف الشاعر للفظة حوى بقوله (حويت) ،يعمّق من المدلول اللفظي لهذه المآثر، فقد جعل من ابنه شيئا عميقا يستوعب الكثير من المآثر الحميدة؛ ليعلي من شأنه عاليا.

وقد صوّر الآباء صفات أخرى في أبنائهم ، مثل الذكاء ،فالحصري القيرواني وصف قدرة ابنه المتمثّلة بذكائه المتمتّع به ومداه، يقول([2]): (الخفيف)

يَقِـــظٌ عَـــدّتِ العقـــولُ ذكـــاءً قَبَـــسًا مـــن ذكائِـــه مَـــشْبوبا

قبـــلَ أن يكتُـــبَ العُـــشورَ يَعِيهـــا فيـــرَى النـــاسُ منـــهُ أمـــرًا عجيبـــا

ويصوّر يوسف الثالث فهم ابنه المتوفّى وقدرته على حلّ الأمور التي تصعب على المتّصفين بفهمهم للأمور، فهو يفوقهم في آرائه،وهي صفات تحمل معاني الذكاء والحكمة، يقول([3]): (الطويل)

إذا مشكلاتُ الأمـــرِ أظلَـــمَ ليْأهَـــا ([4]) ولم تُـــورَ فـــيهِنّ العقـــولُ القـــوادحُ

وعزّ علـــى الأفْهـــامِ مُـــبْهَمُ حُكْمهـــا فـــآراؤهُ فـــي لـــيلِهِنّ مَـــصَابِحُ

جلالـــةُ قَـــدْرٍ واقْتبـــالُ شـــبيبةٍ وعِـــزّةُ نفْـــسٍ جانَبَتْهـــا الفـــضائِحُ

ومن الصفات الخلْقية في تأبين الآباء لأبنائهم أيضا صفة الحياء، وربّما تكون ملازمة الإنسان منذ صغره ،لذا فإنّها تزاوج بين الخَلْق والخُلُق ،فمن ذلك ما قال سعيد بن الحكم في حياء ابنه([5]): (الكامل)

وفَقَدْتُـــهُ عـــضْبًا صَـــقيلا صـــارِمًا أمْـــضَى إذا يَنْـــضَى مِـــنَ المِقْـــدارِ

---

[1] - **الديوان** :72

[2] - **الديوان :86.**

[3] - **الديوان** :186.

[4] - اللياء :حب أبيض ، مثل الحمّص شديد البياض يؤكل ،ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (ليأ).

[5] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،56.

بمـــآثِرٍ غُـــرٍّ مُحَلّـــى لا بِأثْـــــ ر ٍ مُغْنِيًـــا خُبْـــرًا عـــنِ الإخْبـــارِ

تنْـــدَى صـــفيحَتُهُ حيـــاءً أو حَيَـــا فتكـــادُ تَقْطُـــرُ وهْـــيَ مـــاءٌ جـــارِ

كما فصّل ابن الجياب في صفات ولده المرثي وعدّد الكثير من الصفات التي رآها فيه، وجعلها ضمن التأبين في رثائه([1]).

إنّ الذكاء والفهم والحياء ،كلّها صفات ذكرها الآباء في أبنائهم . لكنّي لم أجد لها نظيرا في تأبين الأبناء لآبائهم ،فكلّ الذي وجدت هو ما تطرّقوا لذكره فيما سبق من كرم ومكارم ورجاحة للعقل والنصح ، على نحو ما جاء به ابن شكيل وابن حمديس مثلا ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنّ تميّز الابن بذكائه وحيائه منذ الصغر ،يكون ميزة تسترعي الانتباه وتمثّل سببا للتعجّب والذكر دائما .أمّا الآباء ،فإنّ تميّزهم بالذكاء والحياء لا يجذب الانتباه بالقدْر نفسه ،لأنها صارت صفات قديمة ملازمة للأب، حتى تناساها الأبناء مع الزمن رغم وجودها ودون قصد منهم .

تبدو رغبة الآباء واضحة في الإطناب والتفصيل في صفات أبنائهم الحميدة السابق ذكرها؛ للتعبير المفرط عن مقدار الخسارة ، والحنين لعزيز مفقود ،وهذا هو حالهم جميعا في الغالب ،إذ يفصّلون ويزيدون بدل الاختصار والإيجاز ؛تعظيما لشأن المصيبة في فقد أبنائهم، فليس لهم اليوم من حياة إلا أشعارهم ،للتعبير عن أكثر مزايا أبنائهم الحميدة ، التي ينبغي أن تُذكر وتخلّد من بعدهم .أمّا الأبناء ،فقد ركّزوا على صفات أخرى ،كان محلّها في مواضع أخرى من هذا الفصل ، سنقف عندها.

ثانيا ــ العِلْمُ والتديّن

حرص الآباء على تصوير قدرات أبنائهم الثقافية العلمية ،في محاولة الإثناء على علمهم المفقود. فقد أثنى ابن عبد ربه على فصاحة ابنه ،حين جعله نادرا في علمه؛ لإلمامه بشتّى أنواع العلوم ،يقول([2]): (الكامل)

بـــأبي وأمّـــي هالكًـــا أفرَدْتُـــهُ قـــد كـــانَ فـــي كـــلِّ العلـــومِ فريـــدا

---

[1] - ينظر :الحبّازي ،مشهور :**ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية، 1983/1982م،157

[2] - **الديوان :71.**

ولم يكتف الشاعر بما سبق في الثناء على ابنه ،بل جمع فيه بعض الشخصيات الفريدة،التي عُرفت بثقافتها العميقة عبر التاريخ ؛ لفقهها وجهادها ،إضافة إلى علماء نحْويين كبار، وشعراء اشتهروا بأشعارهم([1]) ،يقول ([2]): (الكامل)

لـــمْ نَـــرْزَهُ لمَّـــا رُزِئْنَـــا وحـــدَهُ وإنِ اســـتقلَّ بـــه المنُـــونُ وحيـــدا

لكنْ رُزِئْنا القاســـمَ بـــنَ مُحَمَّـــدٍ ([3]) في فَضْلِه والأســـودَ بـــنَ يزيـــدا ([4])

وابنَ المباركِ ([5])في الرَّقائقِ مُخْبِـــرًا وابنَ المُسَيَّبِ ([6])في الحديثِ ســـعيدا

والأخْفَـــشَيْنِ([7]) فـــصاحةً وبلاغـــةً والأعـــشيينِ([8]) روايـــةً ونـــشيدا

إنّ جمع الشاعر لكلّ الشخصيات السابقة في ابنه الفقيد ينقل صورة لمزاياه، وحنينا من الأب إلى ابنه المتوفى،وعلمه وثقافته المفقودة ،ومدى الآمال التي طافت في حياة الأب الثكلان.

وقد عبّر محمد بن جبير الكناني عن الفكرة السابقة ،فبيّن حبّ ابنه المتوفى للمطالعة والكتب([9]). وبينما وجدت حرص الآباء الشديد على الإشادة بثقافة أبنائهم، والمبالغة في نقل

---

[1] - ينظر : صالح ، مخيمر : **رثاء الأبناء في الشعر العربي** ، 42.

[2] - **الديوان :71 ، 72.**

[3] - هو أبو محمد ،القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة، عرف بفقهه وأخلاقه وحسبه،وقد روى الحديث عن جماعة من الصحابة ،كما روى عنه جماعة من كبار التابعين. تنظر ترجمته :الأصبهاني :**حلية الأولياء** 183/2 -187وابن خلكان :**وفيات الأعيان** 59/4 -60 وابن حجر العسقلاني :**تهذيب التهذيب** 333/8-335.

[4] - هو الأسود بن يزيد بن قيس من "النخع " ،من الفقهاء البارزين في عصره ،كان مفرطا في الصوم وقيام الليل والحج وقراءة القرآن توفي سنة 74هـ .تنظر ترجمته :ابن قتيبة :**المعارف** 432 والأصبهاني :**حلية الأولياء** 102/2 -105.

[5] - هو عبد الله بن المبارك من أهل (مرو) ،أحد الأعلام في عصره ،عرف بطلبه للعلم وتصنيفه للتصانيف، وحديثه حجة بالإجماع ،توفي سنة 181هـ .تنظر ترجمته :ابن قتيبة **:المعارف** 511 والذهبي **:سير أعلام النبلاء** 378/8 -381.

[6] - هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي ، من بني مخزوم ،من أفقه أهل الحجاز وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة ،وكان من أكثر الناس تعبيرا عن الرؤيا ،توفي بالمدينة المنورة سنة 94هـ .تنظر ترجمته :ابن قتيبة : **المعارف** 437 ،438 والأصبهاني **:حلية الأولياء** 161/2 -175 وابن خلكان :**وفيات الأعيان** 375/2 -378.

[7] - الأخفش الأكبر :هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ،من النحويين اللغويين الذين أخذ عنهم سيبويه. تنظر ترجمته :ابن خلكان :**وفيات الأعيان** 301/3 . أمّا الأخفش الأصغر فهو :أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي النحوي ، من ثقات العلماء النحويين في عصره ،وقد روى عنه المبرد وثعلب وغيرهما . تنظر ترجمته: ابن خلكان :**نفسه** 301/3 . أمّا الأخفش الأوسط :فهو سعيد بن مسعدة ،أحد أئمة النحاة البصريين ،وقد أخذ النحو عن سيبويه .تنظر ترجمته :ياقوت الحموي :**معجم الأدباء** 224/11 -230 وابن خلكان **:نفسه** 380/2 -381.

[8] - أشهر من لقب بالأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل شاعر مشهور كان أعمى ويكنى أبا بصير من الجاهليين القدماء ومن شعراء المعلقات العشر ،ويسمى صناجة العرب . تنظر ترجمته :ابن قتيبة :**الشعر والشعراء** 157/1 -266، ومنهم أيضا أعشى باهلة،وهو عامر بن الحارث الشاعر المشهور .ابن سلام الجمحي :**طبقات فحول الشعراء** 203/1.

[9] - ابن خميس :**أدباء مالقة** ،134.

علمهم وحجمه .في حين أنّ الأبناء لم يعطوا هذه الميزة الحقّ الذي تستحقّ **في** تأبينهم لآبائهم ، فلم يتطرّقوا إلى وصف ثقافة الآباء العلمية إلا نادرا ، وقد جاء ذلك في صورة غير مباشرة إلى حدّ ما ،فأبو الحسن يقول في أقوال أبيه الخالدة([1]):

(الطويل)

أبي قالَ قوْلا سارَ في البَدْوِ والحَضَرْ وخَلّفَ في الباقينَ ذِكْـرًا وقـدْ غَبَـرْ

وأسْـلَفَ إحـسانا أوانَ اقتبالِـهِ وخافَ مِنَ التّقصيرِ في حيّـزِ الكِبَـرْ

إنّه تخليد لذكرى الأب بعلم وأقوال خالدة ، خلّدت من بعده على مرّ الأجيال . وممّا دفعني إلى وضعه في هذا المكان ،ما جاء في الذيل والتكملة في وصف والد الشاعر: "وكان أديبا كاتبا بليغا شاعرا مجيدا "([2]) .لذا فقد ربطت بين المقالة في الوالد وبين الكلام الذي جاء به الشاعر في قول أبيه ، الذي انتشر بين البدو والحضر؛ للدلالة على ثقافته العلمية .

إنّ الفرق شاسع بين وصف الأبناء لفصاحة آبائهم وثقافتهم ، وبين وصف الآباء لفصاحة أبنائهم ،فهل وجد ابن عبد ربه كلّ تلك الشخصيات التاريخية حقا في ابنه المتوفّى ؟!

إنها رغبات الأب الدائمة في الإعلاء من شأن ابنه الفقيد ،ومحاولاته المتكرّرة لإلباس الحزن والحسرات كساء المزايا ، وأفضل الخيارات المتاحة في الوصف .

لكنّ السؤال هنا لا زال مستمراً، لماذا لم تشكّل تلك الثقافة حيّزا مهمّا في أشعار الأبناء ، رغم أنّ معظم الآباء قديما عرفوا بثقافاتهم وعلمهم المنوّع ؟ . لقد ركّز الأبناء على التزام آبائهم الديني ،إذ افتخروا بمدى التزام آبائهم بتعاليم الشريعة الإسلامية ،فوصفوا حنينهم إلى تلك المثالب، ورؤية آبائهم من جديد في مساجد الله؛ للصلاة وتلاوة القرآن .

فهذا عمر بن أحمد يتذكر ما كان والده يحرص عليه من قيام الليل والصوم والصلاة، يقول([3]): (الطويل)

وكانتْ لهُ جفْنٌ تُجافِي عـنِ الكَـرَى ونفـسٌ تُنـاجِي اللهَ والنـاسُ هُجّـعُ

وصـومٌ وتـسبيحٌ وذِكْـرٌ وخَـشْيَةٌ وطـولُ صـلاةٍ أجْرُهـا لا يُـضَيّعُ

---

[1] ـ المراكشي ،ابن عبد الملك :**الذيل والتكملة** ،**28/5.**

[2] ـ المراكشي ،ابن عبد الملك :**نفسه** ،27/5.

[3] ـ ابن الأبّار :**الحلّة السيراء** ،214/1.

وربّما يرجع السّبب في تركيز الأبناء([1]) على الناحية الدينية للآباء المتوفّين ،وتغليبها بشكل واضح على الثقافة العلميّة،إلى محاولتهم تعزية أنفسهم بمقدار الأعمال الصالحة لآبائهم، وجلبها بتفاصيلها ؛ لتخفيف الألم عن نفوسهم ،بحسن أعمال آبائهم ، التي ستضمن لهم الأجر في ميزان حسناتهم عند الله سبحانه ،لا سيّما أنّ الآباء غالبا يتجاوزون سنّ الشباب إلى سنّ الشيخوخة، حين يرأف بهم الصغير، ويتمنّى لهم حسن الختام في الدنيا والآخرة. وربما يكون ذلك ما وجّه الأبناء إلى الاهتمام بهذه الناحية دون غيرها .

وبينما أعطى الأبناء كما شهدنا ،حيّزا لا بأس به لالتزام آبائهم الديني ،لم يقصّر الآباء مطلقًا في تأبين أبنائهم بهذه الصفات ، إذ وصفوا في أشعارهم حرص أبنائهم على دينهم ، فالحصري القيرواني مثلا وصف حرص ابنه على الذهاب إلى المسجد ،وتلاوة القرآن، يقول([2]): (الكامل)

يَغْـــدُو لِمـــسْجِدِهِ فيَغْـــدو سَـــابقًا كالـــصُّبْحِ أفْلَـــتَ مـــن يـــدِ الظَّلْمـــاءِ

مُـــسْتَوْضِحًا لجبينـــــهِ ،مُتَرَنِّمًـــــا بالـــــذِّكْرِ قبْـــلَ تَـــرَنُّمِ الورْقـــاءِ

باللَّيـــلِ يقْـــرَا والنَّهـــارِ كأنَّمـــا يتجنَّـــبُ الإعفـــاءَ للإعْفـــاءِ([3])

كما بيّن ما كان عليه ابنه من حسن ترتيل للقرآن الكريم ،وإقبال عليه والتزام منه بأحكام التجويد ،وما ذاك إلا تأبين لشدة إيمانه ، وافتقاد لهذه المآثر من قبل أبيه، يقول([4]):

(الخفيف)

أيـــنَ ترتيلُـــهُ الكتـــابَ ومغـــدا هُ إليـــــه بعزْمَـــــةٍ لا بِعَجْـــــزِ

أيـــن تَرْقيقُـــهُ وتفخيمُـــهُ الـــرّا ءَ وتحقيقُـــــهُ لمـــــدّ وهمْـــــزِ

لكنّ الآباء لم يكتفوا بالإشادة بالتزام الأبناء الديني ،لكنّهم على عادتهم حاولوا تضخيم شأنهم أكثر، فقد جمعوا أيضا بين العلم والدين في الأبيات الشعرية نفسها ،فزاوجوا بينهما؛ حرصا منهم على إعطاء أفضل المزايا لأبنائهم ، بإبراز محصولهم العلمي ،الذي جمع في جعبته ثقافة علمية دينية في الوقت نفسه،بما فيها من علوم تعلّقت بالقرآن وعلمه والسنة الشريفة ونظم للشعر ...إضافة إلى مهارات أخرى تُمكّن طالب العلم من أهدافه.وقد كان أبو

---

[1] ـ كان أبو الربيع الداني وابن شكيل من الشعراء الأبناء الذين شاركوا عمر بن أحمد الفكرة نفسها في تأبين تديّن آبائهم . ينظر :ابن سعيد المغربي :**اختصار القدح المعلّى** ،123 وابن شكيل :**الديوان** ،83.

[2] ـ **الديوان** : 81.

[3] ـ الاستعفاء : أن تطلب على من يكلفك أمرا أن يعفيك منه ،يقال :أعفني من الخروج معك ،أي دعني منه، واستعفاه من الخروج معه ، أي : سأله الإعفاء منه .ابن منظور **:لسان العرب** ،مادة (عفا).

[4] ـ **الديوان** :134.

حيان الأندلسي خير من جمع تلك الصفات المتنوعة في ابنته نضار ،إذ أفاض فخرا في ذكر مزاياها علميا ودينيا، يقول([1]): (الخفيف)

شُغِفَتْ بـــالقرآن والنَّحْـوِ والخَطْـــ ط وفاقَـــتْ بـــهِ جميـــعَ العَـــذارَى
واعْتَنَـــتْ بالحـــديثِ سَـــمْعًا وكَتْبًـــا فَـــرَوَتْ جُمْلَـــةً مِـــنَ الآثـــارِ

ويقول([2]): (الرمل)

تَلَـــتِ القُـــرآنَ غَـــضًّا مُعْرَبًـــا لـــيْسَ تـــصْحيفًا ولا لحْـــنٌ عَـــرَا
ووَشَـــتْ بـــالحِبْرِ فـــي مُهْرَقِهـــا وشْـــيَ خَـــطٍّ قـــدْ تَجلَّـــى أسْـــطُرا
بحديثِ المُـــصْطَفى والفقْـــهِ والنْـــ نَحْـــوِ والـــشِّعْرِ الَّـــذي قـــدْ حُبِّـــرا

ويقول في تقواها ([3]): **(البسيط)**

قـــدْ نَـــوَّرَ اللهُ بـــالتَّقْوى بـــصيرَتَها فلم يُضَيِّعْ لَهـــا فـــي غَيْرِهـــا زَمَنـــا

جمعت نضار فيما سبق بين ثقافة الأدب من جهة ، وثقافة العلوم الدينية من جهة أخرى ،إضافة إلى مواهب اكتسبتها من كثرة مراسها ،كمهارة الخط . وقد تناولت نماذج متشابهة في الفكرة فيما سبق؛لإبراز التكرار في أفكار الشاعر، والاختلاف الطفيف في المعاني؛ رغبة منه في الإعلاء من شأن ابنته، وحرصا منه على تأبينها، ولو كان التأبين في الأمور نفسها .

وتؤكد الأبيات التي تناولها أبو حيان الأندلسي فيما سبق حرص الآباء قديما على تعليم بناتهم مثل أبنائهم .

إذن ،فالتفاوت كان كبيرا بين المساحة التي أعطاها الآباء للأبناء ،وبين المساحة التي أعطاها الأبناء لآبائهم في الثقافة العلمية والدينية ،فالآباء فتحوا السبل كلها ؛ لمدح القدرات العلمية بأشكالها لأبنائهم ،في حين الأبناء فيما وجدوه أعظم شأنا في التناول؛ لشدّ أزر أنفسهم أوّلا وقبل كلّ شيء .

---

[1] - **الديوان** :192 .
[2] - **الديوان** :201 .
[3] - **نفسه** :73.

ثالثا ــ تفضيل المرثيّ على غيره في صفاته

أبدى الشعراء الآباء رغبة جامحة في تفضيل أبنائهم عن غيرهم ممّن هم في أعمارهم، لبيان الفرق بين اهتمامات أبنائهم وغيرهم، وتعظيما لمزاياهم عنهم وتفوّقهم عليهم . فهل وُجدت الرغبة نفسها عند الأبناء في تمييز آبائهم عن غيرهم من الناس ؟ وهل كان التشابه في الأفكار بين تأبينهم وتأبين الآباء لأبنائهم من هذه الناحية ؟ أم اختلف أسلوب الأبناء في الموازنة بين الأب وغيره بصورة أو بأخرى ؟

أكثر أبو حيان الأندلسي والحصري القيرواني في ديوانيهما من الموازنة بين أبنائهم وغيرهم ،وربما يكون السبب في ذلك، سعة المساحة المتاحة أمامهم؛ لرثاء مرثييهم([1])، فها هي العلياء في مجدها تؤيّد الحصري القيرواني في قوله :إنّ ابنه لا مثيل له في الزمن الباقي ،وكلّ ما مثّله المجد قد رضي عنه: يقول([2]): (البسيط)

إنْ قُلْتُ والله ما أبقَــى الزَّمــانُ لــهُ ... في القومِ شَبْهًا أبَتْ علْيــاهُ تَحْنيثــي
تَرْضى العُلا عنْهُ والأحْسابُ إن ذُكِرَتْ ... مَكاسِبُ المَجْدِ مِــنْ بعــدِ المَواريــثِ

وهذا أبو حيان الأندلسي يصف ابنته نضار ، يقول ([3]): (الطويل)

وَمَــا همُّهــا فيمــا النــساء يروْنَــهُ ... لبــاسٌ وتــزيينٌ وخــلٌ يباضِــعُ
أجَــل همُّهــا تحــصيلُ أجْــرٍ تَعُــدُّهُ ... ليــومِ معــادٍ أو كتــابٍ تُطــالِعُ
تطــالعُ تفــسيرًا ونحْــوًا مُلَفَّفًــا ... وفِقهًــا و تأريخًــا وطِبًّــا تُراجِــعُ

ميّز الشاعر ابنته نضار عن كلّ النساء ،فلم يخصّ فئة محددة من الشابات ؛ تمييزا لاهتماماتها وطريقة تفكيرها وكيفية إشغال وقتها بالنافع لها ،وهي أمور جعلته يرى حقيقة الفرق بين فتاته الرقيقة المثقفة وبين النساء وانشغالهنّ بأمور ساذجة في نظره، لا تصل بأيّ شكل من الأشكال إلى اهتمامات ابنته .ويكرّر المعنى نفسه بصورة مشابهة في قصيدة أخرى؛ تأكيدا للفكرة نفسها ،نافيا وجود شبيه لابنته من البنات ،ومبينا السبب، يقول([4]): (الطويل)

نَضيرَةُ مــا إنْ فــي البنــاتِ نظيــرةٌ ... لكِ اليومَ فخْرًا مــا لهُــنَّ احتِــشامُكِ
فَهِمَّــةُ بنْــتٍ فــي لبــاسٍ وزينــةٍ ... وأنْتِ بتحصيلِ العلــومِ اهتمامُــكِ

---

[1] ـ رثى أبو حيان الأندلسي ابنته نضار بما يقارب اثنتي عشرة قصيدة ،أمّا الحصري القيرواني فقد رثى ابنه بقصائد على عدد حروف المعجم ،جمعت في ديوان كبير ،وقد سمحا لنفسيهما بتكرار المعاني والأفكار نفسها بألفاظ مكررة وجديدة ؛ للإطراء على صفات المرثي و للتميز والتفرد عن غيره.

[2] ـ **الديوان** :94.

[3] ـ **الديوان :268.**

[4] ـ **الديوان** :379.

وما سبق ينقل صورة تبيّن الفرق بين الصفات التي توصف بها الفتاة ، والصفات التي يوصف بها الفتى ممّا سيمرّ معنا ،فالأب يكون حريصا على وصف ابنته بالالتزام الديني وخصلة العلم والحشمة ،بعيدا عن كل ما تهتم به الفتاة عادة من تبرّج ولباس ،الأمر الذي قد يكون له تأثير سلبيّ على أخلاق بعض الفتيات، وانشغالهن عن العلم بأشكاله .أمّا الأبناء، فوجدت أنّ آباءهم قد وصفوهم بالعلم والدين أيضا ،وميّزوهم بالشجاعة ،إضافة إلى صفات أخرى كالحسب والذكاء والحياء .

إنّ موازنة الشعراء فيما سبق وتفضيلهم للأبناء على سائر الناس بمآثرهم الحميدة ،من ثقافة علميّة والتزام ديني وأخلاق مميّزة ومآثر خالدة ،كانت دافعا لهؤلاء الآباء؛ للإقبال على إظهار الفرق بين الابن و سواه ،سواء أكان بالمآثر أم الاهتمامات التي كانت تشغل باله، وهي من الماضي مضت مع الفقيد ،حرص الآباء على إبرازها؛ لإعطائهم المكانة التي يستحقونها في نظرهم . وقد عبّر ابن شكيل عن الفكرة نفسها في تميّز أبيه عن غيره ،إذ نفى وجود الشبيه له، يقول([1]): (الطويل)

أبـــي مـــا أبـــي لا يُبْعِـــدُ اللهُ مِثْلَـــهُ ومَنْ مِثْلُهُ ذو اليُسْرِ في عُسْرَةِ الزّمَنْ

لقد أجمع الآباء فيما سبق على الحرص نفسه ،في العناية الفائقة برسم صورة متفرّدة للفقيد([2])، ميزوه فيها عن كل جنسه ،كما حصل مع أبي حيان الأندلسي،إذ ميّز ابنته عن كلّ النساء ، وكذلك حال الحصري القيرواني في تأبين ابنه ونفي وجود المثيل له في كل زمان. أمّا ابن شكيل فلم أجد أنه قد وصل إلى المستوى نفسه لتمييز أبيه ،إذ ميّزه في موازنة قرنته مع كلّ كريم ،في زمان ضاق الحال فيه ؛فليس كلّ الناس سواء في الكرم ،لذا فإنّ موازنته كانت محدودة نوعا ما، ولم تصل إلى المستوى نفسه في موازنة الآباء لأبنائهم مع غيرهم.

ولم يكتف الآباء على عادتهم بتميّز الأبناء عن غيرهم فقط ،فهذا ابن عبد ربه يميّز نفسه أيضا عن كلّ الآباء؛ بما حظي من مولود كابنه الفقيد ؛لذا يجد أنّ أيّة مصيبة لا يمكن أن تساوي مصيبته، يقول([3]): (الكامل)

ما كانَ مِثْلـــي فـــي الرّزيّـــةِ والـــدًا ظَفِـــرَتْ يـــداهُ بِمثلِـــهِ مَوْلـــودا

---

[1] - **الديوان** :83.

[2] - أكثر يوسف الثالث من تأبين ابنه وجعله أفضل من غادر الأرض من الجنس البشري ،ليمثل التفرّد الذي حرص عليه الآباء لأبنائهم على الدوام .ينظر :يوسف الثالث :**الديوان** ،185.

[3] - **الديوان** :72.

وبينما وجدت أنّ الآباء قد ميّزوا أبناءهم وشملوا أنفسهم كذلك؛ لكونهم آباء هؤلاء الأبناء ،فقد سلك الأبناء طريقا آخر إلى تمييز الوالد في معان اختلفت عمّا جاء به ابن شكيل من تشابه في المعنى بينه وبين الآباء الراثين ، فابن أبي العباس سار نحو موازنة أخرى، عقدت بين المرثي والراثي ،أي بين الأب وابنه ،فصوّر ما كان عليه الوالد من تقوى وصلاح وبين ما كان عليه الابن من غفلة في دنياه، يقول([1]): (الطويل)

ألا بـــأبي مَـــنْ بـــاتَ يـــدعو إلهَـــهُ لقد هاجَني شوقٌ إلـــى ذلـــكَ الـــورْدِ
تبيتُ على قَطْعِ المراحـــلِ بـــالتّقى سَبوقًا إلى الخيْراتِ في جنّـــةِ الخُلْـــدِ
ومِثْلي على فُـــرْشِ البطالـــةِ غافـــلٌ فيا أسَفي مِنْ قُرْبِ غيْري ومِنْ بُعْدي
نَأيْتُ عنِ الفردوْسِ في جنّةِ العُـــلا ويحْظى بها ذو الدّمْعِ سَكْبا على الخَدّ

ويهنّئ أبو الحسن علي أباه ؛ لعلمه باختلافه عنه ، فالأب صالح والابن يتبع نزواته وشهوات الدنيا، يقول([2]): (الطويل)

وأسْـــلَفَ إحْـــسانا أوَانَ اقْتِبالِـــهِ وخافَ مِنَ التّقصيرِ في حَيّـــزِ الكِبَـــرْ
لـــذلك مـــا والـــى أنينـــا وزَفْـــرَةً وأصبحَ يهْوى أنْ يُعادَ إلـــى الـــصّغَرْ
هَنيئا لهُ إنْ لـــمْ يَكُـــنْ كابنِـــهِ الّـــذي أطاعَ الهوى في الحالتيْنِ وما ائْتَمَـــرْ

وقد وصف أخو أبي الحسن السابق ندمه ورغبته في التوبة بعد موت أبيه؛ تأثّرا بقول أخيه، يقول([3]): (الطويل)

أطَعْتُ هوى نفْـــسي زمـــانَ شـــبيبَتي فأرْجو المتابَ اليومَ في زَمَـــنِ الكِبَـــرْ

يبدو أنّ هؤلاء الأبناء الذين سبق ذكرهم ــ ابن أبي العباس وأبو الحسن وأخوه ــ كانوا بصدد إجراء موازنة بين المرثي وغيره ؛ فالقارئ لأبياتهم هنا يجد تأثير الموت في نفس الغافل ،وكأنها صحوة من سبات الحياة إلى حقيقة الموت المحتوم ،فتكون موازنة عفوية بين نهاية الوالد التقي ونهاية الابن ،وهذا الدافع هنا إلى إجراء الموازنة ،فالأب ظلّ في حياتهم وعاش طويلا ،ورغم ذلك انقضت حياته وانتهت ،ومن المتوقّع استيقاظ الأبناء وتذكّرهم الموت وقربه منهم ،فتأثير الموت في نفس الأبناء كان الدافع الأقوى ، لموازنة خرجت عن المألوف .أمّا الآباء في موازنتهم لأبنائهم مع غيرهم ،فقد كان تمييز الأبناء وتفرّدهم ،هدفا لتمييزهم عن غيرهم ممّن قد يمثّلون لهم نظيرا ،كما هدفوا إلى تصوير مقدار المصيبة

---

[1] ـ المراكشي ، عباس بن إبراهيم : **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام** 252/1
[2] ـ المراكشي ،ابن عبد الملك **:الذيل والتكملة** 28/5.
[3] ـ المراكشي :**نفسه** ،29/5.

والخسارة ، التي لا مثيل لها في الحاضر ولا في المستقبل ،فالشبيه في نظر الآباء مستحيل، والمعنى نفسه قد طرحه ابن شكيل في تأبين أبيه([1]).

رابعا ــ التأبين المستحيل

ذكر الآباء في رثاء أبنائهم خصالا رفيعة ومزايا سامية ، أشادوا بها في نطاق المستحيل ،فكلّها في مفهوم (لو) ؛ لتفيد استحالة تأبين كان سيكون لو بقوا على قيد الحياة، لكنّه استحال اليوم بالموت المبكر لهم .

وسعيد بن الحكم من الآباء الذين أبّنوا أبناءهم بالمستحيل ،إذ يقول في كمية الجود المصاحب لابنه محمد لو أنه عاش المزيد من العمر، رابطا كثرة عطائه بقطرات المطر([2]):

(الكامل)

لمّا حَوَاهُ ضــريحُهُ زمــنَ المَــصيــ ف هَمَــتْ علَيْــه مَــدامعُ الأمطــارِ
لو عاشَ كانَ ينــوبُ عنهــا جــودُهُ ويَحُــطّ عنْهــا كُلْفَــةَ الأمطــارِ

وينظر الحصري القيرواني إلى عطاء العلوم الذي كان سيكون ،لو أتمّ ابنه العشرين من عمره، يقول([3]): (الكامل)

تَسْعى الرّجالُ فَــلا تنــالُ بِحِرْصِــها ما نــالَ فــي تِــسْعٍ مِــن العلْيــاءِ
فلو انْتهى العشرين سَــمّتْهُ العُــلا عَلَــمَ العلــوم وكــافِيَ الأكْفــاءِ

ويعلي من تأبينه وشجاعته بالتقليل من عمره إلى خمس عشرة سنة ،وهذا يصوّر مدى الآمال والفخر المتوقّع للأب من ابنه، يقول([4]): (الكامل)

لو كانَ عُمْرُكَ خمْسَ عَــشْرَةَ حُجّــةً لسَطَا على الأعداء مِنْكَ خَمــيس ُ([5])

---

[1] - ينظر : **الديوان** ،83.
[2] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،56.
[3] - **الديوان** 79.
[4] - الحصري القيرواني **: الديوان** ، 213.
[5] - الخميس :الجيش ، وقيل الجيش الجرّار ،ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (خمس) .

وَدَعَتْــكَ أعــلامُ العلــومِ إمامَهــا وتَيَمّمَتْــكَ مِــنَ العــراقِ العــيسُ([1])

ويصرّح ابن عبد ربه بلومه للموت ،وكأنّه شر كاسر ،ومسؤول عن موت ابنه مبكّرا ومانع لأمانيه التي صارت مستحيلة بسببه، يقول([2]): (المنسرح)

يــا مــوتُ لــوْ لــمْ تكُــنْ تُعاجِلُــهُ لكــــانَ لا شــــكّ بِيــــضَةَ البَلَــــدِ

أو كنتَ راخيْــتَ فــي العنــانِ لــهُ حــازَ العُــلا واحْتــوى علــى الأمَــدِ

إنّ التأبين المستحيل مزايا وتطلّعات، لازمت الآباء رجاءً لأبنائهم ، تحبط من معنوياتهم، وتزيد من حسراتهم، يستمرّون في تخيّلها وتجسيدها في العالم الوهميّ المستحيل، رغم إدراكهم لاستحالة وجودها حقيقة ،وقد وضّح هذا النوع من التأبين مقدار الآمال التي يعلّقها الآباء على الأبناء ،وقصر المسافة بين اليوم والمستقبل البعيد ،حين تتحقّق أحلامهم التي رسموها لأبنائهم ,لذا فإنّ سلب الموت لأبنائهم كان دافعا قويا لبكاء المستحيل، الذي كانوا في انتظاره حقيقة وواقعا. كما يبرز الفرق بين رغبة الآباء في انتظار الكثير من الأبناء ،في حين أنّ الابن لا يرتقب مثل تلك الخصال من الأب ضمن المستقبل ،ولا يتأسّف على أشياء لم تكن لموت الأب ،فموت الآباء في حياة أبنائهم أمر متوقّع في كلّ لحظة ،على عكس الآباء ممّن يرفضون هذه الحقيقة للموت .

خامسا ــ تأبين القدْر والمكانة

إنّ تأبين الميت هو مدح بأسلوب الماضي ،يحرص فيه الراثي على تصوير سبب بكاء أمثال المرثي ،والتحسر على الأمجاد والأحساب الزائلة، وبكاء المناقب والصفات المفقودة المختلفة.

وقد حرص بعض شعراء الدراسة على الإشادة بالمكانة الملوكيّة والسيادة ، وفق المعنى الذي جاء به حازم القرطاجنّي في طريقة المدح: "ويجب فيها السمو بكلّ طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف ، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه في ذلك"([3]).

---

[1] ـ العيس : جمع أعيس ،وعيساء :الإبل يخالط بياضها شيء من الشقرة ،واحدها أعيس والأنثى عيساء .ابن منظور : **لسان العرب** ،مادة (عيس).

[2] ـ **الديوان** ،75.

[3] ـ :**منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ،351.

ولمّا وجد الأبناء حاجة إلى الفخر بإرث ورثوه من آبائهم لا عوض عنه ،جاء فخرهم بمكانة الأب وسيادته ، إذ سعوا إلى تخليده عبر أشعارهم ؛ لما يرون فيه من شرف رفيع وأصل مشرّف ،لمكانة الأب السياسية أو شأنه العظيم الذي لا يستهان به . فعبد الملك بن بشر مثلا افتخر في رثاء أبيه بمكانته السابقة كأمير أموي ، ورغم المصير الذي آل إليه ،إلا أنّ الفخر ظلّ ملازما لابنه حتى بعد وفاته، يقول([1]): (الرمل)

لـــمْ يَـــرُدّ المـــوتَ عنْـــهُ إذ سَـــمَا نحْـــوَهُ كثـــرةُ مـــالٍ وعـــدَدْ
أمَـــــويٌّ حكَمـــــيٌّ عَرَفَـــــتْ ســـورةُ المجْـــدِ لـــهُ عُلْيـــا مَعَـــدْ
عـــاشَ فـــي مُلْـــكٍ عزيـــزًا دونَـــهُ حُجُـــبُ المُلْـــكِ وأبـــوابُ الرّصَـــدْ

وإن كان فخر الأبناء([2]) بسيادة الأب عاملا مهمّا ؛ لاستدعاء أصل أصيل لهم ورثوه ، فقد أبدى يوسف الثالث الأب الفكرة نفسها أيضا ،إذ بكى السيادة والمكانة الملوكيّة التي خلّفها ابنه الرضيع ؛لموته ، يقول([3]): (الطويل)

وكانَ قريبَ العهدِ بـــالكَوْنِ فانْقَـــضَى على عَجَلٍ مِنْ شَأنِهِ ســـابِقُ الأجَـــلْ
رضيعًا فلا يُبْكى علـــى قَـــدْرِ ســـنّهِ ولكنْ على القَدْرِ المُلـــوكِيّ والمَحَـــلْ

جاء بكاء الأبناء فيما سبق لسيادة آبائهم على مكانة مثلوها في الماضي ،كان للأب حضوره فيها ، لكن لم يبق منها اليوم إلا حسراتها و فخرها.أمّا يوسف الثالث في رثائه لابنه، فقد أبّن مساحة في السيادة لم تشغل بعد ،إذ انطلق في فخره من تلك المكانة التي كان يمثّلها وأهله ، في ذلك الوقت من عصر بني الأحمر.

فالأبناء فيما سبق انطلقوا من حاضر افتقدوا الأب فيه، إلى ماض مثّل السيادة والفخر .أمّا الآباء فقد انطلقوا من حاضر مرير، إلى مستقبل لم يقع في ساحة السيادة .

ورغم أنّ المكانة الملوكيّة والسيادة مثلت شأنا ذا مكانة سامية هنا ،إلا أنّ الفخر بالمكانة والقدْر دون وجود للسيادة ،كانت له المساحة الكبرى، وذلك في تأبين الأبناء والآباء، فابن مطروح أعلى من شأن مكانة والده دون أن يكون صاحب سلطة ونفوذ ،فعلوّ شأنه أمر شهده بنفسه وأعلى منه ، عندما جعله هدّا لعزيمة الجميع ،يقول([4]): (المتقارب)

أيَـــا ظاعِنًـــا هـــدّنا فَقْـــدُهُ جميعـــا ألَـــمْ يَـــأْنِ أنْ نقفُـــلا
أحِـــنّ إلـــى مَـــوْرِدٍ أمّـــهُ وإنْ لـــمْ يكُـــنْ مـــوْرِدا سلْـــسَلا

---

[1] - ابن الأبّار **:الحلّة السيراء** ،58/1.
[2] - افتخر ابن حمديس أيضا بسيادة أبيه وتراثه العريق . ينظر : **الديوان** :523.
[3] - **الديوان** :106.
[4] - ابن الأبار **:تحفة القادم** ،228.

وأذهـــلُ مهْمـــا دعُـــوا باســـمِهِ وحُـــــقّ لِمِثْلِـــــيَ أنْ يـــــذْهَلا

وإعلاء ابن مطروح شأن أبيه أمر مؤكد،فهو فرع لا حياة له بعده ،والذبول مصيره ؛ لأنّ أباه كان مصدر إلهامه وقوّته ،يقول([1]): (المتقارب)

إذا جَـــفّ مِـــنْ شَـــجَرٍ أصْـــلُهُ فـــلا بُـــدّ للفَـــرْعِ أنْ يـــذْبُلا

وقد عبّر ابن حمديس عن الفكرة نفسها بمعنى قريب إلى ما جاء به ابن مطروح ،إذ يرى أنّ الفرع الأصيل هو امتداد لأصل أصيل ،ومن الفرع يستدلّ على مكانة الأصل ،يقول في رثاء ابنته([2]): (الطويل)

فيا سائِلِي عنْ أهلِ ذا العصْرِ دعْهُمُ فبالفَرْعِ منهُم يُستدلّ على الأصْلِ

إذن، فالقدْر والمكانة لم تقتصر على السيادة ،بل امتدّت لتشمل القدْر العلمي إلى جانب الهيبة، إضافة للفخر لمجرّد الفخر ،فهذا ابن يامين يفخر بفقيديه (ابنته وابنها)،

يقول ([3]): (الكامل)

ومَضَى الأُلى عزّيْتُ عنْهُمْ وانْقَـضَتْ أعمـــارُهُم قُدّسْـــنَ مِـــنْ أعْمـــارِ
وَفَخَارُهُمْ يَبقَـــى علـــى جِيـــدِ الزّمـــا نِ قـــلادةً مِـــنْ نَظْمِـــكَ المُخْتَـــارِ

والمثال السابق لا يعني قلّة الأمثلة على الفخر،لأنّ الشعر في أغلبه مما تناولت ،هو تخليد لذكرى المرثي بندبه وتأبينه والفخر به على اختلاف مكانته وشأنه ،وإن تناولته هنا فمن باب التدليل على تنوّع أساليب الفخر بالمرثي ، رغم أنّ الغرض واحد في نهاية الأمر.

فتأبين المكانة والقدْر سواء عند الأبناء والآباء يستمدّونه من شعور الفراق والرغبة في الاستمراريّة للمرثيين رغم مغادرتهم دنيا ذويهم ، حتى لو لم يكونوا ذوي مكانة وشأن عظيم . ومع أنّ بكاء السيادة والمكانة في تأبين الآباء والأبناء قد وجد في شعر الدراسة ، إلا أنّ معظم التأبين سواء أكان للأبناء أم للآباء ،قد بكى مكانة الفرد الذي أبّنه ،فكلّ منهم يمثل حيّزا في حياة راثيه لا يمكن التهاون به أو التقليل من شأنه؛ فالإنسان مهما صغر شأنه وقلّت مكانته في المرتبة أو بين أترابه ،إلا أنه ذو شأن عظيم لابنه أو أبيه ومحلّ فخر غالبا يفتخرون بصنيعه،

---

[1] - ابن الأبار :**تحفة القادم** 228 .
[2] - **الديوان**:365.
[3] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** 80

ويفتقدون وجوده ومزاياه في حياتهم عند موته،ولا يعتمدون لبكاء مكانة الفقيد على مكانة السلطة والسيادة،وإن افتخر بعض الشعراء كما رأينا بالسيادة فهذا من حقّهم .

والوالد معذور في فخره الدائم ،فكلّ والد يرى ابنه متميزا عن غيره دائما رغم ما فيه من مساوئ ، إذ يغضّ بصره عنها ولا يرى منها سوى المزايا الحسنة خاصة في حالة فقدان الولد ،فالمساوئ حينها تقلب أيضا إلى محاسن ،لا يمكن التهاون بها في ساحة تأبين الآباء لأبنائهم .

وكلّ من الشعراء ممّن مرّوا معنا عبّر عن فجيعته ورثائه ،وأشاد بتأبينه وبمناقب مرثيّه على قدر ما أمدّته قريحته الشعرية وعاطفته الحزينة المنجرفة مع قسوة الحدث ،سواء في تأبين الأبناء أم الآباء ،فالتساوي في الأفكار والتناول متقارب إلى حدّ ملحوظ ، مع اختلافات طفيفة أشرت إليها ،وندب المكانة وتأبينها مزج فيها الطرفان دون خيار لهم .

إذن ، فقد افتخر كلّ من الآباء والأبناء بمكانة فقيدهم وقدره بين الناس من حوله،فمنهم من أشاد بالمكانة الملوكيّة والسيادة ،ومنهم من افتخر بقدْر المرثي ؛ لأمور أخرى، وذلك أمر تطرّق إليه الآباء في تأبين أبنائهم ،والأبناء في تأبين آبائهم بنسب متفاوتة.

سادسا ــ الصفات الخَلْقيّة

وصف الشعراء جمال أبنائهم وصفاتهم الخَلْقيّة الأخرى بحسرة تنتزع القلوب . فأبو حيان الأندلسي مثلا جمع بين جمال ابنته ووجهها الأبيض المنير، وبين السمرة الساحرة لابنه حيان([1]) إذ يقول([2]): (الطويل)

وقــابَلَني بالحُــسْنِ أبــيضُ نــاعمٌ وأسمرُ حُلْوٌ أصْــبحا فِتْنــةَ الــوَرى

فذا سَلّ مِنْ جِفْنَيْهِ للــضّرْبِ أبْيَــضَا وذا هَزّ مِنْ عِطْفَيْــهِ للطّعْــنِ أسْــمَرا

إنّه يجمع بين الحسن والبياض المرتبط بنضار ،وبين السّمرة الساحرة لابنه حيان ، وقد كانا فتنة للناس بجمالهما ،لكنّ صور الجمال فارقتهما اليوم بعد المرض، وانتهى كلّ شيء بالموت .

---

[1] ـ لم يحظ حيان في ديوان أبيه بالمكانة نفسها لأخته نضار ،فعلى الرغم من كثرة قصائد الرثاء الموجّهة في ديوانه نحو الذكور،إلا أنها لم تحدّد الشخصية المرادة إن كان ابنه حيان أم صديق الشاعر أم أستاذه ؛لأنه رثى الأخيرين بالعديد من القصائد ،ومعظمها كان يدور في بؤرة التأبين مع القليل من الندب دون الإشارة إلى هوية المرثي ينظر :**الديوان** ،مقدمة المحقق ،75 . وقد اعتمدت ثلاث مقطوعات كان خطاب ولده فيها واضحا، إذ جمع فيها بين حيان ونضار .

[2] ـ **نفسه**:177.

وقد جاء معظم وصف الآباء([1]) لجمال أبنائهم في باب الاستعارات والتشبيهات . فابن يامين مثلا وصف حفيده بالنجم وابنته بالشمس ،وهما رمزا الجمال في الكثير من الأحيان، لكنّ إشراقتهما وبهجة السعادة التي بعثاها في نفس الأب الثكلان قد تلاشت مع زوال هذه الكواكب وانكسارها يقول([2]): (الوافر)

هــوى نجْمــا تقــدّمَ منــكَ شمْــسا فغالكمـــــا([3]) أفـــــولٌ وانْكِـــــسارُ

وكان لابن يامين تصوير آخر،لنقل غاية الفكرة السابقة نفسها ، إذ صوّر عبوس الأيام وأماكن الأنس ،بعد أن كان الثغر مبتسما دائما ،وهذا من باب وصف الفرق بين الحياة في وجود الأحبة وحاله من بعدهما ،إذ إنّه تأبين لأيام وجود حبيبيه في حياته ،وحسرة الألم بعدهما.ومن البعيد وضع مثل هذا المثال هنا ،لكنّي أجد أنّ التأبين هنا جاء لغير العاقل؛ لنقل أسى الشاعر في التعبير عن العاقل المتمثّل بابنته المتوفاة وولدها ،ليصبّ في نهاية الأمر في مستنقع الأحزان نفسه ،يقول([4]): (الوافر)

فَــأفْقُ الأنْــسِ بعــدَكُما مُغــيمٌ تــساوى اللّيــلُ فيــه والنّهــارُ
ويُوحِــشُنِي لــهُ مَــرْأَى عَبُــوسٌ وثَغْــرٌ كــانَ قبْــلُ لــه اُغْتِــرارُ

وقد عبّر الأبناء عن الفكرة نفسها التي جاء بها الآباء ،في باب الاستعارات والتشبيهات أيضا([5])، إذ وصفوا آباءهم بأشعار تصوّر ضياءهم وإشراقتهم . فمن ذلك ما قال أبو الربيع الداني في رثاء والده([6]): (الكامل)

ولقــد نظــرْتُ إليــهِ يــومَ تقلّــهُ كالرّمْحِ عوّضَ مِــن ســنَانٍ مُرْهفــا

إذن ، فقد تناول الأبناء والآباء كلّ في تأبين الآخر إشراقة الوجه ، بما يدّل على ذلك من الألفاظ التي لها علاقة بالضياء ،كالنجم والشمس والرمح اللامع ،؛لإظهار كمية الفرق بين

---

[1] ـ أكثر ابن الجياب من وصف ابنه بأوصاف تنمّ عن مصدر الضياء والبهجة والسعادة ، كالبدر والشمس والنظر وغيرها . ينظر :الحبّازي ،مشهور **:ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ،رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية،1983/1982م ، 280.

[2] ـ مؤلف مجهول **:لباب الألباب** ، 47.

[3] ـ غاله الشيء غولا واغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لا يدري .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (غول).

[4] ـ مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،47.

[5] ـ وصف أبو الربيع الداني أباه بأكثر مما ذكرت من أوصاف تدلل على الضياء والبهجة ،كما تطرّق ابن شكيل إلى أوصاف تشابهت إلى حد كبير مع الأوصاف التي سبق ذكرها في رثاء أبيه . ينظر :الصفدي ، صلاح الدين :**الوافي بالوفيات** :347/15 ابن خميس :**أدباء مالقة** ،375 . ابن شكيل : **الديوان** ،82.

[6] ـ الصفدي ، صلاح الدين : **نفسه** :347/15 و ابن خميس :**نفسه** ،375.

البهجة التي كانت في حياتهم ، وكمية النور الذي وجد في حياتهم لوجودهم فيها ،وبين مقدار الأسى والحزن الذي وجد اليوم بعد فراقهم ، من سواد التشاؤم وانقطاع الأمل .

ورغم تناول الأبناء لهذه الفكرة في تأبين آبائهم ، إلا أنّهم لم يصلوا إلى المستوى نفسه للآباء ،فقد كان الآباء أكثر تعمّقا وتنوّعا وتعدّدا ،إذ تعدّد الشعراء المتناولون لوصف الجمال المرتبط بالضياء،كان منهم الحصري القيرواني وسعيد بن الحكم وغيرهم ممّن عبّروا عن الفكرة نفسها بأوصاف تقترب إلى حدّ كبير مما تناولت ؛ دلالة على ما كانوا يعنون لهم من سعادة لا يمكن أن تضاهى.

ويفصّل الحصري القيرواني في ملامح الوجه أكثر من مجرّد الإشارة إلى ضيائه، ليصف جبين ابنه المشع نورا و ثغره المتزين بذكر الله([1]) ، يقول([2]): (مجزوء الوافر)

فـــــأينَ جبينُـــــهُ الوضّـــــا حُ فيـــــكَ وطَرْفُـــــهُ الغَـــــنِجُ

وأيـــــنَ الثّغـــــرُ زَيّنَـــــهُ نظـــــامُ اللهِ والفلَـــــــــجُ

ورغم التشابه هنا في توجّه الآباء والأبناء إلى أوصاف متشابهة تقريبا ؛لتصوير السعادة التي صارت شيئا من الماضي ،بتوظيفهم رموزا كانت ولا زالت تدلّ على الجمال، ورغم التفاوت بين الآباء والأبناء في كمية الأشعار التي تعكس الفكرة السابقة ،وقلّة تنويع الأبناء في الأشعار المصوّرة لضياء الآباء ،إلا أنّي أجد أنّ كليهما قد نجح في نقل الفكرة للمتلقّي ، بأسلوب لا ينقصه إلا القليل من التدبر لغايتهم منها وإدراكها ،لالتماس الجمال فيها.

إذن، فالصفات الخَلْقية لم يكن لها حضور مميز في تأبين الآباء؛لأنّ الأبناء همّهم أكبر في تأبين الأخلاق الضائعة والمزايا التي لا عوض عنها ،وهو أسمى بنظرهم من مجرّد الحديث عن الصفات الخَلقية ،لا سيّما أنّ الآباء لا يتميّزون بالجمال نفسه الذي يمتاز به الأبناء الشباب،فملامح الجمال تقلّ نسبيا كلّما تقدّم المرء المسنّ في عمره ،لذا فإنّ فرصة الآباء للفخر بجمال أبنائهم تكون في أوجها.

---

[1] - ينظر : صالح ،مخيمر : **رثاء الأبناء في الشعر العربي** ، 45.

[2] - **الديوان** :151.

سابعا ــ الدعاء

حرص كلّ من الآباء والأبناء في أشعار الدراسة على الدعاء للمرثي ،إذ انطلق الآباء والأبناء بالدعاء والرجاء ،وكان التشابه قريبا إلى حدّ ما بينهما في الأسلوب وطريقة التناول ،فكيف كان ذلك ؟وهل خدم الدعاء غاية محدّدة حرصوا عليها ،أم كان فطرة وتقليدا أكثر منه غاية في نفس الراثي؟ وإن وجد ت غاية من الدعاء ،فهل كانت نفسها لدى الطرفين؟

اشترك الآباء والأبناء في الأسلوب الذي طرح الدعاء فيه ،فكان التوجّه الأهم والأكثر حضورا إلى طلب المغفرة للفقيد ،فابن أبي الخصال مثلا دعا لولده بالسقيا والرحمة وكل ما هو خير له في آخرته ،يقول([1]): (الطويل)

سَــقَتْ جَــدَثا واراك كُــلّ غَمامــةٍ تُكَشِّفُ عن ْ أرْضٍ خَلَوْتُ بها الصّبرا
وحَيّــاكَ عَنّــي كُــلّ رَوْحٍ ورَحمَــةٍ وما شِئتَ من نَوْرٍ ومن رَوْضَةٍ خُضرا

كما يدعو ابن يامين لابنته وابنها برحمة تكون في جودها كجود السحاب ،وتكون مضربا للأمثال ،وما ذاك إلا تعظيم لشأن من فقد، وحرص على اتبعاهم بما استحقّوا من رحمة وعفو يغطّي ذنوبهم ، ويكون سببا للعفو عنهم، يقول([2]): (الوافر)

ألا يــا رحمــةَ الــرّحمن ِ سُــحّا وَوَكْفــا لا يكُــفّ لــك ِ انهمــارُ
علــى أجْــداث ِ أحْــداثٍ طَــوَتْهُمْ يــدُ الحَــدَثَان ِ فاعْتــاصَ انْتِــشارُ

وكما ذكرت فقد اهتمّ الطرفان بطلب المغفرة([3])، فقد قال ابن الجنّان في دعائه لأبيه بالرحمة([4]): (البسيط)

---

[1] ـ المراكشي : ابن عبد الملك :**الذيل والتكملة** ،41/1.
[2] ـ مؤلف مجهول **:لباب الألباب** ،47 ،48.
[3] ـ كان يوسف الثالث من الأبناء الذين دعوا لآبائهم بالسقيا .ينظر :**ديوانه** ،145 وكذلك ابن شكيل .ينظر**:ديوانه** 84.
[4] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،353.

يا ربّ ،جُدْهُ منَ الرّحْمــى بأكْرَمِهــا سَحًّا وأحْسَنِها فوق الزّبــى([1]) وطَفَــا

ويقول الجليس بن الجبّاب في رثاء أبيه ،مؤكّدا طلبه بأدوات التوكيد (إن/اللام المزحلقة) ([2]) : (الطويل)

وإنّي لأسْتَــسْقي الــسّحابَ لِرَبْعِهــا وإنْ لمْ تَكُــنْ إلا ضــلوعيَ مَأواهــا

إنّ أسلوب التكرار في طرح الآباء والأبناء طلبا للمغفرة عبر أشعارهم، ما هو إلا دليل على الرغبة الملحّة المتذلّلة لكلّ منهم. فتكرار حروف الجر جاء حرصا على تتابع المغفرة بأشكالها واستمرارها والربط بينها، كما أنّ التكرار في توظيف المفردات المترادفة التي توصل إلى المعنى نفسه في النهاية ، هي متنفّس آخر للشعراء في تأكيد الغاية من الدعاء، التي سيكون لنا وقفة معها.

إذن ، فقد كان للسقيا حضورها المتكرّر في دعاء الآباء والأبناء ، تبيّن خلاله مدى تأثّرهم بفكرة سقيا القبور التي امتزجت في أشعارهم بمسحة دينية . إذ يبدو أنّ سقيا القبور بما فيها من دعاء بسقيا الماء، " هي بثّ لروحٍ وحياة فيه ،فالماء سبب من أسباب الحياة والخصب والنمو من جديد ،وربّما قصد الشعراء بالسقيا كل ما في الماء من معنى للحياة والرحمة، لمن صاروا اليوم في القبور"([3]).

إنّ الأمثلة على السقيا للقبور كثيرة ومتكرّرة عند الآباء والأبناء ،تحمل كلها معاني الرحمة الدائمة ، ويظهر خلالها تأثّر الشعراء بها جيلا بعد جيل ،بمفهوم حمل بين أيدينا إيمان الشعراء برحمة الله الواسعة المصاحبة لاستمرار الدعاء للمرثي ،فقد وظّفت لفظة السقيا هنا؛ لتتمّ عن معنى العفو الإلهي عن الأبناء والآباء ،وهي لم تقتصر على انهمار الماء على التربة بنفس المعتقدات القديمة ،ولكن أيضا لطلب الرحمة المنشودة ،إذ كان منهم من دعا بسقيا القبور بالماء ، ومنهم من دعا مباشرة بسقيا الرحمة .

ويتبين مما سبق أنّ الأبناء والآباء قد تناولوا فكرة السّقيا القديمة التي تدعو إلى سقيا القبور وتربتها بماء السحاب ،لمعتقدات لا يشترط أن يكون توجّه الشاعر قاصدا إليها بالمفهوم القديم نفسه .

---

[1] - الزّبى :مفردها زابية ،وهي الرابية التي لا يعلوها الماء ،وفي المثل قد بلغ السيل الزبى ،ابن منظور **:لسان العرب** ،مادة (زبى).

[2] - الكتبي ، ابن شاكر **: فوات الوفيات** ،335/2.

[3]- أبو سويلم، أنور: **الاستسقاء في الشعر الجاهلي** ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مج 1 ، العدد الأول ، 1986 م ،90، 91.

أمّا العطاء في الدعاء وأسبابه ، فقد تفاوت بين الآباء والأبناء . لكن، لماذا كان هذا التفاوت؟ لقد انطلق الآباء في دعائهم لأبنائهم ، من فؤاد أب أخلص وأفنى وأعطى الكثير ،انطلقوا من حب وحرقة أشعلتها نار الفراق ؛ ليمثلوا إيمانا عميقا بضرورة دعاء الآباء لأبنائهم, لعلها تكون سببا في رحمتهم عند ربهم .

وقبل أن أجيب عن غاية الأبناء في دعائهم لآبائهم ،أستذكر ما يختصر الكثير . فعن أبي هريرة رضي الله عنه ،أنّ الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة ،إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له"([1]).

إنّ برّ الوالدين يمثّل الهدف الرئيس في دعاء الأبناء لآبائهم، فابن الجنّان وهو أكثر من دعا لأبيه من الأبناء في شعره ، قد حرص أشدّ الحرص على الدعاء لأبيه ،إذ لجأ إلى ربه؛ راجيا له أعلى درجات الجنة ،كما خاض في أمور لم يتطرّق إليها أحد من الشعراء في دراستي ضمن دعائه ،كالدعاء له بأن يكون القبر فسيحا عليه، وروضة من رياض الجنة، منيرا بضوء الرحمة ،يقول([2]): (البسيط)

يا ربّ ،جازِ أبِي عنّي الخُلــودَ بهــا ... يا ربّ ،بوّئْه ُمِــنْ فِرْدَوسِــهِ الغُرَفــا

يا ربّ ،واجعلْ لهُ في القبرِ مُنْفَــسَحا ... وروْضةً ترْتَــضي نــشْرا ومُقتْطَفــا

يا ربّ ،نَــوّرْ لــه ظلمــاءَ وحْــشَتِه ... يا ربّ أتْحِفْهُ مــن إيناسِــكَ التّحَفــا

يا ربّ ،عَرّفْــهُ رِضْــوانا ومَغْفــرة ً ... يا ربّ ،أتْحِفْهُ مــن إســتبرق لُحُفــا

إنّ الابن البرّ لا يكتفي بطاعة أبيه والإحسان إليه في الدنيا ،وإنّما يستمرّ بذلك البرّ بعد موته ؛ لتحسب في ميزان حسنات الأب المتوفى ؛حرصا على نصّ الحديث الشريف ومعناه، حيث لا ينقطع أجره عن الأب المتوفّى ،فهي صدقة جارية ،مقرونة ببقاء الولد ،وطالما استمرّ في الحياة ، قد يكون سببا لأجر أبيه المتواصل([3]).

إذن، فقد انطلق الآباء في دعائهم لأبنائهم من إيمان عميق؛ طلبا للرحمة لهم، في استجابة ممكنة التحقق من الله تعالى لهم كآباء ،فقد يكون الأب سببا للرحمة والغفران غالبا ، وليس سببا لزيادة الحسنات .أمّا الأبناء فقد انطلقوا في طلب الرحمة للأب، لكونهم سببا لزيادة حسنات الأب وتضاعفها، إن هم استطاعوا توجيه نفوسهم وتسخيرها في الدعاء للأب ، إذ اقترن ذكرهم بالصدقة الجارية .

---

[1] - مسلم **:صحيحه** ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 420.

[2] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،353.

[3] - ينظر:مسلم ،**صحيحه** ،باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ،معنى الحديث السابق 7/ 4451.(طبعة مختلفة) .

كما أنّ عطف الابن على أبيه الشيخ وإشفاقه عليه، سبب آخر في استمرار الابن بدعائه لأبيه ،فابن الجنّان نفسه يصوّر ضعف أبيه لله سبحانه ،راجيا منه الرأفة بحاله وبمقدارضعفه، راجيا منه لمّ شملهم في الآخرة ،يقول([1]): (البسيط)

يا ربّ ، إنّ أبي عبدٌ ضعيفُ وقد ... أتاكَ مولًى كريمًا يرْحَمُ الضّعَفا

فامْنُنْ عليهِ بما أنْت الكفيلُ به ... يا ربّ ، وارْأفْ بنا يا خيرَ من رَأفا

واسْمعْ دُعائي، واخْصُصْ بالسّلام أبي ... تحيّةً طِرْسُها بالمِسْكِ قد غُلِفَا

إذا انْثَنَتْ نحوَه مُرّتْ وقد عَطَفَتْ ... عَطْفا على الرّوحِ والرّيْحانِ قدعُطِفا

وحَدّثَتْهُ بما في صَدْرِ مُكْتَئِبٍ ... أشْواقُهُ كلّفَتْهُ للأسى كَلَفَا

ما إنْ لهُ مَلْجأٌ فيما عَرَاه سُوى ... يا حَسْبيَ اللهَ فيما نابَني وكَفَى

ومن هنا ،فقد كان التشابه ملحوظا إلى حدّ كبير بين الآباء والأبناء في الدعاء ،وذلك في الأسلوب والأفكار المتشابهة والمعاني المتقاربة ؛فكلّ منهما وُجد في ساحة مغلقة تجدّد الذكريات والحسرات، وتدعو صاحبها إلى إعطاء المزيد للفقيد ،حتى يكون العطاء أكثر من الندب المجرّد .

[1] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،353.

الفصل الثالث

الحياة والموت والآخرة

أولا ـ حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الحياة الدنيا

أ ـ مساوئ الدنيا وصفاتها المذمومة

ب ـ الدعوة إلى الحذر من الدنيا وعدم الغرور بها

ثانيا ـ حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الموت

أ ـ الموت قدر ووقت معلوم لا مفرّ منه

بـ ـ الموت نهاية كلّ مخلوق والكلّ فيه سواسية

ج ـ الحديث عن أصل الإنسان ونهايته والحكمة من خلقه وموته

ثالثا ـ حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الآخرة وعزاء الشعراء لأنفسهم

أ ـ ما بعد الموت

ب ـ العزاء

أكثر الشعراء من الحديث عن الحياة والموت ،فأطنبوا في الحديث عنهما، واستخدموا ألفاظا مختلفة في تعبيراتهم تلك، بأساليب تشابهت إلى حد كبير في أفكارها المتناولة ،كما رسموا بأشعارهم صورا رائعة للحرب التي تنتهي بتفوّق الأقوى واستسلام الأضعف منهما عادة([1]).

ومن هنا، فقد حاولت بيان كلّ ما اهتم الشعراء الأندلسيون بتناوله ضمن الغرض المعنيّ في رثاء أبنائهم وآبائهم، وبيان التشابه والاختلاف فيه ، سواء أكان ذلك في حديثهم عن الدنيا أم حديثهم عن الموت أم حديثهم عن الحياة الآخرة وعزائها لهم،وكلّ ما هو على علاقة بهذه الأمور ،وكيف حاولوا تعزية أنفسهم في نهاية استسلامهم لفكرة الموت وحتميّته، نتيجة إيمان عميق لما ينتظرهم في الحياة الآخرة من حسن الثواب .

أوّلا ــ حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الحياة الدنيا

كان للحياة الدنيا نصيبها في رثاء الأبناء والآباء الأندلسيّين ،فكيف كان توجّه الطرفين في وصف مساوئها ؟وهل وجد التشابه والاختلاف بينهما ؟أم كان التشابه في الأفكار هو الغالب على أشعارهم ؟ .

أ ــ مساوئ الدنيا وصفاتها المذمومة

أكثر الشعراء المتناولون لمساوئ الدنيا وصفاتها المذمومة ــ رغم قلتهم ــ من وصفها بأبشع الصفات التي تبيّن حقيقتها ، وكانت صفة الغدر والظلم إحدى المساوئ التي كثرت في الرثاء .

وقد أكثر الحصري القيرواني في ديوانه من وصف غدر الحياة الدنيا وظلمها. فها هو يصف غدرها بالناس ممّن رتعوا ربوعها ،ويبيّن كيف انقلبت أحوالهم فيها ،يقول في رثاء ولده([2]):

---

[1] ـ ينظر :الشتيوي ،صالح علي : **الصراع بين الحياة والموت في شعر أبي فراس الحمداني** ،المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ،مجلد 3 ،العدد4 ،الأردن ،تشرين الأول ،2007 م ،160 ،161.

[2] ـ **الديوان** :185.

(الوافر)

تُمِـــرّ لأهْلِهـــا الـــدنيا وتَحْلَـــى وتُحْـــدِثُ فـــي ســـوادِهُمُ البيَاضـــا
فكـــمْ قـــومٍ رأيْـــتُ البُـــؤسَ فِـــيهِمْ وكنـــتُ أرى لَهُـــمْ نِعَمـــا عِرَاضـــا
وحـــينَ غَـــدَوْتُ زُرْتُهُـــمُ صِـــحَاحَا فلمّـــا رُحْـــتُ عُـــدْتُهُمُ مِراضَـــا

جاء جمع الشاعر للفظة ونقيضها في معرض لوصف الدنيا بمتناقضاتها ،فالسواد والبؤس حلّ محلّ البياض والنعم وأزالها مع مرور الوقت ،كما زالت الصحة ليكون المرض، ليبيّن بذلك صورة البشر المتقلبين بين أمواج خيانتها .

وإن كان الحصري القيرواني قد وازن فيما سبق بين حال الناس في ماضيهم وحاضرهم ،فقد جاء أبو حيان الأندلسي ؛ ليصف وحشته بعد أن كان مستأنسا بوجود أبنائه في حياته وأحبائه ،يقول([1]): (المتقارب)

وَقَـــدْ كُنْـــتُ مُسْتأنِـــسًا سَـــاكِنًا فقَـــدْ صِـــرْتُ مُسْتَوْحِـــشًا ذا عَبَـــثْ
إذا رُمْـــتُ أنْظُـــرُ فـــي مُهْـــرَقٍ([2]) تَغَـــشّى سَـــنَا نَـــاظِرَيّ الـــشّعَثْ([3])
وإنْ أنَـــا أبْعَـــثُ ذِهْنِـــي لـــهُ لِفِكْـــرٍ أرَاهُ إذنْ مـــا انْبَعَـــثْ

جاء هذا الشاعر بحسّ الغدر والخيانة بين طيّات كلماته ،فقلب أحواله كان نتيجة لتقلب الدنيا بجحيمها ووحشتها عليه ،و سلب أبنائه وسكونه .

وإن كان الآباء قد تناولوا هذه الصفة، فقد أكثر ابن الجنّان في رثاء أبيه أيضا من وصف الدنيا بالغدر والخيانة والظلم كما فعل الحصري القيرواني ،ولكن بأسلوب أكثر تشويقا وإثارة ،يقول([4]): (البسيط)

وعَاقبَتْ مِنْ بَرِيءٍ فـــي البَرِيّـــةِ لـــمْ يُذنِبْ وَرُبّتمَا عنْ ذي الـــذنوب عَفَـــا
وَأعْقبَتْ مِنْ سُرورٍ مُونِـــقٍ حَزَنًـــا ومِنْ نَضَارَةِ عَيْشٍ رَائِقٍ قَـــشَفَا([5])
وكمْ أبادَتْ ! وكمْ أفنَتْ!وكمْ قَـــصَمَتْ ظَهْرا ! وكمْ فَصَمَتْ عِقْدا غَدا حَصِفَا !

---

[1] - **الديوان** :128.
[2] - المهرق :الصحيفة البيضاء .ابن منظور :**لسان العرب** ،مادة (هرق).
[3] - الشعث:المغبر الرأس المنتف الشعر ، والتشعث : التفرق والتنكث ،وتشعيث الشيء تفريقه ،ابن منظور :**نفسه** ،مادة (شعث).
[4] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،347
[5] - القشف : سوء الحال وضيق العيش وشدتها . ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (قشف).

خَتّارَة ٌ([1]) سَـلْمُها حَـرْبٌ ومَأمَنُهـا هُوَ المَخَافُ فَمَـنْ يَـأمَنْ بـه ثُقِفَـا
خَتّالـــة([2]) نَـصَبَتْ فينَـا حَبَائِلَهَـا وَحُبّهـا حَبّهـا مَـنْ يَلـتَقِطْ لُقِفَـا
ظلاّمَـة ٌقَـدْ قَـسَتْ قلبـا فَـسِيرَتُها فيمَنْ يَلِـينُ فـؤادا غِلْظَـة ً وجَفَـا

إنّه التركيز على ظلم الدنيا لساكنيها ومحبّيها ،والرغبة اللحوحة في صبّ غضب الابن الثائر عليها ،فنجد ابن الجنّان من التهويل في تساؤلاته عنها ،وعن أفعالها الدنيئة المتحققة ببني البشر ،ونجد صيغ المبالغة لصفاتها ذات رصيد مفتوح في وصف بشاعتها وخيانتها .

وقد اتفق ابن الجنّان الابن في موضع آخر من قصيدته مع الحصري القيرواني الأب في وصفهم الدنيا بالأم القاتلة لصغارها . أمّا الأول ،فقال في رثاء أبيه([3]): (البسيط)

قَتّالَـــة ٌ لِبَنِيهـــا كُلّمـــا قَـــدِرَتْ عَلَـــيْهِمُ جَـــرّدَتْ أسْـــيَافها الرّهُفـــا

وأمّا الثاني فقال في رثاء ولده([4]): (مجزوء الوافر)

تَأمّـــــلْ كيـــــفَ تـــــأكُلُهُم وهُـــــمْ وُلْـــدٌ لهـــا نَتَجـــوا
عَـــــشِقناهَا ولـــــوْ مَثُلَـــــتْ بَـــدَا فـــي خَلْقِهـــا عَـــرَجُ
تُرِينَـــا الـــوُدّ وَهْـــيَ بِنـــا إلـــى الآفـــاتِ تَنْـــدَرِجُ

جمع الشاعران السابقان بين ظلم الدنيا وجورها على أبنائها ،حتى صوّروها بالأم القاتلة لأبنائها ،مما ينقل التناقض في الصورة ،فالأم أساس للحب والحنان غير المحدود ، لكنها صارت اليوم هنا الأم اللدودة التي تفتك بصغارها ،وهذا حال الدنيا ، إذ تؤمّن على حياة أبنائها الغافلين ،ليستيقظوا على نوائبها التي لا تحصى .وقد كان توجّه الشاعرين قريبا إلى حدّ بعيد في الفكرة رغم اختلاف الألفاظ ، ممّا يؤكد توارد الخواطر في قرائحهم الشعرية المتناولة لهذا الغرض من الرثاء ؛لأنهم في صدد موضوع رئيس انطلقوا فيه من جرح عميق، كان دافعا لسلك الاتجاه نفسه في معظم الأفكار المطروحة ، أي أنهم اتخذوا الابن والأب المرثيّ فرصة للخوض في موضوع بارز كان له أهمية عظيمة في الرثاء ككل .

ويقول أبو الربيع الموحّدي في ظلم الزمان لولده وغدره به([5]): (مجزوء الرجز)

جـــــارَ عَلَيْـــــهِ واعْتَـــــدَى صَـــــرْفُ الزّمَـــــانِ المُعْتَـــــدِي

---

[1] - الختر :شبيه بالغدر والخديعة ،وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه ،وختّار :للمبالغة. ابن منظور **: نفسه** ، مادة (ختر).
[2] - الختل :تخادع عن غفلة. ابن منظور **: نفسه** ،مادة (ختل).
[3] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،348 .
[4] - **الديوان** :102.
[5] - **الديوان** :45.

نَعَـــى الـــذي نَعَـــاهُ لـــي صُـــمّ الـــصّفاة[1] الجَلْمَـــدِ

إنّه يتوجّه باللوم والعتاب إلى الزمان ،وهو جزء لا يتجزأ من الدنيا ،فالدنيا والزمان مكمّلان لبعضهما ،وجائران على بني البشر بظلمهما ،وخبرة الشاعر هنا قد اكتسبها من هذا الزمان الذي مضى عليه في دنياه وتسبّب له بالكثير من الآلام .

وقد اتفق ابن شكيل الابن في رثاء أبيه مع أبي الربيع الموحدي الأب في وصف جبروت الدنيا بزمانها الفاتك بأهواله بأهل الدنيا، مشيرا إلى عدم مبالاتها بمكانة الإنسان مهما بلغت[2]، يقول[3]: (الطويل)

وكمْ في الثرَى دَسّتْ جَبـينَ مُتَـوّجٍ فأصْـبَحَ بالأقـدامِ يُوطـا ويُمْـتَهَنْ

إنّ المعجم اللفظي لهذين الشاعرين قد نجح في بثّ آثار الدنيا في الآباء والأبناء معا، إذ جاءت ألفاظ أبي الربيع الموحّدي لتحمل معنى (الجور ،والاعتداء والبغي)،وكلها تصوّر الإنسان الضعيف، وكيف يعيش حياته لحظة بلحظة ،خشية غدر قد يختلسه في أيّ وقت كان وعلى غفلة من أمره ،ممّا يصوّر ضآلة الإنسان أمام الدنيا ووحشها الكاسر .

وقد شاركه ابن شكيل بألفاظه الموجّهة نحو الامتهان والذل (الثرى ،الأقدام ،يوطا، يمتهن) ؛ليصوّر بذلك كمية الذل الهائل الذي تفرضه الدنيا على أهلها ،ومقدار الضيم والانكسار الذي يلاقيه الإنسان في دفنه تحت التراب، بعد حياة عاشها فوقه بعزة وكرامة.

إنّ التشابه في المعاني المطروحة الموجّهة لوصف الدنيا متشابهة إلى حدّ كبير بين الآباء والأبناء ،رغم أنها كانت أكثر عند الأبناء ،وخاصة عند ابن الجنّان الذي أعطى مساحة كبيرة من قصيدته للحديث عن الحياة والموت . كما شاركه من الآباء الحصري القيرواني في الكثير من المعاني ،وربّما يرجع السبب في ذلك إلى سعة المساحة الشعرية الهائلة التي رثى ولده بها ،والتي سمحت له الحديث في هذا الغرض بحرّية أكثر من الآباء الآخرين ،ممّن ركزوا بدورهم على ندب أبنائهم أكثر من أمور أخرى ،وهذا لم يمنع الحصري أن يكون من أكثرهم ندبا لأبنائهم ، فسعة المساحة الشعرية التي سخّرها لرثاء ولده ، سمحت له بتناول الكثير من المعاني في جعبة ديوانه .

أمّا السبب في كثرة المعاني الموجّهة لوصف الحياة والموت عند الأبناء ،فهو فتور مشاعرهم النادبة لموت أبيهم بعد فترة من الزمن ،على عكس الآباء ممّن يظلون في أوج ندبهم وحسراتهم إلى المدى البعيد ،ممّا يوجّه الأبناء إلى الحديث عن الحياة وأسرارها وما

---

[1] - الصفاة :الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئا .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (صفا).

[2] - ينظر : عواد ، مهدي : **الرثاء في الأندلس في عصري المرابطين والموحدين** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2010م ،15.

[3] - **الديوان** :81.

بعدها، كأمور مهمة في الرثاء بقدر الندب والتأبين ،وربّما تكون أكثر أهمية في نظرهم؛ لأنهم يتفوّهون بها بعد نضوج فكريّ في معالجة هذا الغرض، وتأمّلات بعيدة المدى ،تخرجهم من حيّز الندب المجرّد بمسحته الحزينة، لأمور لا بدّ من طرحها بأساليب شعريّة مختلفة، تدفع الإنسان للتفكير في الموت ودنياه الماضية إلى الزوال .

والحياة سريعة في انقضائها ، لذا سرعان ما يستدعي الإنسان شريط ذكرياته أمامه ، وذلك بعد انقضاء عمر من حياته التي صارت جزءا من الماضي الزائل ورهنا بيد المستقبل، ليدرك أنّ قطار الحياة قد كاد أن يصل إلى النهاية ، وأنه لم يعد يملك من الماضي إلا الذكريات([1]).

إنها حقيقة في الوجود لا يمكن نكرانها ،وذلك لأنّ الفناء أمر محتوم في حياة البشر ،فالإنسان "يعتقد بحقّ أنّ كلّ الموجودات فانية ،وأنّ كلّ وجود ينزع إلى العدم"([2]).

وقد أشار الحصري القيرواني إلى الحياة التي سرعان ما ندخل فيها ونخرج منها، يقول في رثاء ولده([3]): **(مجزوء الوافر)**

بَنُـــــو الـــــدنيا كـــــأنّهُمُ لِقلّـــــةِ هَمّهِـــــمْ هَمَـــــجُ

وهـــــلْ هـــــيَ غَيْـــــرُ دارِ أذى إذا دَخَلـــــوا بهـــــا خَرَجُـــــوا

إنها سنّة لا بدّ منها في هذا الكون العامر بالناس ،إذ لا بدّ من الدخول فيه والخروج منه مرّة أخرى . سواء أكان ذلك بمشيئة من الإنسان أم غصبا عن نفسه، فقد يكون الإنسان نفسه سببا لخروجه من الحياة بفعل شيء يتمكّن عبره من الموت وإنهاء حياته نتيجة ظروف دعته إلى اختيار هذا الطريق دون تفكير في العواقب ، وقد يأتي الموت للإنسان رغم كل محاولاته للفرار من فكرة الموت والزوال ، وهو الأمر الغالب على بني البشر ،وقد قيل لنوح عليه السلام بما يتناسب مع البيتين السابقين :"يا أبا البشر ويا طويل العمر ،كيف وجدت الدنيا ؟فقال :كبيت له بابان :دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر"([4]).

كما يوضح أبو الربيع الموحّدي أنّ الإنسان مهما عمّر في حياته ،يرى حياته قصيرة في النهاية ،يقول في رثاء ولده([5]): (الوافر)

---

[1] - ينظر : فاضل ،هشام :**الحياة والموت في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين** ،رسالة ماجستير ،جامعة بغداد ،نيسان ،1984م ،51.

[2] - محمد، أحمد :**قلق الموت** ،18.

[3] - **الديوان** :102.

[4] - ابن عبد ربه :**العقد الفريد 3**/173.

[5] - **الديوان** :44.

ولــوْ عــاشَ الفتَــى ألْفــا وألْفــا ومــاتَ بهــا فَعَــنْ عُمْــرٍ قــصيرِ

وأيّ حيــاةِ نفــسٍ لــمْ يَخُنْهــا علــى مَــرّ الليــالي والــدّهورِ

لقد خابت آمال الشاعرين السابقين في الدنيا ، فصاحوا منها وندبوا زوالها المتحقق، والعمر الطويل الأجل المنتهي بالزوال .وقد توجّه الأبناء أيضا في رثاء آبائهم إلى الفكرة نفسها في الحديث عن الدنيا ونعيمها الزائل ،ليكون لهم وللآباء الموقف نفسه في محاولة إبعاد الدنيا عن أنظارهم ،وليمسحوا معا الغشاوة عن عيونهم ، وعيون غيرهم من الناس المحبّين لها ،بكشف أكثر أسرارها وضوحا وتغافلا من الإنسان في الوقت نفسه ،وهو الزوال وسرعة وقوعه .

ويبدي ابن الجنّان تعجّبا كبيرا([1]) من قدرة الدنيا على إزالة من كانوا فيها رغم أعدادهم التي لا تحصى . يقول في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

بُعْدا لهــا وعَفَــتْ رَسْــمًا مَنازِلُهــا فكمْ عَفَتْ رَسْمَ جَمْعٍ قدْ وَفَى وعَفَــا

إنّ توظيف هذين الشاعرين للفعل عفا ومشتقاته، يشفّ عن معاني الزوال والتلاشي والسحق النهائي؛ ليؤكد صعوبة تباعد الأفكار المتناولة لهذا الغرض بين طرفي الدراسة .

ويتحسّر ابن يامين كغيره من بني البشر بحسرة عظيمة لا حدّ لها على ذكريات لذّات صارت هامشا من الماضي ؛ لتزيد الرثاء مرارة وعلقما . يقول في رثاء ابنته وابنها([3]):

(الوافر)

ولــذّاتٌ صَــبَوْتُ لهــا طِــوالٌ ولَــيْلاتٌ لَهَــوْتُ بهــا قِــصارُ

فبَانَــتْ غيْــرَ ذِكْراهــا كَــأنّي وإيّاهــا الفــرَزْدَقُ والنّــوَارُ([4])

"وكانَــتْ جَنّتــي فَخَرَجْــتُ مِنْهــا كــآدم حَــينَ أخْرَجَــهُ الــضّرارُ "([5])

ومــا خَيْــرٌ يــدومُ وإنْ تَنــاهَى ولا شــرٌّ وإنْ قَــنِطَ الــشِّرارُ

إنّ الملذات جميعها منتهية ،وهذا ما اتفق عليه الأبناء والآباء معا في رثائهم ،فالزوال الذي قضى على أحبّتهم في بادئ الأمر، كان سببا في كشفهم قناع الحياة التي زالت ملذاتها

---

[1] - تحدّث ابن شكيل عن الفكرة **نفسها** ، وقد وظف مصدر الفعل (عفا) ؛ للتعبير عن زوال الدنيا. ينظر **: ديوانه** 82.

[2] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،347.

[3] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،46.

[4] - تزوج الفرزدق ابنة عمه النوار غصبا عن نفسها ، بعد أن جعلت أمرها له رغبة منها في الزواج من رجل آخر . تنظر قصة زواجهما :ابن قتيبة **:الشعر والشعراء**1/ 476 ، 477 .وقد انتهى الأمر بهما إلى الطلاق كما ذكر الفرزدق في ديوانه ، ليندم بعد ذلك ندما شديدا .ينظر **: ديوانه** : 294/1.

[5] - البيت للفرزدق .ينظر: **الديوان** ، 294/1 . والضرار : يقال ،ضاررت الرجل ضرارا، ومضارّة، إذا خالفته ،أي جاءت هنا بمعنى العصيان . ينظر : ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (ضرر).

وتوقفت وقلبت إلى جحيم . لذا فقد اشترك فيها الآباء والأبناء([1]) بصلة وثيقة وتشابه كبير ،بما يشير إلى أنّ نظرة الشعراء للحياة الزائلة هي نفسها ،فكشفهم للدنيا وأفعالها جعلهم ينفرون منها ،ويلاقون الخيبة في آمالهم .فمن ذلك ما قال ابن الجنّان متأسّفا عليها ،وعلى الآمال التي تخيب بتجربتها ومعرفتها حقّ المعرفة . يقول في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

وَخِيمَةُ الخِيمِ مَنْ يَرْتَــعِ بِمَرْتَعِهــا ... يَمُتْ فَسادَ مِزاجٍ أوْ يَمُــتْ عَجَفــا([3])

بَيْنَا تُرِيكَ رِيــاضَ الأرْضِ مُونِقَــةً ... عادَتْ هَشِيمًا كأنّ النّبْتَ ما وَهَفــا([4])

إذا رَجَــا عِنْــدَها الــسرّاءَ آمِلُهَــا ... ارْتَــجّ جانِبُهــا بــالحُزْنِ وارْتَجَفــا

ونلتمس خيبة الأمل في أبيات أبي محمد القاسم التميمي في رثاء ابنه ،إذ تكبّد العناء حتى رأى صغيره فاختطفه الموت، ليترك بصمات من الحزن على حياته بكلّ ما فيها، يقول([5]): (الوافر)

رَمَانِي الــدهرُ لــمْ يُخْطِــئ فُــؤادِي ... وكــالَ بــه فَمــا رَبِــحَ الحَبِيــبُ

وقد يُنْبِــي عــنِ الأمَــلِ التّــدَانِي ... وقدْ يُــدْنِي مِــنَ الأجَــلِ الهُــرُوبُ

أحِــينَ تَــرَاءَتِ الآمَــالُ فيــهِ ... كَمِثْــلِ الأثْــرِ يُبْدِيــهِ القــضِيبُ

وأعْطَتْنِــي بــهِ الــسّلْمُ الأعَــادِي ... وأضْحَكَنِي بــه الــدّهْرُ القَطُــوبُ([6])

وجــاءَ بــهِ علــى بُخْــلٍ زَمَــانِي ... وقدْ يُنْــدِي لــكَ الــصّخْرُ الــصّلِيبُ

فَــأيّ ذخيــرَةٍ أعْــدَدْتُ فيــهِ ... علــى عِلْــمٍ بِحادِثَــةٍ تَنُــوبُ

إنّ يأس هذا الأب امتاز بتلاشي آمالٍ عقدها لوجود ابنه في حياته ،وهو أمر اشترك به الآباء جميعا . إلا أنّ ما جمع بين الأبناء والآباء ،هي خيبة ابن آدم في الدنيا، التي مثلت صفعة قوية للإنسان ،وأجبرته الاعتراف بأنّه مجرّد مخلوق ضعيف يخضع لقوانين الحياة التي لا نفوذ لها .

ب ـــ الدعوة إلى الحذر من الدنيا وعدم الغرور بها

انطلق الشعراء الأندلسيون في رثاء أبنائهم وآبائهم محذرين من مساوئ الدنيا وصفاتها المذمومة ، وذلك بعبارات خلطت بين التحذير منها وعدم الاغترار بملذاتها ونزواتها

---

[1] ـ أشار ابن شكيل إلى الآمال المتعثرة والمتخبّطة للمرء حين يلقى حتفه ،والتقارب بين لحظة السعادة والحزن ، ينظر : **ديوانه** ،82.

[2] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،348.

[3] ـ عجف نفسه عن الطعام يعجفها عجفا :أي حبسها عنه. ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (عجف).

[4] ـ وهف النبت يهف وهفا ووهيفا :اخضرّ وأورق واهتز .ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (وهف).

[5] ـ عباس ،إحسان :**معجم العلماء والشعراء الصقليين** ،157.

[6] ـ القطوب :العبوس .ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (قطب).

ونزواتها. فهي" حلوة خضرة ،حفّت بالشهوات ،وراقت بالقليل ،وتحبّبت بالعاجلة ،وخيّبت بالآمال ،وتزيّنت بالغرور ،ولا تدوم حبرتها([1])، ولا تؤمن فجيعتها ،غرّارة ضرّارة ،وحائلة زائلة، ونافذة النعمة"([2]).

إنها الدنيا التي حاول الشعراء تحذير بني آدم منها ،حتى لا يضيعوا بين أعاصيرها الدوامة ،فهي وصلة متينة ربطت صفاتها المذمومة بالحاجة إلى التحذير منها. فهل كان التعبير نفسه بين الآباء والأبناء في التحذير من الدنيا وعدم الغرور بها ؟وهل كانت كمية الأشعار قريبة إلى حدّ ما بين الطرفين ؟.

لقد صوّر أبو محمد القاسم التميمي الشاعر الأب، اغترار الإنسان بالأيام وما يجد فيها من الأمان ،رغم إدراك هذا الإنسان في قرارة نفسه حقيقة الدنيا وغدرها ومفاجآتها الكثيرة، متسائلا عن كيفية استشعار لذة الدنيا رغم إدراك مساوئها ،لذا نجده يجمع بين فعل اللذة وبين المصدر الدال على العقلانية والفهم بقوله (لبيب)، فالفعلان متناقضان، ومن الصعب الجمع بينهما ،فصاحب العقل الرشيد يدرك أنّ الدنيا جافة عقيمة ولا لذة فيها ،يقول في رثاء ولده([3]): (الوافر)

وتُعْجِبُنـــا مُـــسَالمَةُ اللّيـــالِي وفـــي تِلْـــكَ المُـــسَالَمَةِ الحُـــروبُ

وكيـــفَ يَلَـــذّ بالـــدنْيا لَبيـــبٌ تُخاطِبُـــهُ بِفُرْقَتِهـــا الخُطـــوبُ

كما يصوّر أبو الربيع الموحّدي خبرته التي اكتسبها من تجاربه في الدنيا وعدم شعوره بالأمن في ربوعها ، بما يدلّل على رغبته العظيمة في تحذير الإنسان من البحث عن الأمان بين ضلوعها . يقول في رثاء ولده([4]): (الوافر)

فَـــإنْ تَـــسْألْ عـــنِ الأيّـــامِ سَـــلْنِي فإنّـــكَ قـــدْ سَـــقطْتَ علـــى خَبيـــرِ

أحبّـــكَ يـــا زمـــانَ العُمْـــرِ جَهْـــدِي ولكنْ مِـــنْ صِـــرُوفِكَ مَـــنْ مُجِيـــرِي

وإنّـــي إنْ أقَمْـــتُ عَليْـــكَ حتّـــى تُـــؤمّنِني أقمْـــتُ علـــى غُـــرورِ

---

[1] - الحبرة :النعمة ،ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (حبر).
[2] - الآبي :منصور بن الحسين ،**نثر الدر** ،215/5.
[3] - عباس ،إحسان :**معجم العلماء و الشعراء الصقليين** ،167
[4] - **الديوان** :44.

تطرّق الآباء إلى الفكرة السابقة بكلمات مختلفة تشابهت في عفويّة الأسلوب ،أمّا الأبناء([1])، فجاء تناولهم للفكرة نفسها بتوجّه أعمق وأسلوب أكثر حماسا وتشويقا، فجرس الألفاظ والعبارات كان لها أثرها العميق في نفس المتلقي . وقد سار ابن الجنّان مسير من سبقه من الآباء والأبناء في هذا الغرض أيضا ،متنقلا بين الأساليب المختلفة التي تشدّ انتباه القارئ إليها ،ما بين التهديد والخطاب المباشر والاستفهام والنهي ،يقول في رثاء أبيه([2]):

(البسيط)

وَيْحَ المُقِيمِ بِدارٍ وهْوَ مُرْتَحِلٌ ... ما حَلّ مُذْ حَلّ رَحْلا لا ولا أُكُفَا([3])

فَقُلْ لِبَانٍ على ظهْرِ الطّرِيقِ بَنَى : ... ماذا الغُرُورُ ؟أجَهْلا كانَ أمْ سُخُفَا ؟

لا تَنْخَدِعْ ببِنَي الدّنيا ولوْ جَعَلَتْ ... لِكُلّ بَيْتٍ بَنَتْ مِنْ فِضّةٍ سُقُفا

إنّه يصوّر غفلة المرء في دنياه ،في كلمات تنقل حقيقة الإنسان الغافل عن نهايته وإقباله على الموت المحتوم الذي لا يمكن الإعراض عن طريقه ،يقول أيضا في القصيدة نفسها([4]): (البسيط)

وَضَاحِكٌ مِلْءَ فِيهِ لوْ دَرَى لَبَكَى ... دَمَ الفُؤادِ إذا ما دَمْعُهُ نَزَفَا

الأمْرُ أمْرٌ وهذا الخَلْقُ في عَمَهٍ ... أو في عَمًى يَخْبِطُ الظلْماءَ مُعْتَسِفا

يا رَاكِبَ اللّيلِ ،قدْ شَارَفْتَ مَعْطَبَةً ... عَرِّجْ على النهْجِ واتْرُكْ ذلكَ الجُرُفا([5])

هذي السبيلُ فَدَعْها في أزِمّتِها ... يُدْنِي التقاذُفُ مِنْها بَلْدة قَذَفَا([6])

الموتُ غايَتُها والقبرُ مَنْزِلُها ... فهلْ تَرَى سَيْرَها عنْ قَصْدِها انْحَرَفا

إنها مشاعر تشبه مشاعر اليتيم الحاقد على الدنيا ومن فيها ،فرغم التشابه في الفكرة بين الأبناء والآباء ،إلا أنّ تحامل الأبناء كان أكبر ،وربما كان ذلك واضحا في رثاء ابن شكيل([7]) وابن الجنان لأبيهما ،وللحيز الذي فسحوه لأنفسهم في تناول هذا الغرض في الرثاء، وربما يكون السبب عدم تركيزهم على غرض الندب بالقدر نفسه لأثر الموت ومعضلاته من

---

[1] ــ لجأ ابن شكيل في رثاء أبيه إلى التكرار في أدوات الاستفهام، منتظرا الجواب المرصود في نفسه مسبقا، وذلك للتحذير من الزمان ، ينظر : **الديوان** 81

[2] ـ ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،346.

[3] ـ الأكاف من المراكب ،شبه الرحال .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (أكف).

[4] ـ ابن المرابط:**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،346

[5] ـ الجرف : ما أكل السيل من أسفل شق الوادي .ابن منظور ،**لسان العرب** ،(جرف).

[6] ـ قذفا:بمعنى البعيدة والغربة ، أي أنّ الموت يقرّب كل المسافات إليه ولا يعجز الوصول إلى البعيد ينظر : ابن منظور: **نفسه** ، مادة (قذف).

[7] ـ تحدّث ابن شكيل بالكثير من الأبيات عن الحياة والموت في قصيدته .ينظر :**ديوان ابن شكيل** :81 ،82.

حب للدنيا والتحذير منها ،فحرارة المأساة التي كانت في طريقها للشفاء ، من أهمّ الأسباب التي سمحت لهم خوض هذا الغرض أكثر من غيره ،ممّا ترك مساحة أوسع من قصائدهم له، بعكس الآباء ممّن ركّزوا على ندب أبنائهم ثم تأبينهم في قصائد رثاء أبنائهم .

كما حذر الآباء والأبناء البشر من الدنيا ،بأن رسموا صورة لفناء الأقوام الماضية، ممّن ألهتهم الدنيا وأخذتهم بنعيم ملذاتها ،وأكاذيب أحلامها وسحر جمالها، إذ انكشفت قدرة الموت لهم في سحق أكثر البشر عظمة ومكانة، و إبادة الأقوام على اختلاف عصورهم وجبروتهم([1]).

فأبو الحكم بن عذرة جب من كثرة الأقوام التي تمكنت الدنيا من القضاء عليهم ، يقول في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

ولا تَغُرّنّـــكَ الـــــدنيا وَزِينَتُهـــــا فكمْ أبادَتْ؟! وكمْ أفْنَت ْمِنَ الأمَـــمِ ؟!

نلاحظ تكرار الاستفهام بكمّ التكثيريّة، والجمع بين الإبادة والفناء لتصوير حقيقة الدنيا وفتكها ،([3]) ويقول ابن حمديس في المعنى نفسه([4]) في رثاء أبيه([5]): (المتقارب)

وكُـــلّ امْـــرئٍ قـــدْ رَأى ســـمْعهُ ذهابًـــا مِـــنَ الأمَـــمِ الماضِـــيَة

كما تشارك الأبناء والآباء في دعوتهم الإنسان للزهد في دنياه، والقناعة بما عنده منها ،فهي لا تستحق التكلف والعناء رغم كلّ ما فيها من الملذات . فقد قال لقمان لابنه : " إنّ الدنيا بحر عريض ،وقد هلك فيه الأولون والآخرون ،فإن استطعت فاجعل سفينتك تقوى الله ، وعدّتك التوكل على الله ،وزادك العمل الصالح ،فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك"([6]).

وقد كان الحصري القيرواني من أكثر الآباء تناولا لهذه الجزئية ،،يقول في رثاء ابنه([7]): (مخلّع البسيط)

هَلّـــا اهْتَـــدَى مَـــنْ أضَـــلّ هَلّـــا تَـــذكّرَ المـــوتَ كـــلُّ ســـاهِ

هـــذي المنايـــا لهـــا ســـهامٌ كـــلُّ جَـــديرٍ رَمَتْـــهُ واه

---

[1] - ينظر :عبد الله ،عبد الخالق :**رثاء الملوك والممالك في الشعر الجاهلي** ،رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية ،31.

[2] - ابن الأبار :**تحفة القادم** ،146.

3 - أشار ابن شكيل إلى هذه الفكرة ، وقد حصرها على الملوك الذين تلاشوا بالموت في ربوع الدنيا وكمهم الهائل. ينظر **: ديوانه** 81

[4] - ينظر : القاسم ، فدوى **: الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف** ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية 2002 م ، 51.

[5] - **الديوان** :522.

[6] - ابن عبد ربه :**العقد الفريد** ،173/3.

[7] - **الديوان** :277.

هُـــدى ونـــورًا بِكـــلّ قلْـــبٍ بـــاتَ عـــن اللهِ غيـــرَ لاهِ
هانَـــتْ عَلَـــيَّ الحيـــاةُ لمّـــا فـــارَقَني مَـــنْ بـــهِ أبَـــالِي

ويقول أيضا([1]): (الخفيف)

زاهِدًا في الحياةِ أفـضلُ عنـدَ الـــ ـــه ممّـــنْ يكـــونُ فيهـــا رَغيبـــا
ما أغَـرّ الحيـاةَ للمَـرْءِ مـا أبْـــ ـــعَـــدَ آمالَـــهُ وأدْنَـــى شَـــعُوبا
ما أقَـلّ الوفـاءَ مـا أضْـعَفَ الطـا لِـبَ فـي ذا الزمـانِ والمَطلوبـا

إنّ الزهد الذي دعا الحصري القيرواني الأب إليه جاء متشابها إلى حدّ كبير مع ما جاء به ابن الجنّان في رثاء أبيه ،يقول([2]): (البسيط)

مَنْ يَضْحَ عَنْ ظِلّها زُهْدًا فذاكَ فتًـى يُضْحِي وظِلّ العُلا مِـنْ فوْقِـهِ وَرَفـا
فَعِفَّ عنْها كما عَفّ الكِـرامُ وَعِـفْ مَـوَارِدًا سُـمُّها فـي شُـرْبِها قُـذِفَا

كما أشار أبو الحسن إلى زهد أبيه في دنياه قبل موته في قوله([3]): (الطويل)

وَأسْـــلفَ إحْـــسانا أوَانَ اقْتِبالِـــهِ وخافَ مِنَ التقصيرِ في حَيّـزِ الكِبَـرْ
لـــذلكَ مـــا والـــى أنينًـــا وزَفـــرَةً وأصْبحَ يَهْوى أنْ يُعادَ إلـى الـصّغرْ

إنها الصحوة نفسها لطرفي الدراسة في رثاء أبنائهم وآبائهم ،التي تحثهم على الدعوة إلى الزهد والترغيب فيه والتعظيم من شأنه في باب الحديث عن الدنيا ،لتكون سلاحا مقابلا لتفاني الرغبة فيها:"وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "([4]). نعم ،إنها آمال يجعلها الإنسان قيد البحث والتفكير بعد مصيبة تسلبه عزيزا عليه، وتعمّق شعور الوحدة وعدم الكمال فيه ،وتحفزه على النهوض إلى الزهد والترغيب في الآخرة بعيدا عن الدنيا : " وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ "([5]).

لذا فإن التشابه في طرح موضوع الحياة الدنيا بكلّ ما تناولت مسبقا جاء على تشابه كبير في الأفكار المطروحة ، مع القليل من الاختلافات التي تركزت على الألفاظ التي

---

[1] - **الديوان** :84.
[2] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،347.
[3] - المراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** ،5 /28.
[4] - **الأنعام**/32.
[5] - **الرعد** /26.

استخدمها الشعراء في التعبير عن الغرض نفسه، والأساليب التي طرحت عبرها المادة الشعرية من استفهام وتعجب ونهي وكثرة التكرار ومبالغة في الأوصاف .

ثانيا ــ حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الموت

اختلفت نظرة البشر للموت وكلّ ما تعلق به مع مجيء الإسلام ،فبعد أن كان سرًّا غامضا وقوة عجزوا الاعتراف بجبروتها وطغيانها ،وبعد أن حاول الكثيرون تحقيق الخلود، جاء الإسلام بشريعته ؛ ليؤكد أنّ الموت سنة حتمية لا بد منها ،وأنه مصير كلّ مخلوق أدركته الحياة ،مبيّنا ضرورة الاستعداد والعمل من أجله ، كي لا يكون كابوسا في حياة الإنسان ،بل نهاية يقرّ بوجودها وضرورة وقوعها([1]). قال تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ "([2]).

وقد كان ابن الجنّان من أهم الشعراء الذين تعمّقوا في فكرة الموت بفروعها واختلافاتها ، إذ نجح في إبرازها بشكل جديد على مستوى الشعر الأندلسي والعربي ، وهو الأمر الذي سنشهده حيّا على مسرح قصيدته الرثائية ، إذ عنى بجزئيّات وتفصيلات تتعلّق بالموت وجبروته في جوّ قريب إلى الفلسفة ، بأساليب عديدة تشدّ ذهن السامع إليها ، فلم يكن في نظمه للقصيدة يسير وفق مستوى واحد في طرح معانيه المختلفة ، بل حرص على طرح أسئلة يمكن أن أصفها بالفلسفية ؛ لأنّ الإنسان العاقل في محاولته الإجابة عنها يبحر في أفكاره ومخيلته إلى البعيد دون أن يجد جوابا عن أسئلته في الكثير من الأحيان ، ممّا يدفعه إلى طرح المزيد من الأسئلة والتفلسف في إجابة قد تكون مجهولة ، من المستحيل الإجابة عنها ؛لأنها تقع في علم الغيب ، وذلك مثل سرّ الروح في الجسد .

لذا فقد مثّل الموت جوًّا فلسفيًّا عميقًا عند هذا الشاعر ، قد يكون هو الأسمى في محاولة الشعراء التفلسف في موضوع الموت ، والبعد عن تناول الأفكار المتعلقة بالموت بعفوية ووضوح مباشر، ليكون فيها شيءٌ من التعقيد الموجّه إلى الفهم والعقل ، وقد جاء الحصري القيرواني بعد ابن الجنّان في تناول هذا الجانب في الرثاء ثم ابن شكيل وابن حمديس وابن يامين....

---

[1] - ينظر :البغدادي ،مريم : **التأصيل الفني للبكائية القديمة في الشعر الجاهلي** ،أبحاث اليرموك ،مج 4، العدد1 ، 34،1986 و العدوان ،أحمد ،وعكاشة ،جميل :**جدلية الحياة والموت في معلقة عبيد بن الأبرص قراءة تحليلية نصية** ،المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها مج 5 ،العدد 3،تموز ، 2009 م، 93 ومحمد، أحمد ،**قلق الموت** ،14 ،15 وشورون ،جاك ،**الموت في الفكر الغربي** 22

[2] - **آل عمران** /185.

فما هي أهمّ الأمور التي تناولها الشعراء الأندلسيون في رثاء أبنائهم وآبائهم في حديثهم عن الموت ؟وكيف كان تعبيرهم عن الأغراض نفسها ؟وهل طغى طرف على الآخر في تناول تلك الجزئيات ؟ .

أ ــ الموت قدر ووقت معلوم لا مفرّ منه

وهو أحد أهمّ الأمور المتعلقة بالموت ،إذ خاض الآباء والأبناء الحديث فيه ضمن هذه الدراسة ، إذ أرشد الموت أصحاب العقول إلى حقيقته المريرة المودية بأعز الأحباب على الإنسان ،فقدر الإنسان الموت الذي بات مستسلما له ،قال تعالى"وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا "([1]).

ومن هنا، فقد تهيأت نفسية الإنسان لفكرة الموت، وآمن بوقته المحدد الذي لا تأخير فيه ولا تقديم .يقول ابن يامين في رثاء ابنته وابنها([2]): (الوافر)

هـــيَ الآجـــالُ مـــا فيهـــا مَزيـــدُ ولا نَقْـــــصٌ ولا عنْهـــــا فـــــرارُ

إنها ما قدّر على الإنسان من منايا لا تلاعب في زمان وقوعها .قال تعالى :" وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ "([3]).

وهذا ما عبّر عنه الشاعر في الفكرة السابقة بجمعه بين الزيادة المرغوبة دوما من الإنسان في عمره، وبين النقصان الذي يخشاه في المقابل، وبين حاجة إلى الفرار حُرم الإنسان منها في سنّة الكون .قال تعالى :"أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ "([4]).وقد أشار يوسف الثالث إلى حقيقة القدر الذي سلب ابنه صغيرا، يقول([5]): (الطويل)

رجَوْنـــا لعبـــدِ اللهِ مـــا يَبْلُـــغُ الأمَـــلْ وما يَقْتَضيهِ صالحُ القَـــوْلِ والعَمَـــلْ

فَوَافَـــاهُ حُكْـــمُ اللهِ والقَـــدَرِ الـــذي إذا كانَ مِنْه ُالحُكْـــم ُفـــالأمْرُ مُمْتَثَـــلْ

إنّ امتثال الإنسان لفكرة الموت وتقبّله إياها ارتبط بحقيقة الموت والقدر الذي رسمه صاحب هذا الكون، لذا فقد وظف الشاعر فيما سبق الفاء المفيدة للترتيب والتعقيب ،فامتثال الأمر جاء مباشرة لإيمان الشاعر بحكم الله وقدره .

---

[1] - **الأحزاب** /38.
[2] - مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 45.
[3] - **الأعراف** /34.
[4] - **النساء** /78.
[5] - **الديوان**: 106.

وإن كان الآباء قد تحدّثوا عن هذه الفكرة ،فقد أعطاها الأبناء في رثاء آبائهم حيّزا مهمّا من أشعارهم ،إذ تميّزوا عن الآباء بكثرة نتاجهم الشعري الموجّه لهذه الفكرة ،فأبو الربيع الداني مثلا اتفق ويوسف الثالث فيما سبق ،فالمصير الذي لاقاه أبوه كان حصيلة قدر قدّر عليه مسبقا ،يقول([1]): (البسيط)

لوْ لـمْ تُقَـدّرْ عَلَيْـهِ ميتَـةٌ سَـبَقَتْ ورَامَهَا كلّ أهل ِ الأرْض ِ مـا قَـدَرَا

أمّا ابن مطروح فقد اتفق مع ابن يامين الأب ،إذ بيّن قدرة الموت في إصابة الإنسان المستهدف دون السماح له بالمماطلة فيه :يقول([2]): (المتقارب)

دَعـاكَ فَلَبّيْـتَ داعِـي البِلَـى وفارَقْـتَ أهْلَـكَ لا عَـنْ قِلَـى([3])
رَمَتْـكَ وسَـهْمُ الـرّدَى صَـائِبٌ شَـعُوبُ([4]) فمـا أخْطَـأتْ مَقْـتَلا
تقاضَـاكَ منّـا الغـريم ُ الـذي أبَـى قَـدَرُ اللهِ أنْ يَمْطُـلا

اتفق الآباء والأبناء السابقون على الموت الذي لا مماطلة في وقته ولا فرار من حتميّته، وهو أمر ظهر التشابه الكبير في تناوله بين الطرفين، مع اختلافات في الألفاظ والأساليب المستخدمة في طرح المادة الشعرية من شاعر لآخر.

ومن المعاني المطروحة ضمن هذه الفكرة ما جاء به ابن الجنّان في رثاء أبيه ،إذ جلّى الفكرة السابقة متعمّقا فيها ،يقول([5]): (البسيط)

ما أعْجَبَ الحَـيْنَ والمِقـدارَ إنّهُمـا ما اختلّ حُكْمُهُمـا يوْمـا ولا اختَلَفـا
كُلّ ٌ إلـى أجَـلٍ يَجْـري فمَـصْرَعُهُ ويوْمُـهُ فـي كتـابِ اللهِ قـدْ عُرِفَـا
ومَنْ قـضَى اللهُ فـي أرْض ٍ مَنِيّتَـهُ يُنِخْ بها رَاضِـيا أو كارِهـا شَـنِفَا([6])
هِيَ المقاديرُ والأحْكـامُ قـدْ سَـبَقتْ فَضَلّ مَنْ ظَنّ مـا يَـأتي بـه أنُفَـا

كما عبّر عن السهولة التي يجدها الموت في تحقيق مطلبه ،يقول([7]): (البسيط)

الصّعْبُ سَـهلٌ إذا مـا كـانَ يَطلُبُـهُ والعُلْوُ سُفْلٌ وكالإصْـبَاح ِ كُـلّ خَفَـا
يَسْتَنْزِلُ الطّيْرَ وابـنَ الـيَمّ يُخْرِجُـهُ هاو ٍ مِنَ الجَوّ أوْ فَوْقَ المِيـاهِ طَفَـا

---

[1] ـ الصفدي ، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات** ، 15 /347.
[2] ـ ابن الأبار :**تحفة القادم** ، 228.
[3] ـ قليته قلى وقلاء ومقلية :أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته .ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (قلا).
[4] ـ من أسماء المنية ، وسميت شعوب ـ هذه اللفظة ممنوعة من الصرف ـ لأنها تفرّق وأزرت من تصيبه من الزيارة. ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (شعب).
[5] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 343،344.
[6] ـ شنفه شنفا :أبغضه .ابن منظور : **لسان العرب** ،مادة (شنف).
[7] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** :349.

إنها كلمات جمعت بين سطورها كلّ ما طرحه الآباء في أبياتهم المتفرّقة من حديث عن جبروت الموت ويده الطائلة التي تسير وفق نظام كونيّ قد خطت مقاديره مسبقا ،وقد حاول ابن الجنّان هنا عرض الثبات الدائم في القدر ،فبتكراره لأدوات النفي نفى عنه كل ما قد يدفع الإنسان للشك في قدرته أو عدم تحققه ،مؤكدا صحة ما يقول بتكرار الأفعال الماضية والمصحوبة أحيانا بـــ"قد" المفيدة للتحقق في الماضي . فما شهد الإنسان من أفعال القدر والموت خاصة ،يثبت قدرة الخالق ورصده كل مخلوق ومقدار عمره في هذا الكون .وقد أثبت ابن الجنان بتناوله لجزئيات وتفاصيل مدى الانفتاح الذهني للأبناء وتغلبهم على مشاعر الندب ؛لإعطاء مساحة واسعة من رثائهم للبحث في موضوع الحياة والموت .

وها هو يتساءل مستنكرا كيف يكون الفرار من الموت الذي لا بدّ منه ،يقول في رثاء أبيه([1]): (البسيط)

كيفَ التّوَقّي ولا يُغنِـــي الحِـــذارُ ولا يُنْجِي الفِرَارُ إذا مـــا خَطْبُهـــا اكْتَنَفـــا

مَنْ ذا يقومُ لأحداثِ الزمـــانِ ومَـــنْ يُقـــاومُ الجَحْفَـــلَ الجَـــرّارَ إنْ زَحَفـــا

سَيْلٌ جُحَافٌ([2]) فلا سَـــهْلٌ ولا جَبَـــلٌ إلا أجَـــاحَ مَكانًـــا مِنْـــهُ أو جَحَفـــا

وقد جاء تعبير الأبناء والآباء عن فكرة ــ الفرار من الموت ــ في الحديث عن الرغبة بفداء المرثي، فعبد الملك بن بشر مثلا أقرّ بعجزه عن ردّ موت أبيه بأيّ شيء كان من المال والبشر ، وبذلك اتفق مع ما جاء به ابن الجنّان من قبله ضمن تساؤلاته السابقة والأوصاف التي وصف الموت بها ،يقول في رثائه([3]): (الرمل)

لـــمْ يَـــرُدّ المـــوتَ عنْـــهُ إذ سَـــما نحْـــوَهُ كثـــرةُ مُـــالٍ وعَـــدَدْ

وقد فصّل يوسف الثالث في رثاء ابنه أكثر من ذلك ،بأن قال([4]): (المنسرح)

لـــو رَدّهُ المُلْـــكُ لاثْنَـــى وَجَـــلا مُقْتَـــدِرا خـــوْفَ بطْـــشِ مُقْتَـــدِرِ

لـــو دَفَعَتْـــهُ الكتائِـــبُ انْـــدَفَعَتْ إليـــهِ بـــالبيضِ والقَنـــا الـــسُّمُرِ

نلاحظ النفي في قول ابن الجنّان الابن و عبد الملك بن بشر أيضا ، وتكرار لو في قول يوسف الثالث الأب ،فالاستحالة بيّنة ظاهرة في وضعيّة الموت، وهذا ما حاولوا البوح به لأنفسهم أوّلا وللبشر ثانيا ،فاتفاق الأب والابن هنا ،جاء في معرض رغباتهم الدفينة بفداء المرثي، وهو الأمر الذي تفوّق فيه الآباء سابقا ولاحقا ،لسيطرة مشاعر الندب على أشعارهم،إذ صارت وليدة الرغبات المستحيلة التي كانت ولا زالت جزءا من رغبة الإنسان

---

[1] - ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،348.

[2] - سيل جحاف :يذهب بكلّ شيء ويجحفه أي يقشره .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (جحف).

[3] - ابن الأبّار :**الحلة السيراء** ،58/1

[4] - **الديوان** :78.

الفرار من الموت بفطرته،أو رغبته بالفرار من الموت إلى الموت نفسه([1])، وهو ما برع فيه الآباء في رثاء أبنائهم ، وذلك بتجنّب موت الابن بفدائه بنفسه أو حتى اللحاق به بالموت معه أو خلفه مباشرة . لذا فإنّ الفرار من الموت تمثّل في هذه الجزئية ضمن محورين : أمّا الأول، فهو ما عبّر عنه القرآن الكريم في رغبة الإنسان الفرار إلى كلّ قوة تمكّنه حماية نفسه من الموت، وهو ما جاء به ابن الجنّان في تساؤلاته المتكررة عن الكيفية المستحيلة للوقاية من الموت، وحديثه أيضا عن السهولة التي يجدها في اصطياد فريسته ،ممّا يمثّل رعبا حقيقيا للإنسان الذي لا يتمتع بالإيمان اللازم للشدّ من أزره في هذه المحنة .

أمّا المحور الثاني لفكرة الفرار من الموت : فمثلته رغبة الفداء بالنفس والمال وكل ما يستطيع الأب أو الابن تقديمه لتلاشي موت أحبّته .وفي حالة رثاء الأب لابنه ، تجنّب موت الابن والأب معا ؛لأنّ الأب يفقد روحه ويشعر بالموت يسري في عروقه لموت فلذة كبده في حياته ، وكأنه يعيش الموت نفسه .لذا فإن ّ تعبير الآباء والأبناء عن فكرة الفرار من الموت جاء متشابها إلى حدّ كبير ،لكنه امتاز بتفوّق الأبناء وخاصة ابن الجنّان بالمحور الأول من هذه الفكرة . و تفوّق الآباء في تمثيل المحور الثاني من الفكرة نفسها .

وهذا لا يمنع أن يكون الجزء الذي نجح فيه الأبناء أكثر عموما وشموليّة من الجزء الذي نجح فيه الآباء ؛ لأنّ رغبة الفرار من الموت إلى القوة التي تمكّنه من حماية نفسه منه أمر في غاية الشموليّة لبني البشر الذين جبلوا على خشية الموت ، رغم استحالته واقتناع الإنسان في داخله من حقيقته ،باستثناء المؤمنين الذين اهتدوا بإيمانهم وعقولهم السليمة لفكرة الاستسلام للموت، وتركها للأيام وللساعة المحتومة ،مع حرصهم الشديد على استعدادهم له .

ب ــ الموت نهاية كلّ مخلوق ،والكلّ فيه سواسية

وهو جزء من الموت ،من الصعب التغافل عنه أو حتى فصله عن الغرض الذي قبله، إذ إنّ الموت بكلّ تفاصيله وجزئيّاته يتّسم بخصوصية الترابط بين حلقاته جميعا ، و لفظة القدر التي وقفت عندها سابقا تشير تلقائيّا بين ثناياها إلى الشيء الوحيد الذي تساوى الناس جميعا فيه ،وهو الموت الجامع لكلّ من فيها على اختلاف هيأته ومكانته .

[1] ـ أشرت إلى فكرة فرار الآباء من الموت إلى الموت نفسه في الفصل الأول ضمن الأماني المستحيلة في الندب، لكن تناوله هنا جاء مختلفا لخدمة الغرض الذي تبين هنا .ينظر **الفصل الأول** : 25 ،26 .

وقد أشار ابن يامين إلى معنى النص السابق نفسه ،بأن قال في رثاء ابنته وابنها([1]):

(الوافر)

نهايــةُ كــلّ مَــنْ قَــرُبَ التنَــائي وغايــةُ كــلّ مَــن ْعــاشَ البَــوَارُ

كما بيّن أبو حيان الأندلسي إيمانه العميق بلحاقه قريبا من ابنته نضار ،لإيمانه في نفسه بأنّ الموت نهاية كلّ البشر،ولا يهمّ من يسبق إليها ،يقول في رثاء ابنته نضار([2]): (الخفيف)

إنْ تَكُــنْ قــدْ تقــدّمَتْ وبَقينــا بُرْهَــةً فــي زَمانِنــا المَــسْفوحِ

فَعَلَــى إثْرِهــا نَــرُوحُ ونَرْجــو عَفوَ رَبّ عــن ِالــذنوب ِصَــفوح ِ

ويؤكد ابن حمديس في رثاء ابنته أنّ الفناء مصير كلّ حي في الأرض والسماء ،باستثناء الله سبحانه وتعالى ،يقول([3]): (الطويل)

أرَى العالمَ العُلــويَّ يفْنَــى جَميعُــهُ إذا خَلَت ِالدنيا مِنَ العــالم ِالــسّفْلي

ويَبْقى على ما كانَ مِنْ قبــل ِ خَلْقِــهِ إلهٌ هَدَى أهــلَ الــضلالَة ِبالرّسْــل ِ

إنه يشير إلى حقيقة أدركها كلّ إنسان آمن بالله سبحانه ووحدانيته ،قال تعالى:" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ "([4])، وهو يصوّر أمورا ستكون في آخر الزمان ،فبعد فناء عالم الإنس والجان ،يأمر الله بموت الملائكة جميعا ، أي المخلوقات كلها في السماء إلى أجل مسمّى .

ومن أنعمه النظر في هذه الأبيات يلتمس مقدار العدل والمساواة والبعد عن أشكال الظلم بالمصير النهائي الجامع لكلّ مخلوقات الله سبحانه وتعالى ،وهذا ما جاء به ابن الجنّان الابن في رثاء أبيه ،مقرّا بما شكّله الموت من ألم ومعاناة للإنسان ،رغم استطاعته أن يكون طبيبا لبني البشر بعدله السائر عليهم جميعا ،يقول في الموت وعدله المتحقق([5]): (البسيط)

ساءَ الرّدى ثُم ّسَاوَى فــي حُكومَتِــهِ أيَبْتَغي العَدلَ في الأحْكام ِمَنْ عَــسَفَا

ما جارَ بلْ جــاءَ والمِقــدارُ سَــائِقهُ إمّا تَرَفّقَ حِــينَ الــسّوْق ِأو عَنَفــا

---

[1] - مؤلف مجهول ،**لباب الألباب** ،48.

[2] - **الديوان** :144.

[3] - **الديوان** :364.

[4] - **الرحمن** /26.

[5] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،350.

ويقول في جبروت الموت وعدم رأفته بسنّ الصغير ولا شيبة الكبير ولا حال الناس الدافع للشفقة ،ولا حال من وجدوا في أنفسهم مزايا تجعلهم أعلى شأنا من غيرهم في دنياهم، يقول في رثاء أبيه([1]): (البسيط)

رَيْبُ المَنُونِ لـــهُ وَطْءٌ علَـــى حَنَـــقٍ ... كطالِبِ الثـــأرِ يُلْفَـــى غاضِـــبًا أسِـــفا

ما إنْ يُرَاعِي ولا يُرْعِي علـــى أحَـــدٍ ... يُرْدِي المَسُودَ مَعًـــا والـــسيّدَ الطرِفَـــا

فلا أخَا البُـــؤْسِ للبَأســـاءِ يَتْرُكُـــهُ ... ولا المُـــنَعّمَ يُبْقِـــي ناعِمًـــا تَرِفـــا

ولا يَـــرِقّ لِطِفـــلٍ فـــي طُفولتِـــهِ ... ولا لِشيْخٍ بِقِيْدِ الـــضّعْفِ قـــدْ رَسَـــفا

ولا تواضُـــعُ ذي التقـــوى يُمانِعُـــهُ ... ولا تَكبّرُ ذي الطّغْـــوَى إذا جَخَفَـــا([2])

ولا المُـــسِيمُ بِـــوادٍ مِنْـــهُ مُـــسْتَتَرٌ ... ولا الـــذي فَـــرّ مِنْـــهُ يَتْبَـــعُ الـــشّعَفا

ولا يُبـــالي كِنَـــاسَ الظبْـــيِ يَطْرُقُـــهُ ... أمْ يَطْرُقُ الخِيسَ فيهِ اللّيْثُ والغُرَفا([3])

وقد كان لأبي الربيع الموحّدي رأي ابن الجنّان نفسه في قانون الموت العادل المطبّق على بني البشر جميعا ،يقول في رثاء ابنه([4]): (الوافر)

هـــيَ الأعْمـــارُ تُـــؤْذِنُ بالمَـــسِيرِ ... سَـــــواءٌ للكبيـــــرِ وللـــــصّغيرِ

تشارك([5]) ابن الجنّان في رثاء أبيه ،مع أبي الربيع الموحّدي ومن سبقه من الآباء بالحديث عن المصير النهائي لمخلوقات الله سبحانه ،لكنّهم ركزوا الحديث على العدل فيها، وقد تكررت لفظة التساوي ومشتقاتها في الرثاء ؛لتبيّن لنا أنّ هذه الأشعار هي كلمات موحية تحمل معاني الحكمة والموعظة في الغرض نفسه . فالآباء والأبناء جميعا ممّن ذكرت في هذه الجزئيّة ، قد تناولوا هذا الغرض بهدف التنبيه ،لذا فقد حرصت على تناول أغلب الأشعار التي تحمل المعنى نفسه رغم تكرار الفكرة نفسها ؛ لنستشفّ معا هدفهم الذي كان نفسه عند الآباء والأبناء معا ،وذلك بحرصهم على إبراز هذه الميزة في الموت كخصلة نبيلة فيه ،جعلت منه حكما منصفا في أحكامه، وكأنّهم في مواساة للناس جميعا .

ورغم اختلاف الشعراء في تصوير الموت وقدرته وعدله ،إلا أنّ التميز وجمال الأسلوب لم يكن حليفهم جميعا ،فجمال التعبير والتفنن في صورة الموت، أمر طغى على أشعار الأبناء غالبا.ممّا يبيّن أنّ هدف طرفي الدراسة هو نفسه في إظهار صورة الموت ومزاياه على اختلاف مساوئها ومحاسنها ،في وقت أعطى الأبناء فيه للغرض نفسه القسم

---

[1] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 349

[2] ـ أي أن يفتخر الرجل بأكثر مما عنده .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (جخف) .

[3] ـ الغريف : من مواضع الحلفاء التي تتواجد فيها الأسود . ينظر: ابن منظور **: نفسه** ،مادة (غرف) ومادة (حلف) .

[4] ـ **الديوان** :44.

[5] ـ كان ابن الخطيب أحد الأبناء الذين تحدثوا عن الفكرة نفسها . ينظر **: ديوانه** : 1/ 463.

الأكبر من نتاجهم الشعري وخيالهم الذهني في حيز الرثاء. بعكس الآباء ممّن تميّز رثاؤهم بالعفوية الغالبة في دائرة الندب والتأبين ،وهو ما طغى على أشعار الآباء في معظم الدراسة .

ج ــ الحديث عن أصل الإنسان ونهايته والحكمة من خلقه وموته

لا بدّ للإنسان من تذكر أصله بين الحين والآخر ؛ فخلقه كان من التراب،قال تعالى: "خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ "([1])، وقد ورد في القرآن الكريم ما يبيّن عودة الإنسان إلى التراب ثانية،"مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ"([2]). وقد تحدّث الحصري القيرواني وابن الجنّان عن أصل خلق الإنسان ومراحل تكوينه ،فالحصري القيرواني يقول في رثاء ابنه : ([3]) (المنسرح)

سُــــبْحانَهُ مـــــا أجَـــلّ قُدْرَتَـــــهُ صـــاغَ البَرايَـــا فأحْـــسَنَ الـــصّيَغا
مـــــاءٌ مَهـــينٌ أعَـــادَهُ عَلَقـــا بلُطْفِـــــــهِ ثـــــمّ رَدّهُ مُـــــضَغَا
وأبْـــرَزَ الطفْـــلَ ثُـــمّ ألْهَمَـــهُ الـــنْ نَجْـــدَيْنِ رِزقـــا نَمَـــا بـــهِ ونَغَـــى

ويشير ابن الجنّان إلى الغرض نفسه في رثاء أبيه ، إذ يقول ([4]): (البسيط)

كُنّا مِنَ التّربِ أجْزاءً قَدِ انْحَذفَتْ فَالأصْلُ مُرْتَجَعٌ مِنْـهُ الـذي انْحَـذفَا

وقال أيضا([5]): (البسيط)

وُجودُ شَـــيْءٍ كَـــلا شَـــيْءٍ حَقيقتُـــهُ فـــانْظُرْهُ تُرْبًـــا واذْكُـــرْ حَالَـــهُ نُطَفـــا
فليْتَ شِـــعْرِيَ مَـــنْ يَـــدْري نِهايَتَـــهُ والبَدْءُ كيفَ ازْدَهاهُ التّيـــهُ وازْدَهَفـــا
فانٍ مِنَ العَيْشِ يُلتـــاعُ البقـــاءُ بـــهِ لوْ لَمْ نُبَدّدْهُ في هـــذي الـــدّنا سَـــرَفَا

اتفق الحصري القيرواني الأب وابن الجنان الابن في الحديث عن سرّ من أعظم أسرار خلق الإنسان، وهي مراحل تكوينه التي وقف الإنسان عاجزا أمامها، وذلك بدءا من سيدنا آدم الذي خلق من طين ،إلى سلالته التي ابتدأت بالنطفة وانتهت بالجنين على أحسن صوره، قال تعالى: وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ

---

[1] - **الرحمن 14.**
[2] - **طه /55.**
[3] - **الديوان : 192.**
[4] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر ، 344**
[5] - ابن المرابط **: نفسه** ، 350

لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ".([1]) كما أشار الحصري القيرواني إلى هداية الله الإنسان إلى طريق الخير والشر أيضا فيما سبق، وهو ما قال سبحانه وتعالى فيه :" أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ "([2]).

ولكن لماذا توجّه الشاعران إلى أصل الإنسان ضمن الحديث عن الموت ؟ولم جاء تذكير الإنسان بعودته إلى التراب تارة أخرى ؟.

لم يكن هناك شكّ بأنّ الحصري القيرواني الأب ، وابن الجنان الابن هما أكثر من تناول موضوع الحياة والموت من شعراء الأندلس في موضوع رثاء الأبناء والآباء. فالحصري القيرواني تميّز من بين الآباء جميعا بسعة ديوانه الذي رثى ابنه فيه ،ليتمكّن بذلك من خوض أغراض الرثاء جميعها بحرية كبيرة دون أن يقيّد نفسه بمساحة معينة في الرثاء، ورغم أنّه لم يتناول موضوع الحديث عن الحياة والموت كالندب ،إلا أنّه ترك بصمة مهمة في حضوره ضمن هذه الدراسة . وكذلك حال ابن الجنّان الابن في رثاء أبيه ،إذ امتازت قصيدته الرثائية بتوجّه الشاعر فيها إلى هذا الموضوع ، وإعطائه مساحة كبيرة من قصيدته الطويلة التي انطوت على الكثير من الأمور المتعلقة بالحياة والموت .

ومن هنا ، فقد كان الحديث عن أصل الإنسان بخلقه من التراب، جزءا لا يتجزّأ من مراحل حياة الإنسان المنتهية عبر الموت وفنائه في تراب الأرض ،وهي حقيقة مرّة لا بدّ أن تغرس في نفس الإنسان ويذكّر بها بين الحين والآخر ،ليستذكر الأصل الذي جبل منه أبوه آدم ،وليدرك أيضا قدرة الخالق في خلقه وعجز الإنسان أمامه ،وليتذكّر أنّ رصيده محدود في الحياة، وأنّ نهايته تحت التراب مرة أخرى .فلم التكبّر يا ابن آدم ؟ولم الطغيان والجبروت؟ إذ لا بدّ أن تدرك أصلك وعودتك إليه ،فحياة الإنسان بدأت من التراب ،ونهايته بالموت الذي ينتهي إلى التراب أيضا ،فعليك العمل بما يرضي الله ،وإبقاء صورة الموت المرتبطة بالتراب بين عينيك . وقد اشترك الحصري القيرواني الأب وابن الجنّان الابن بالمغزى السابق المستهدف من تناولهما لهذا الغرض ضمن الرثاء،كما تميّزا بتفرّدهما بتناول مراحل خلق الإنسان والتذكير بخلقه من التراب، إذ امتازت قصيدة ابن الجنّان مثلا بتوجّهه فيها إلى هذا الموضوع، وإعطائه مساحة كبيرة من قصيدته الطويلة التي انطوت على الكثير من الأمور المتعلقة بالحياة والموت وعودة الإنسان إليه ، وكذلك حال الحصري القيرواني.
وهو ما جعل مادتهما الشعرية من أكثر ما خدم موضوع الدراسة، بتناولهما جزئيات وتفاصيل قلّ من التفت إليها من الشعراء الآخرين ممّن رثوا أبناءهم وآباءهم في الشعر الأندلسي ،

---

[1] - **المؤمنون** /12 -14.
[2] - **البلد** /8 -10.

وربما يرجع السبب في تركيزهما على هذه المعاني إلى حرصهم على تصوير نقطة البداية لأصل الإنسان ذلك الأصل الذي تفرّعت عنه الحياة ليدور الزمان وينتهي المطاف إلى حيث كانت البداية ، وربما تعكس هذه الأشعار قدرة الشاعرين غير المحدودة في العطاء الشعري ومدى تأثرهما بالدين الإسلامي وقربهما من الله عزوجل ، وسعة خيالهما الذي يجلب لهما أحداثا من بداية خلق بني آدم ، وحرصهم على تعميق فكرة الموت والحياة وما فيها من أمور لا بدّ من تذكّرها في نفس كل إنسان ، ليعيش جوّ الشاعر نفسه من الكآبة والمعاناة في ظل حياة زائلة .

كما ركزا أيضا على الحكمة من خلق الإنسان وموته "فبما أنّ للحياة حكمة ،فإنّ للموت حكمة وغاية"([1]) ، فقد أوحى الحصري القيرواني بالغرض من خلق الإنسان في رثاء ولده ،وإن لم يصرّح به مباشرة ،يقول ([2]): (المنسرح)

يَعْصِي الذي أمْسكَ السماء قُوًى ... وأنْطَقَ الخَلْقَ باختلافٍ لَغَى

وقُدّرَ الموتُ والنشُورُ على ... خَلقٍ فما بالُ مَنْ يَموتُ طَغَى

ألَيسَ للهِ صِبْغَةٌ حَسُنَتْ ... فكيفَ شاءَتْ عبادَهُ شَغَفا

هلْ لِيَ زادٌ فالعمْرُ قدْ فَرَغَا ... وبازِلِي([3]) قدْ أثَرْتُهُ فَرَغا([4])

ويقول أيضا([5]): (الوافر)

دَنَا مِنّي الرّحيلُ وقَلَّ زادِي ... وشِبْتُ وما لأعْمَالِي صَبُوحُ

إنّ التكرار لذكر الزاد الذي لا بدّ للإنسان التزود به من حياته لآخرته في الأبيات السابقة، كفيل بإرشاد السامع إلى حرص الشاعر تذكير نفسه وغيره بالهدف من خلق الإنسان على هذه الأرض : "قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ "([6]).

وينتقل ابن الجنّان في رثاء أبيه إلى فكرة أخرى بعيدة ، ليتحدث عن الروح والجسد، يقول([7]): (البسيط)

---

[1] ـ محمد ، أحمد **:قلق الموت** ، 14.

[2] ـ **الديوان** :193.

[3] ـ البعير الذي فطر نابه ،أي انشق .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (بزل).

[4] ـ رغا البعير والناقة صوتت فضجت ،ورغا الصبي رغاء وهو أشد ما يكون من البكاء .ابن منظور ،**نفسه**، مادة (رغا).

[5] ـ **الديوان** : 106.

[6] ـ **الأنعام** / 162

[7] ـ ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 345

هَــا إنّهــا آيَــةٌ تَلْتَــاحُ ظــاهِرَة ... إلا لِمَنْ صَدّ عنْهــا أو لِمَــنْ صَــدَفا
منْ شَــفّ جَــوْهَرُهُ يَفْهَــمْ حَقيقتَهــا ... ولــيسَ يَفْهَمُــهُ مَــنْ طَبْعُــهُ كَثُفــا
للهِ فــي خَلْقِــهِ حُكْــمٌ بِحِكْمَتِــهِ ... تَفَــرّقَ الــروحُ والجُثْمــانُ واتّلَفــا
مَعْنَى به طِينَةُ الإنسانِ قدْ شَــرُفَتْ ... إذا يزولُ تُــساوِي الطــينَ والخَزَفــا
يَفْنَــى الترابِــيُّ حتــى لا بقــاءَ لــهُ ... وعِــزُّ عُلْوِيّــهِ عنــهُ الفنــاءَ نَفَــى
قَضِيّةٌ رَجَــمَ النــاسُ الظنــونَ لهــا ... فَعَــارِفٌ سِــرّها أو جاهِــلٌ هَرَفــا
وكيفمــا قيــلَ ،قلنــا :إنّــه نَبَــأ ... يَجِــلّ مَوْصــوفُهُ عمّــا بــه وُصِــفا
يُغنِي المــشاهدَ منْــهُ عــنْ مُغيَّبِــهِ ... خَرْمُ النظامِ وتهْــديمُ الــذي رُصِــفا
لوْ لمْ يَكُنْ غيْرُ إعدامِ الوجودِ وإسْــ ... كانِ اللّحُودِ ،كَفَى وَعْظا لِمَنْ حُــصِفا

وقف ابن الجنّان في هذه الأبيات لينظر في قضية الروح والجسد وكيف ينتهي التفريق بينهما نحو فناء الجسد وبقاء الروح ، فهي قدرة إلهية تتمّ عن تعجيز تامّ لأهل الأرض ، فرغم أنّ الروح والجسد يشكّلان الإنسان معا ، إلا أنّ الموت يكون سببا في التفريق بينهما ، حيث ينتهي الأمر بالجسد إلى التراب والتآكل والزوال، بينما تنتقل الروح لتكون في عالم مجهول لا يعلم سره إلى الله .

نعم ، إنها الروح التي تدبّ الحياة في جسد الإنسان وهي ذاتها التي ستخلّد لتعود جسدا من جديد ، فالروح هي الأصل ولا قيمة للجسد دونها ، ولا أحد يمكنه أن يدرك كنهها سوى خالقها ، ومهما حاول الإنسان إدراك سرّها ، إلا إنّ لغزها حاضر مخيمّ ، وإن بدأ الإنسان تساؤلاته عنها كما فعل ابن الجنّان سيدرك حقيقة الفلسفة التي دخل في جوّها ، إذ لن يستطيع الهروب من تلك الأجواء إلا بالكثير من الأسئلة والتعجب والعجز التام عن إدراك كلّ ما قد يعينه في الإجابة على تساؤلاته .

تفوّق ابن الجنّان الابن على الحصري القيرواني الأب في طرح العديد من الأفكار التي تحرك ذهن المتلقي ، ورغم أنّ قضية الموت قد شغلت الكثيرين وتغافل عنها الكثيرون، إلا أنّها في نظام مستمر يدفع دائما إلى التساؤلات حوله وحول أسراره .

وقد تحدّث ابن الجنّان نفسه عن علم الغيب الذي كان لإخفائه حكمة عظيمة ،يقول في رثاء أبيه([1]): (البسيط)

والغيْبُ مُحْتَجِبٌ عَنّا فليْسَ تَرَى ... مِنْ خَائِضٍ فيهِ إلا جاهِلا سِرَفَا([2])

عِلْمٌ تَفَرّدَ عَلاّمُ الغيوبِ بِهِ ... أيَقْبَلُ العَقْلُ أنْ يُبْدِيهِ مُنْكَشِفا ؟

واللهِ ما عَلِمَتْ نَفْسٌ لِمَا خُلِقَتْ ... ولا دَرَى بمكانِ الحَتْفِ مَنْ حُتِفا ؟

كمْ حَافِرٍ قبْرهُ في رأسِ مَيْفَعَةٍ([3]) ... وقبْرُهُ في حَضِيضِ الأرضِ قدْ نُجِفا ([4])

وذاك سِرٌّ لطِيفٌ إنْ تَدَبّرَهُ ... ذو فِطْنَةٍ فَهِمَ السّرّ الذي لَطُفَا

إنّ إخفاء ساعة موت الإنسان ومكانها وكيفية حدوثها من أعظم نعم الله سبحانه على الإنسان ،قال تعالى :"إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ "(5).

إنّ الاستفهام الاستنكاري الذي طرحه ابن الجنّان يجيب نفسه بنفسه ،فإخفاء ما سيكون غدا في حياة الإنسان نعمة عظيمة تبرز حكمة أعظم ،فمن المستحيل تقبّل الإنسان لحقيقة علم الغيب ،ومن الأسهل له الاستمرار في حياته دون طرح الكثير من الأسئلة حول المستقبل ،كي ينعم براحة البال بعيدا عن التفكير المرهق للنفس، لأمر قد يقع بعد سنين عدّة ، فكيف إن علم تفاصيل حاضره ومستقبله بجزئياتها الحلوة والمرّة والتعيسة ؟ماذا سيكون حاله؟

إنّ علم الغيب لا يكون إلا لله سبحانه ،قال تعالى :" فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ "(6).ومن يتدبّر الحكمة من إخفاء علم الغيب عن بني البشر، يدرك ما فيها من خير له بقدرة من الله سبحانه ،وهي نعمة لو شكر الله عليها طوال عمره لم يعطه حقها دون غيرها .

وهذا الغرض لم أجده إلا في قصيدة ابن الجنّان ، والأهمّ من ذلك أنّ موضوع الحياة والموت قد طرح الأفكار نفسها والتفاصيل نفسها في رثاء الشعراء الأندلسيين لأبنائهم وآبائهم عموما ،رغم الاختلافات البسيطة التي أشرت إليها عبر الدراسة ،ممّا يثبت أنّ موت الابن أو الأب لم يكن إلا سببا أو دافعا للحديث في موضوع الحياة والموت بعد شعور الغربة فيها ،

---

[1] - ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،344.

[2] - السرف : الإغفال والجهل . ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة (سرف).

[3] - الميفعة : المكان المشرف .ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (يفع).

[4]- نجف :حفر . ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (نجف).

5 - **لقمان** /34

6- **يونس** /20

بسلب أعزّ الناس على قلب الراثي؛ ليشعر بضآلته كإنسان ضعيف وصغر حجمه في هذا الكون العظيم ،وقصر أجله في حياة ستستمرّ رغم من رحلوا منها إلى وقت معلوم .

لذا ،فإنّ موضوع الحياة والموت اتّسم هنا بصفة العموم والشمولية ،إذ جاء حديث الآباء والأبناء هنا عن الإنسان بشكل عام والأمم السابقة دون خصوصية ،حتى إنّ التساؤلات ضمن أبياتهم الشعرية جاءت للمجهول الذي تمثل بابن آدم هنا ،فلم يركز الشاعر فيهم على مصيبته بحدّ ذاتها ،لكنّ مصيبته كانت السبب في دخول مسرح الحياة وألاعيبها ببني الإنسان وعالم الموت والغيب والآخرة التي كان لها حظ قليل من أشعارهم ،لأنّ تناولها اقتصر على عدد قليل من الشعراء .

ثالثا ــ حديث الآباء والأبناء الأندلسيّين عن الآخرة وعزاء الشعراء لأنفسهم

ا ــ ما بعد الموت

حرص الشعراء الأندلسيون في رثاء أبنائهم وآبائهم على حضور الحياة والموت،وذلك بتمثيل أبرز ما جاء في وصفهما والحديث عنهما ،و لم يتوقفوا عند هذا الحد ، بل تكلم القليل منهم في أمور تتعلق بما بعد الموت . فالحياة لا تنتهي بوقوع الموت،ولا يكون الحدّ الفاصل لحياة الإنسان ، بل يكون البداية لحياة جديدة ستأتي من بعده .

ومن هنا ،فقد شكّل الموت محطة فاصلة بين الحياة الأولى والحياة الآخرة ، ونقطة انطلاق من مجريات حياة زائلة لمجريات حياة مجهولة لبني البشر على السواء ،تتسم بصفة الخلود ،قال تعالى :"إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ"([1]). وقد أشار ابن يامين في رثاء ابنته وابنها لهذه الفكرة ورضوخ الإنسان لقوة لا يمكنه صدّها ؛ لينتقل من محلّ إلى آخر مجبرا عبر الموت ،يقول([2]): (الوافر)

ونَقْــلُ الــدهْرِ نَقْــلٌ مِــنْ مَحَــلّ ... لآخَــــرَ إنْ حُمّيَــــاهُ تُــــدارُ

ولــو يُعْطَــى اخْتِيــارا مــا عَــدَاها ... ولكــــنْ لــــيس للمــــرْءِ اخْتيــــارُ

نلاحظ مدى المستحيل الذي انطبق على حالة الإنسان في قول الشاعر ،فالامتناع في تعدية الإنسان من حياة لأخرى واستحالته، سيمتنع لاستحالة خياره أصلا ، كما يشدّ الشاعر

---

[1] - **يونس /4.**

[2] - مؤلف مجهول **: لباب الألباب** ، 46.

أزر الاستحالة في خيار الإنسان، بإكثاره من أدوات العطف ؛ للربط بين الاستحالة في خياره المقرّر ، وتأكيد حمله من طرف لآخر مضطرا مجبورا .

ويشير ابن الجنّان لحياة الآخرة والمصير الذي بانتظاره بفكرة اقتربت إلى حدّ كبير من فكرة ابن يامين السابقة،مُلمّحا لمأساة البشر التي بدأت بنزول آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض ،بعد أن كادت أن تكون مستقرّ الإنسان ونعيمه:" وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ "([1])، يقول ابن الجنّان في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

قدْ كانَ علّــةَ كَــوْني ثــمّ رَشّــحَني ... إلــى الحيــاةِ التــي أرْجــو بهــا الزّلَفَــا

حيثُ القرَارُ الذي قــدْ كــانَ مَــسْكَنَنَا ... منْ قبل أنْ يَخْصِفَ الأوْراقَ مَن خَــصِفا([3])

دارٌ بها مُلْتَقى الأحْبــابِ إنْ سَــعِدُوا ... تُنْسِي الشقاءَ ويُنْــسِي خِــصْبُها الــشظَفَا

اتفق ابن يامين الأب وابن الجنّان الابن في حديث عن مستقبل سيكون للإنسان عموما، يبدأ بالموت إلى مرحلة البعث والنشور التي أشار إليها الحصري القيرواني في رثاء ابنه، يقول(4): (البسيط)

لِهَوْلِ يَــومٍ عــصيبٍ لا مَــرَدّ لــهُ ... تَــرَاهُمُ كفــراشٍ فيــه مَبْثــوثِ

إنّ أهوال يوم القيامة لا يمكن وصفها ،فقد ذكر الشاعر كيف يكون الناس في كثرتهم كالفراش،قال تعالى:"يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ([5])، لكنّ هذا البعث يبدأ بالنفخ بالصور،وهذا ما أشار إليه الشاعر نفسه في رثاء ولده([6]): (مجزوء الخفيف)

عُظْــمُ ذا الخَطْــبِ مُــوهَنٌ ... كــلّ عَظْــمٍ مُمَخّــخ([7])

صــاحِبَ الــصُّورِ آنِفــا ... حَــضَرَ الوقــتُ فَــانْفُخ

إنها أحداث يوم القيامة حين ينفخ إسرافيل في الصور ، "يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا "([8]) وحين تتفجّر الكواكب وتسقط فتنطفئ أنوارها ،قال تعالى :"وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ "([9])،

---

[1] - **الأعراف** /22.

[2] - ابن المرابط **: زواهر الفكر وجواهر الفقر** 352

[3] - الاختصاف :أن يأخذ العريان ورقا عراضا فيخصف بعضها مع بعض ويستتر بها .ابن منظور :**لسان العرب**، مادة (خصف) .

4 - **الديوان** :93.

[5] - **القارعة** /4.

[6] - **الديوان** :108.

[7] - تمخّخ العظم وامتخخه :أخرج مخّه ، والمخّ نِقْيُ العظم . ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (مخخ)

[8] - **النبأ** /18.

[9] - **النجم** /1.

يقول الشاعر نفسه في رثاء ولده([1]): (البسيط)

فانْظُرْ غدا هلْ عَلا البَرْجيسُ([2]) مانِعُهُ مِنَ الحوادثِ أو عَلْيــاءُ بهْــرامِ([3])

ســـيَهْوِيَانِ ويُطْفِـــي اللهُ نورَهُمـــا وإنْ تَراخَـــى بقـــاءُ النّيّـــرِ الـــسّامِي

نلاحظ أنّ الشاعر قد زاوج بين أفعال الأمر (فانفخ ،فانظر) وبين الأفعال المضارعة الدالة على أحداث ستكون في المستقبل يوم القيامة:"ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابٗا " ([4])، وكلها أهوال لا يكون الموت منها شيئا .وقد حذر الأبناء في رثاء آبائهم من الموقف نفسه الذي جاء به الحصري القيرواني، فهذا ابن الجنّان يقول في رثاء أبيه([5]): (البسيط)

فكيفَ والمـــوتُ فيمـــا بعـــدَهُ جَلَـــلٌ أجَلّ مِنْ سابِقِ الأهْوالِ ما رَدِفـــا([6])

وموقفُ الحشْرِ يُنْـــسِي مـــا تَقَدّمَـــهُ وحِدّةُ الجسْرِ تُنْسِي حَدّ ما رَهُفـــا([7])

وكـــلّ رَوْعٍ فَـــأمْنٌ حـــينَ تَنْـــسُبُهُ لِرَوْعِ مَـــنْ لِـــسُؤالِ اللهِ قِـــدْ وُقِفَـــا

إنّه يتدرّج في تناول أهوال الأحداث ،فالموت أقلّ هولا ممّا بعده ،وما بعده من أحداث حتى تقوم الساعة أهون من اليوم الذي سيحشر فيه الناس جميعا، " وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ "([8])، لكنّ هذا الموقف أهون من عبور الصراط المستقيم الذي يرجو كلّ مسلم المرور به إلى الجنة والنفاذ من حدّته ومن النار من تحته.

ويؤكد الشاعر أنّ كل ما سبق من أحداث يوم القيامة ،ليست بشيء مقابل الوقوف بين يدي الله للسؤال . فعبد الرحمن بن الحكم حاول تنبيه الإنسان من هذه اللحظات ،يقول في رثاء أبيه([9]): (البسيط)

واعْلَـــمْ بِأنّـــكَ مـــسؤولٌ ومُـــرْتَهَنٌ بِما عَمِلْتَ فَخَفْ مِنْ مَوْقِـــفِ النّـــدَمِ

كما يرجو ابن الجنّان الله سبحانه أن يرأف بأبيه لحظة قراءة كلّ إنسان كتابه، ليشرق وجهه ضياء واستبشارا بالجنة:"فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩

---

[1] - **الديوان** :162.

[2] - البرجس والبرجيس :نجم قيل هو المشتري . ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (برجس).

[3] - بهرام : اسم المريخ .ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (بهرم).

[4] - **النبأ** /29.

[5] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،345 ،346.

[6] - الردف : ما تبع الشيء،.ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (ردف)

[7] - الرهف :الرقة واللطف .ابن منظور ،**نفسه** ،مادة (رهف).

[8] - **المجادلة** :9.

[9] - ابن الأبّار : **تحفة القادم** ، 146.

إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ الخالية "([1]). وها هو يقول في دعائه لأبيه بما يتضمّن حدثا من أهمّ أحداث يوم القيامة الذي أشرت إليه مسبقا([2]): (البسيط)

يا رَبّ ،نَضّرْهُ وَجْها في التّرابِ وَفِي يومِ الحسابِ إذا مـــا يَقْـــرَأ الـــصّحُفا

إنّ الدعاء واضح فيما سبق ، والدعوة التي تحثّ الإنسان على التطلع لشأن يوم عظيم تنقل تشابها ملحوظا بين طرفي الدراسة قد يكون حاضرا إلى حدّ لا يمكن تجاهله في طرح الموضوع ،رغم اختلاف ما تناولوا من أحداث يوم القيامة من أمور تتعلق بالحشر والنشور ،ممّا يرشدنا إلى أنّ الغاية المشتركة في رثاء الشعراء لأبنائهم وآبائهم ،هي تنبيه بني الإنسان وإرشادهم لما هم فيه من ضلال في اتّباع شهوات الدنيا الزائلة ،بتذكيرهم بأمور ستكون ،هم منها في سبات من النسيان أو التناسي المقصود بعدم التفكير فيها .

إذن ،فالآخرة وما بعد الموت كان لها نصيبها الضئيل من هذه الدراسة ولم يكن لها حضور مميز في الرثاء هنا . لكنّ السؤال الذي نسأله ،هل انتهت أحداث الآخرة عند الشعراء الأندلسيين ممّن رثوا أبناءهم وآباءهم إلى هذا الحد؟

ب ــ العزاء

استوعب طرفا الدراسة مآسيهم وأحزانهم ،فبعد أن أفاضوا في ندبهم ،وعبّروا عن آلامهم بأكثر الألفاظ حزنا وتأثيرا ،وبعد أن حاولوا تأبين مرثيّيهم بكلّ ما استطاعت قرائحهم الشعرية مدّهم به ،وبعد أن حاولوا تذكير أنفسهم وغيرهم بالمصير المنتظر للإنسان بالموت وما بعده ، فقد استيقظوا أخيرا محاولين عزاء أنفسهم ، بأمور تتعلق بالآخرة أيضا ،ساعدتهم على الثبات رغم جرحهم العميق، ورؤية الألم من زاوية أخرى، مكنتهم من شفاء جزء من ندبهم ولو كان بسيطا. فكيف كان العزاء الذي تسلح به الطرفان ؟وهل اشتركا في الأمور المتعلقة بالعزاء جميعها ؟أم تفوّق طرف على الآخر في تعزية أنفسهم ؟

كان لإيمان الشعراء بحقيقة بعثهم يوم القيامة ،أثر كبير في رفع معنويّاتهم وعزائهم في محنتهم التي صاروا يعيشونها ،" فالانتصار على الموت تمّ لهم عبر مفهوم الخلود بالمعنى المعنويّ في جنات النعيم"([3]).

---

[1] - **الحاقة** /19 - 24.

[2] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،354.

[3] - الحلحولي ،محمد :**الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي :قطري بن الفجاءة نموذجا** ،مجلة جامعة الخليل، مج 6 ،العدد 1 ،2011 م ، 92.

ومن هنا ،فقد أخذوا يبثون لمحة أمل وبهجة في رثائهم، عبر تفكيرهم بلقاء سيكون مع الفقيد هناك حيث الخلود ، فربّما " الموت ليس بشر ولكنه خير وحالة الإنسان بعد الموت أتم"([1]).

نعم ، ربما تلك حقيقة في كثير من الأحيان . فما هي أهمّ الوسائل المساعدة للراثين في هذه الدراسة لاعتماد الأمل وعزائهم ضمن الرثاء نفسه ؟

تميّز الآباء([2]) في رثاء أبنائهم باحتساب أجرهم عند الله سبحانه ،فإدراكهم لعظم مصيبتهم ،التي قيل في محاسنها الكثير ،كان له الشأن العظيم في ارتقاب الأجر في ميزان حسناتهم . يقول ابن أبي الخصال في رثاء ولده([3]): (الطويل)

تَعَوّضْتَ مِــنْ فــانٍ بِبــاقٍ مُخَلّــدٍ وعَوّضْتَنِي منــكَ التأسّــيَ والأجْــرَا

فَمِنْ مَنْزِلِ البَلْوى إلى مَنْزِلِ الرّضَى ومِنْ عَرَضِ الدنيا إلى جَوْهَرِ الأخْرَى

ويقول أبو الربيع الموحّدي في رثاء ولده أيضا([4]): (الوافر)

ولا تَــذهب بِــكَ الأحــزانُ فيــهِ فَعِنْــدَ اللهَ مُــدّخَرُ الأجُــورِ

إنّ الأجر والثواب الذي تناوله ابن أبي الخصال وأبو الربيع الموحّدي ،لا يكون إلا نتيجة للصبر ،"وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ "([5]).

ولكن ،هل كان الصبر نفسه عند الآباء والأبناء في مصائبهم ؟وكيف عبّر الآباء عن صبرهم ؟

---

[1] ـ هذا القول لسقراط .:القفطي ،جمال الدين :**تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء** 98.

[2] ـ أشرت إلى هذه الفكرة في الفصل الثاني ، وقد كان المعتمد بن عباد أحد الشعراء المقصودين ، لكنّي آثرت دراستها بشكل مفصّل أكثر للتعمق في الصبر وآثاره وعلاقته بالأجر . ينظر: **الفصل الثاني** 46 ، 47 .

[3] ـ المراكشي : ابن عبد الملك ، **الذيل والتكملة** 40/1.

[4] ـ **الديوان** : 44.

[5] ـ **البقرة** /155.

إنّ الصبر والتأسّي من أسباب السعادة الأبدية للإنسان ،و"هما من محاسن الأخلاق"،([1]) فقد عبّر سعيد بن الحكم عن رغبته بالأجر واضطراره للصبر ،بعيدا عن الجزع وأشكاله ، يقول في رثاء ولده([2]): (الكامل)

لا بُـدّ أنْ يَلْقَـى اضـطّرارا صـابِرا ... مَـنْ لـمْ يَكُـنْ للـصّبْرِ بالمُخْتَـارِ

و"الصبْرُ عندَ الصدمَةِ الأُولى" هـو ... أوْلَـى بِنـا المَـأثُورُ فـي الآثَـارِ

للـصّابرينَ بـلا حـسابٍ أجْـرُهُمْ ... والجَـازِعُونَ حقائـبُ الأوْزارِ

شَـتّانَ بيـنَهُمُ جـزاءً فـي غـدٍ ... ما جَنّـةُ الفِـرْدَوْسِ مثْـل النـارِ

يوازن الأب الثاكل ولده بين حال الصابرين من الناس والجازعين منهم ومصير كلّ منهما، إذ" لم يميّز إنسان بين صبر وجزع إلا وجد بينهما منهجين بعيديّ التفاوت في حالتيهما، أمّا الصبر فحسن العلانية ،محمود العاقبة .وأمّا الجزع فغير معوّض عوضا مع مأثمه، ولو كانا رجلين في صورة كان الصبر أولاهما بالغلبة على الحسن في الخلقة والكرم في الطبيعة"([3]) ،فلا بدّ من الصبر هنا ،والأولى بالمرء التوجّه إلى الدرب الذي يكون الصبر فيه .

وقد أشار الأبناء([4]) في رثاء آبائهم إلى ضرورة الصبر على محنتهم رغم كلّ الظروف ليتّفقوا بذلك مع سعيد بن الحكم في رثاء ولده .

ورغم تشارك الآباء مع الأبناء في اتخاذ الصبر سبيلا لفرج مصيبتهم ،وبعد رفض الكثيرين له في الندب،فقد تميّز بعض الآباء باللجوء إليه ،وتصوير مدى معاناتهم في الصبر نفسه ،فقد قال ابن رشيد الفهري في صبره من بعد ولده([5]): (الطويل)

مُحَمّـدُ إنَّ الـصبْرَ صَـبْرٌ وعَلْقَـمٌ ... علـى أنّـهُ حُلْـوُ المَثُوبَـةِ سَـابقُ

فَـإنْ جَزَعـا فـاللهُ لِلْعَبْـدِ عـاذِرٌ ... وإنْ جَلَـدا فالوَعْـدُ للهِ صـادقُ

ويقول في أجره المنتظر([6]): (الطويل)

لـئنْ سُـلِبَتْ مِنّـي نفـيسُ ذخـائرِ ... فـإنّي بِمَـذخُورِ الأجُـورِ لَواثِـقُ

---

[1] - ابن المؤقت ، محمد : **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، 1/ 34.

[2] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ، 55.

[3] - المبرد ،أبو العباس : **التعازي والمراثي** ،142.

[4] - كان ابن شكيل ولسان الدين بن الخطيب من الأبناء الذين شاركوا الآباء فكرة الصبر للغرض السابق نفسه . ينظر ابن شكيل :**ديوانه** : 64 والمقري : **نفح الطيب** ، 14/5.

[5] - ابن الخطيب : **الإحاطة** ،141/3.

[6] - ابن الخطيب : **نفسه** ،3 /142.

كما يقول أبو الوليد الباجي في صبره من بعد ولده بما يؤثر حقا في نفس المتلقي([1]):

(الكامل)

أمُحَمّــدٌ إنْ كُنْــتُ بعْــدَكَ صــابرًا ... صَبْرَ السّليم ِ([2]) لِمَــا بِــهِ لا يَــسْلَمُ

ورُزِئْــتُ قبْلَــكَ بــالنبيّ مُحمّــدٍ ... ولَــرُزْؤُهُ أدْهَــى لَــدَيّ وأعْظَــمُ

فلقَــدْ علِمْــتُ بــأنّني بِــكَ لاحِــقٌ ... مِــنْ بعْــدِ ظنّــي أنّنِــي مُتَقــدّمُ

إنّ الفرق شاسع بين الصبر الذي لجأ الآباء إليه على فراق أبنائهم وبين صبر الأبناء في رثاء آبائهم ، فرغم أنّ الكثيرين من الآباء والأبناء قد رفضوا الصبر في بداية ندب مرثيهم ،من باب الإخلاص والوفاء ،إلا أنّهم قد عاودوا أدراجهم إليه ،متوسّلين ومتأمّلين جزيل ثواب الصابرين عند الله سبحانه ، فيكون ذلك عزاء لهم في صبرهم ،وهذا حال الأبناء ممّن تحدّثوا عن الصبر في رثاء آبائهم .أمّا الآباء ،فقد ساروا إلى الصبر رغما عنهم ،ورغم كلّ ما أبدوا من رفض له في البداية ،فتعبيرهم عن الصبر الذي تسلحوا به، جاء فائضا بالمشاعر الحزينة ، فقسوة الألفاظ التي عبّروا بها عن صبرهم بدت عديمة الرحمة على نفوسهم ، يتجرّعون بها الصبر سمّا بطيئا يجري في عروقهم ويذوقون فيه الأذى والمرّ بكلّ ما فيه من الألم ،وهو الأمر الذي يعكس الحكمة من عظمة الآباء الصابرين عند الله سبحانه ،فالله جلّ شأنه يدرك نوع الصبر الذي يلجأ الثاكل لولده إليه،ويدرك ما فيه من تمزيق لفؤاد الأب وعظيم يأسه وأحزانه ،فابن رشيد الفهري فيما سبق جمع بين العلقم والحلاوة ليكون كلاهما في الصبر نفسه ، وقد رأى أبو الوليد الباجي نفسه كمن يحاول الشفاء من سموم تسري في عروقه بعد لدغه ،ممّا ينقل صورة تجمع الصبر في الموت ،إذ لجأ الآباء إلى الصبر ،رغم إدراكهم أنّ موتهم مخيّم فيه ؛ وذلك لشدّة الضنك والهدّ لقواهم، بما يحاولون كبته من الجزع على أبنائهم وفلذات أكبادهم.

وقد جاء صبر الآباء على أبنائهم نتيجة وعي بحقيقة ما وعدهم الله ورسوله وإيمان شديد به، ليكون رجاؤهم بلقيا أبنائهم أمرا قريب التحقق والتحصيل بأقوال كثيرة جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في عزاء من يفقد له ولد أو أكثر،تؤكد لهم أنّ أبناءهم في انتظارهم عند أبواب الجنة ليمسكوا بأيديهم إلى نعيمها، فقد قال الرسول صلى الله عليه

---

[1] - ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** ،ق2، 1 /101.

[2] - السليم :اللديغ ،وقد قيل هو من السلامة ؛تفاؤلا بها خلافا لما يحذر عليه منه .وقيل :الجريح المشفي على الهلكة .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (سلم).

وسلم :" ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم"([1]) وقد قال سعيد بن الحكم في رثاء ابنه محمد([2]): (الكامل)

بَيْنِـــي وبَيْنَـــكَ يـــا مُحَمّـــدُ مَوْعِـــدٌ صَحّ الحـــديثُ بـــه عَـــن المُخْتَـــارِ

أنْ سَـــوْفَ تلْقَـــانِي غـــدًا فَتَقُـــودُنِي نَحْـــوَ الجِنـــانِ فتَنْقَـــضِي أوْطَـــارِي

كما يفرض عبد الحق محمد بن هارون السهمي الصبر على نفسه ،ليلاقي ابنه هناك في جنة الآخرة ،يقول :([3]) (الطويل)

سّأصْـــبِرُ فـــي الـــدنيا بُنَـــيّ لَعَلّنِـــي ألاقيكَ في الأخـــرَى وأنْـــتَ سَـــعيدُ

ويقول الحصري القيرواني في رجائه أن يكون ابنه شفيعا له من النار([4]): (مخلّع البسيط)

ذنْبِـــي عَظـــيمٌ وسَـــالَتِي([5]) أنْ يَجْعَلَـــكَ اللهُ لـــي مَعَـــاذا

وبينما نجد يقين الآباء وإيمانهم بأنّ اللقاء مؤكد حتميّ بينهم وبين آبائهم في الجنة ،نجد أنّ الأبناء([6]) في رثاء آبائهم يرجون لقاء مع آبائهم ،فيتمنّون ويدعون الله مخلصين له . فمن ذلك قول ابن الجنّان في دعائه لله لجمع شمله مع أبيه([7]): (البسيط)

فَامْنُنْ عَلَيْهِ بِمـــا أنـــتَ الكفيـــلُ بـــه يا رَبّ ،وَارْأفْ بِنا يا خيْرَ مَـــنْ رَأفـــا

وَجَمّعِ الشّمْلَ فـــي دارِ القـــرارِ لَنـــا إذْ تَجْمَعُ الـــسلَفَ الأبْـــرارَ والخَلَفَـــا

إنّ ما سبق يصوّر فرقا بين الأمل الحتميّ الوقوع للآباء بأبنائهم الذي يرتقبونه بفارغ من الصبر ،وبين الأبناء ممّن يدعون لتحقق أمل قد يكون أو لا يكون، أي أنّ لقاء الأب المسلم الصابر بالابن هو أمر محتوم أكّدته الشريعة الإسلامية ، على عكس الأبناء إذ لم يرد ما يؤكد لقاء الابن المسلم بأبيه إن هو صبر على موته .

كما عبّر الشعراء عن مدى أسفهم على أبنائهم وآبائهم ، ورغم ذلك إلا أنهم قد أبدوا تفاؤلا في تفادي أحزانهم من بعدهم ، فطمأنة نفس الراثي بأنّ عظيم المصائب قد تلاشى ،وبصغر الأحزان من بعد مصيبتهم التي مرّوا بها، أمر زاد في راحتهم وتقبّلهم الحياة ومتاعبها وآلامها بكلّ ما فيها. وقد برز هذا النوع من العزاء بشكل كبير في رثاء

---

[1] - البخاري ،محمد بن إسماعيل **: صحيحه** ، كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسب 148 والحنث : أي سن البلوغ والإدراك ، أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجري عليهم القلم ويُكتب عليهم . ابن منظور **: لسان العرب** ، مادة (حنث).

[2] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ،56.

[3] - القاضي عيّاض **:ترتيب المدارك وتقريب المسالك** 776/3.

[4] - **الديوان** : 251.

[5] - إنها هنا بمعنى الرجاء والأمنية . ينظر ،**ابن منظور :لسان العرب** ،مادة (سأل) **.** وقد كتبت الكلمة السابقة وفق المكتوب في الديوان.

[6] - كان ابن شكيل من الأبناء الذين دعوا للقاء آبائهم في الجنة . ينظر : **ديوانه** ،84 .

[7] - ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،353.

الآباء([1])لأبنائهم، إذ تفوّقوا على الأبناء في تناول المعاني المختلفة المعبّرة عن الفكرة نفسها ، فأبو محمد القاسم التميمي قال في رثاء ولده([2]): (الوافر)

دَعِ الأيـــامَ تُخْطِـــي أوْ تُـــصيبُ فمـــا مِـــنْ بَعْـــدِ فَقْـــدِكَ مـــا يُريـــبُ

كما قال ابن أبي الخصال في رثاء ولده([3]): (الطويل)

فَهَوّنَ عِنْدي فَقْدُهُ فَقْـــدَ مَـــنْ مَـــضَى وصارَتْ بِهِ الكُبْرى التي كانَتِ الـــصّغْرى

كما تناول ابن أبي العباس في رثاء أبيه معنى قريبا إلى الشعراء السابقين، يقول([4]): (الكامل)

إنّـــي أمِنْـــتُ طـــوارِقَ الحَـــدَثانِ لمّـــا تَعَلّـــقَ بالإلـــهِ جِنَـــانِي

وحَصَلْتُ في فِرْدَوْسِ نِعْمَتِـــهِ التـــي كانَـــتْ مَثوبَـــةَ أوْبَتِـــي وَجِنَـــانِي

تنقل الأبيات السابقة صورة الآباء الذين أمّنوا للزمن وأحداثه بعد غدره بهم ،فمهما وقع لن يهم بعد الآن ، وما أهون ما سيفقد من بعد الأبناء من حياتهم .أمّا ابن أبي العباس الابن فقد شابه الآباء إلى حدّ كبير في تأمينه للدهر وأحداثه . ولكن ورغم تناوله للفكرة نفسها وتلاشي الدنيا ونوائبها في نظره ،إلا أنّي قد وجدت نبرة الآباء أكثر صدقا في تعبيرهم عن هذه الفكرة ،إذ لا شيء في الدنيا ، ولا أيّ فقدان لأي شخص عزيز، قد يساوي ألم فقدان الأب لابنه ، ممّا يبيّن أنّ اطمئنان الآباء للزمان وأحداثه ومصائبه وخاصة في الموت ،أكثر عمقا وشفافية منه عند الأبناء في رثاء آبائهم .

وقد يكون الرضا بحكم الله سبحانه تتمّة للفكرة السابقة ،فقناعة الشعراء بقدرهم والرضا بحكم الله سبحانه في سلب أحبائهم منهم ، وإدراكهم أنّ حوادث الدهر قدر مقدّر عليهم، وأنّ قسمتهم في الدنيا من سعادة وشقاء قد جعلها الله لهم ، أمر كان له الأثر الكبير في تخفيف الحزن عن أنفسهم نتيجة إيمانهم بالله والقدر ،فيوسف الثالث يقول في رثاء ابنه([5]): (السريع)

لِفَقْـــدِهِ القلـــبُ غـــدَا مُوجَعًـــا لِمَـــا قَـــضَاهُ اللهُ مُسْتَـــسْلِمًا

اللهُ أعْطَـــاهُ ومَـــا قَـــدْ قَـــضَى فـــي أمْـــرِهِ فالعَبْـــدُ رَاضٍ بِمَـــا

---

[1] - كان ابن رشيد الفهري من الآباء الذين طرحوا هذه الفكرة في رثاء ولده . ينظر : ابن الخطيب **:الإحاطة** ، 3 /141.

[2] - عباس ،إحسان :**معجم العلماء و الشعراء الصقليين** ،167.

[3] - المراكشي ،ابن عبد الملك ، **الذيل والتكملة** ،1 /40

[4] - المراكشي ،عباس بن إبراهيم: **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام** ،252/1.

[5] - **الديوان** :124.

وما سبق يعكس إيمان الشاعر بأنّ الأبناء هبة من الله وقد يستردها في أي وقت يشاء ، لذا فلا بدّ للمرء من القناعة والرضا بما قدّر الله وما كتب، وبعدله المفرط بين أهل الأرض جميعا في سنّة الموت . يقول أبو زكريا الهنتاني في رثاء ولده أيضا([1]): (الطويل)

فلَهْفِي ليــوْمٍ فــرّقَ الــدّهْرُ بَيْنَنــا ألا فَــرَجٌ يُرْجَــى فَيَنْــتَظِمُ الــشّمْلُ
وإنّي لأرْضَــى بالقَــضَاءِ وحُكْمِــهِ وأعْلَــمُ رَبّــي أنّــهُ حَــاكِمٌ عَــدْلُ

ويقول ابن الخطيب في رثاء أبيه وملجئه إلى الله سبحانه([2]): (الكامل)

وإذا اعْتَمَــدْتَ اللهَ يوْمًــا مَفْزَعــا لم تُلْفَ مِنْهُ سِــوَى إليــهِ المَهْرَبــا

إنّ الرضا بحكم الله يكون بتقبّل البلاء من الله سبحانه واللجوء إليه ثانية ؛ ليكون الفرج والعزاء. وهو أمر لو فكّر فيه ابن آدم ،لكان توجّهه إلى الله غاية في الصدق والعفوية، لإدراكه بصميم فطرته أنّه ملك لله متى شاء أعاده إليه .

كما عزّى الشعراء أنفسهم بالمصير المنتظر للمرثيّ، وكان هنا ضمن جزأين :الأول، ما حرص الراثي فيه على طمأنة نفسه وفقيده بحسن أعماله التي تضمن له حسن الثواب منه. ومن الجدير بالذكر أني جئت بالكثير من ذلك في تأبين الآباء لأبنائهم وتأبين الأبناء لآبائهم، بإشادتهم بأعمالهم الصالحة التي قد تكون سببا لدخولهم الجنة والاطمئنان عليهم والتخفيف من آلام من رثوهم، وهذا أمر تطرّق له الآباء والأبناء معا .كما كان لحديث الآباء عن استشهاد أبنائهم أيضا الأثر الكبير في التخفيف من أحزان الأب ،وذلك كما حصل مع ابن أبي الخصال وغيره .

أمّا الثاني : فهو اطمئنان الأب على ابنه الذي مات صغيرا ، وهو أمر اقتصر على رثاء الآباء لأبنائهم ،ممّن مات أولادهم قبل البلوغ ، " فأرواح الأطفال الذين لم يبلغوا الحنث عصافير من عصافير الجنة ترعى وتسرح، وأرواح في السماء الدنيا أيضا، وفي السماء

[1] - ابن الخطيب ، **الإحاطة** ،1 /313.
[2] - المقري :**نفح الطيب** ،5 /14.

السابعة يقال لها البيضا"([1])، فمن ذلك([2]) ما قاله الحصري القيرواني في رثاء ولده([3]):

(البسيط)

عبد الغنيّ اسْكُنِ الفِرْدَوْسَ في ظُلَــلٍ واطْمُثْ مِنَ الحُورِ سِرْبا غَيرَ مَطْمُوثِ

وَصِلْ أباكَ شفيعا فيــهِ واقْــضِ لــهُ حُقــوقَ تربِيــةٍ بُــرَّتْ وَتــشْبيثِ

لعَلّنا نَلْتَقِي فــي رَوْضَــةٍ أنُــفٍ([4]) نَفــوزُ فيهــا بِتَخليــدٍ وتمْكيــثِ

وعزّى الشعراء أنفسهم بموت الناس جميعا، وفناء الدنيا ، وقد تحدثت الكثير عنه في حديثي عن الدنيا وزوالها المفروغ منه ،فتأمّل الشعراء عبر هذه الدراسة جاء على تساو واضح في التعبير عن سنّة الكون في موت البشر والتفريق بين الأحبة . وممّن حاولوا طمأنة أبنائهم عبر هذه الفكرة مباشرة ، الحكم بن أحمد الذي قال في رثاء ابنه([5]): (البسيط)

لا يَبْعِــدَنْكَ بُنَــيّ اللهُ إنّــكَ قــدْ لاقيْتَ ما كُلُّ مَنْ فــي ظَهْرِهَــا لاقِ

إنه يخاطب ولده كما لو كان أمامه يرى ويسمع ،وهو أمر ينقل حالة الذهول المستمرة في تقبّل الإنسان للموت رغم محاولاته العديدة في عزاء نفسه. وقد اتفق معه ابن مطروح في رثاء أبيه في قوله([6]): (المتقارب)

وَهَــوّنَ وَجْــدي علــى فَقْــدِهِ لَحَــاقِي بــه بَعْــدُ مُــسْتَعْجَلا

إذن ،فالمصير الذي يتجه نحوه بنو البشر جميعا كان سببا مهمّا في عزاء الراثي، سواء أكان الراثي هو الأب أم الابن ،فالحكم بن أحمد عزّى ولده بمن سبقه من البشر ،ممّن كان الموت مصيرهم في الماضي . وابن مطروح الابن عزّى نفسه بمصير الموت الذي سيلاقيه في المستقبل ،ممّا يؤكد أنّ سنّة الموت التي كانت في الماضي والتي ستكون في المستقبل هي عزاء للشعراء في تقبّلهم الموت.

---

[1] ـ السيوطي :**مقاماته** ،**المقامة اللازوردية في موت الأولاد** ،2/ 989

[2] ـ أشار ابن عبد ربه إلى الفكرة نفسها . ينظر :**ديوانه** :83.

[3] ـ **الديوان** :95.

[4] ـ روضة أنف :لم يرعها أحد .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (أنف).

[5] ـ ابن الأبار : **الحلة السيراء** ،213/1.

[6] ـ ابن الابّار :**تحفة القادم** ،228.

الفصل الرابع

الدراسة الفنية لشعر الأبناء والآباء الأندلسيّين

أوّلا ــ بنية القصيدة

أ ــ مطلع القصيدة ومقدّمتها

ب ــ خاتمة القصيدة

ثانيا ــ ظواهر أسلوبية

1 ــ أسلوب النداء والمخاطبة

2 ــ توظيف الموروث

3 ــ أسلوب الالتفات

4ــأسلوب الحكاية

5 ــ الحوار

6 ــ بروز بعض المحسنات البديعية

ثالثا ــ الصورة الفنّية

1 ــ الصورة الحسّية

أ ــ الصورة البصريّة

1ــ الحركة وتداخلها في الصورة البصرية

2ــ اللون ودلالاته

ب ــ الصورة الشمّيّة

ج ــ الصورة الذوقيّة

د ــ الصورة السمعيّة

هــ ــ الصورة اللّمسيّة

2 ــ الصورة العقليّة

3ــ الصورة الإيحائيّة

رابعاــ الموسيقى

أ ــ الموسيقى الخارجيّة

1 ــ الوزن

2 ــ القافية

ب ــ الإيقاع الداخلي:

1 ــ التكرار

2 ــ التجنيس

3 ــ التصريع

4 ــ الترصيع

5 ــ حسن التقسيم

أوّلا ــ بنية القصيدة

أ ــ مطلع القصيدة ومقدّمتها

يعدّ مطلع القصيدة من الأمور التي حظيت باهتمام القدماء ، يقول حازم القرطاجنّي:" فأمّا ما تجب العناية بالتأنق فيه على الوجه المختار، فتحسين المبدأ والتخلص"([1]) .

ومن هنا ،فإنّ مطلع القصيدة جزء له كيانه الخاص وحضوره الثابت في القصيدة أيّا كان غرضها ،وقد بدت العناية بغرض الرثاء ومغزاه بيّنة واضحة في رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسي ،وذلك عبر تناول الكثير من المعاني التي سبق أن وضّحتها في الفصول الثلاثة الأولى في مطالع القصائد الرثائية ،من تعبير عن حسرة الشاعر الراثي ، وتأبين للفقيد، وحديث عن الحياة والموت وكلّ ما يتعلق بها من المعاني المختلفة . فكلّ المعاني التي تقع ضمن إطار أغراض الرثاء الرئيسة ، كانت من أكثر ما ناسب البدء في قصائد هذه الدراسة وتمثيل المطلع فيها ، وقد بدأ الشعراء بها فعلا قصائدهم ،فلم تكن هناك مقدمات خاصة يبدأ الشعراء بها قصائدهم ، بعيدة عن موضوع الرثاء ، بل كان الدخول مباشرة إلى أحد المعاني المتعلقة بالرثاء مباشرة ، لتكون المقدمة والمتن في الوقت نفسه ؛ ليتناسب ذلك مع غرض الآباء والأبناء الراثين وعواطفهم المضّطربة والمتنوعة ، وذلك في قصائد الرثاء المتناولة جميعا ، باستثناء قصيدة للسان الدين بن الخطيب يردّ فيها على قصيدة قالها صديق له يعزيه في أبيه ،إذ يرحّب بعزائه ،ويصوّر مدى سروره بمؤازرته في محنته([2]) ،يقول في مطلعها([3]): (الكامل)

أهــلا بِمَقــدَمِكَ الــسّنِيّ ومَرْحبــا فلقــد حَبَــاني اللهُ مِنــكَ بِمــا حَبَــا

ومن أمثلة المطالع التي عبّر بها الشعراء عن ندبهم بإبداء التفجع والحسرة ، ما قال ابن أبي الخصال في رثاء ولده([4]): (الطويل)

جَزَعْتُ وقدْ كانَ التّجلّدُ بــي أحْــرَى ولكنّ زنْدَ الوَجْــدِ فــي كبــدِي أوْرَى

ومنها ما قال عمر بن أحمد في رثاء أبيه([5]): (الطويل)

لِفقــدِكَ تنْهــلُّ العيــونُ وتــدْمَعُ وتَنْهَــدّ أرْكــانُ المَعَــالِي وتخــشَعُ

---

[1] ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، 306.

2 ـ ينظر ،مفلح ،فاطمة : **شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر** ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية ،كانون الثاني ،2002م ،29.

[3] ـ المقري :**نفح الطيب** : 5 / 13 . ولم أعثر عليه في الديوان .

[4] ـ المراكشي :ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة ، 38/1**

[5] ـ ابن الابّار :**الحلة السيراء ،21/1**

إنّ المطلعين السابقين الأخيرين نموذجان من نماذج عديدة عبّرت عن فكرة الأسى والأحزان بأشكالها المختلفة ،لتكون الكلمات الأولى التي تبوح بها نفس الشاعر ويفتتح بها الحديث عن مأساته ،فالجرح عظيم والمأساة أعظم ،لذا فإنّ ابن أبي الخصال فيما سبق ،قد ربط رغبة الجزع لديه وشدّتها ، بما حلّ من حرقة في أعماق كبده حزنا على ولده ،كما ربط عمر بن أحمد أيضا بين العيون والدموع والخشوع ؛ لفقدان أبيه .

وإن كان الكثير من شعراء هذه الدراسة قد بدأوا مطالع قصائدهم بالتعبير عن أوجاعهم بالندب المباشر للفقيد، سواء أكان هذا الفقيد هو الابن أم الأب، فإنّ منهم من بدأ قصيدته بتأبين الفقيد ،وهي من المطالع الحسنة المتناسبة أيضا مع الموضوع المطروح والنادرة في الوقت نفسه مقارنة مع المطالع المعبّرة عن الندب والحديث عن الحياة والموت ،من ذلك ما قال الحصري القيرواني في تأبين ولده([1]): (السريع)

يـــا طفـــلَ فَهْـــرٍ لا عـــزاءَ لَهُـــمْ إنْ كُنـــتَ فـــي أشـــرافِهِمْ لَفتـــى

وقد كانت المطالع المتناولة للحديث عن الحياة والموت والعزاء ، هي ما توسّطت مطالع الندب ومطالع التأبين ،فقد احتلت المرتبة الثانية في التناول من قبل الآباء والأبناء بعد المطالع المبدوءة بالندب ،فمن أنعمه النظر في الفصل الثالث ،لاحظ عظم المساحة الشعرية التي مثلت الرغبة اللحوحة للشعراء في التعبير عن أفعال الدنيا بهم ، وحرصهم على التحذير منها ،والعزاء بالآخرة الذي كثر أيضا . فخشية الدنيا قد تلاشت تدريجيّا في نفوسهم، ورهبة أحداثها بدت خافتة الأثر عليهم ، بعد أن ذاقوا أشدّ عذابها حسرة ، حتى صاروا مطمئنّين غير متأسّفين.من ذلك ما قال أبو محمد القاسم التميمي في رثاء ابنه([2]): (الوافر)

دعِ الأيّـــامَ تُخْطِـــي أو تُـــصيبُ فمَـــا مِـــنْ بَعْـــدِ فَقْـــدِكَ مـــا يُريـــبُ

إنّ المطالع السابقة بما فيها من سهولة في ألفاظها ومعانيها بدلالاتها المختلفة ،جاءت لتتناسب مع أهمية المكانة التي مثلتها كبيت أول في القصيدة ،ورسالة أولى يتلقاها المتلقي على الفور، تنقل له أثر المأساة في نفس الراثي ، وتوحي بكلماتها السهلة بمضمون القصيدة العام الذي سيأتي بعدها . ورغم أنّ الكلمات موجزة ودلالتها واضحة إلا أنّ أفقها واسع ، وما تحت عرشها من معان جزئيّة لا حدود لها ، ومن الصعب حملها لما فيها من ألم وحسرة.

أمّا المقدمة، فقد سبق أن جمعتها مع المطلع في عنوان واحد ؛ وذلك لما وجدت من علاقة وثيقة بين الطرفين ،فالمطلع أول بيت في القصيدة ،وهو جزء من مجموعة من الأبيات تشكّل مقدمة القصيدة عادة ،هذه المقدمة التي لم يكن حضورها في قصائد رثاء الأبناء والآباء الأندلسيّين ، هو نفسه التقليد المتعارف عليه ، من بدء بوصف الأطلال والنسيب وغيرها من

---

[1] - **الديوان :**91.

[2] - عباس ،إحسان **: معجم العلماء و الشعراء الصقليين 16.**

أمور ضمن أغراض الشعر الأخرى ،إذ حرص شعراء الدراسة فيها على الدخول المباشر في موضوع الرثاء دون اللجوء لأغراض أخرى بعيدا عن صلب الرثاء. وذلك ؛ لأنّ المقدمة التقليدية المتعارف عليها لا تتلاءم مع الرثاء المتناول في هذه الدراسة ،"فحالة الحزن الشديد لم تدع مجالا لفضول الكلام واللهو والغزل والوقوف على الأطلال في هذه المراثي"([1]). وقد اشترك الآباء والأبناء معا في الدخول المباشر في موضوع القصيدة ،ودون أيّة مقدمات تذكر، ورغم وجود فروقات كثيرة سبق أن وضّحتها بين الطرفين في الفصول السابقة ، إلا أنّ ذلك لم يمثل سببا لالتزام أحد أطراف هذه الدراسة بالمقدمة التقليدية ، فقد بدأ الطرفان قصائدهم في رثاء أبنائهم وآبائهم بالندب والعزاء والتأبين ،وهو ما اتفق مع المطالع التي سبق أن ذكرت شيئا منها ، ولكن ،لماذا كان هذا التوافق بين الأبناء والآباء في استهلال قصائدهم؟

إنّ رغبة الأب والابن في التعبير عن أقصى أحزانهم ،وما يعتصر نفوسهم من ألم الفراق وغصّته، ورغبتهم في التعبير عنها وتنفيس جزء بسيط منها ،هي أهم الأسباب التي ساوت بين الآباء والأبناء في كيفيّة بدء القصيدة ، كما كانت الدافع لهم للدخول في صلب الموضوع مباشرة، وتجنّب أيّة مقدمات لا تتلاءم مع النفس الحزينة والغرض الحزين.

وأتناول الأبيات الأولى من قصيدة ابن الجنان كمثال لسبب الدخول المباشر إلى موضوع القصيدة دون أية مقدمات، يقول في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

لا أمْنَعُ الــدّمْعَ أن يُـهْمِــي وأنْ يَكِفــا ... ولا أزالُ بِرَبْــعِ الحُــزنِ مُعْتَكِفــا
فــإنّ رُزئِــيَ رُزءٌ لــو بَكيْــتُ لــهُ ... دمَ الحَشا ما كفى لوْ سَــالَ أو وَكفــا
ولو أقدّ صِدارَ الــصّدْرِ عــن كبــدي ... لم يُصْبحِ الوَجْدُ مِنّي فيــه مُنْتَــصِفا
فيا مُريدَ اصْطِباري لا تُــرِدْ شــططا ... هيهاتَ تُبْــصرُني بالــصّبرِ مُتّــصِفا

[1] ـ نصر ،حسين :**شعر الرثاء السياسي في العصر الأموي** ،رسالة ماجستير ، 2008م ،130.
[2] ـ ابن المرابط ،**زواهر الفكر وجواهر الفقر** 337 ،338

وصلب موضوع الرثاء كما بيّنته في الفصول الثلاثة الأولى هو : الندب والتأبين والحديث عن الحياة والموت والآخرة ، وما فيها من عزاء للأب والابن الراثي في هذه الدراسة . وما سبق هو نموذج من نماذج كثيرة تمثّل ما استهلّ فيها الآباء والأبناء قصائدهم الرثائيّة .

وكلّ ما ذكرته سابقا ينفي ما جاء به عوّاد مهدي في دراسته عندما قال :" جاءت بنية القصيدة الرثائية في عصري المرابطين والموحدين خاضعة للبناء التقليدي المتعارف عليه في الشعر العربي المشرقي مشتملة على عناصر البناء وهي : المطلع والمقدمة ... "([1]) وقوله "وقد اهتم الشعراء بالمطلع وانتقلوا منه إلى حسن التخلص .... ثم أجادوا في الغالب فيما يسمى بحسن التخلص"([2]).

إنّ الحكم السابق الذي كان ضمن إطار التعميم ،هو ما جلب عدم الدقة للقول السابق، إذ عمّم الدارس فيما سبق البناء التقليدي على القصيدة الرثائية في عصري المرابطين والموحّدين ،وكان من الأولى استثناء بعض أنواع الرثاء في العبارة نفسها ،منها رثاء الآباء والأبناء ؛ فالقصائد والمقطوعات والنتف جميعها التي بين يدي تخلّصت من المقدمة التقليدية، للدخول المباشر في صلب الموضوع ،ولا يهمّ أيّ المعاني سبق إلى الصدارة ، فكلها في نظر الآباء والأبناء تمثل فاجعة تتألّف من أمور عدّة ، جمعت بينها في مصبّ واحد ، لتصبّ في بؤرة الرثاء بكلّ ما فيها من المعاني المكمّلة للوحة الأحزان التي حرصوا على رسمها بوضوح .

كما أنّ دخول الآباء والأبناء كلّ على السواء في موضوع الرثاء من أوسع أبوابه، وطرحهم المعنى الذي كان أكثر تأثيرا في نفوسهم أوّلا، ثم انتقالهم إلى غيره من أغراض الرثاء التي تمسّ الموضوع مباشرة دون تكلف، ودون أيّة عقبات في الانتقال من معنى لآخر، لم تجعلهم بحاجة اللجوء لحسن التخلص في رثائهم([3]) ؛ لأنّ الموضوع متشابك ومتين الصلة بين أطرافه المتشعّبة،لذا ،فقد ربطوا بين المعاني جميعها بكلّ سهولة وعفويّة ، لكنّ لسان الدين بن الخطيب كما ذكرت سابقا ،استهلّ قصيدته بمطلع خرج عن إطار الندب وسرعان ما أحسن التخلص، لينتقل مباشرة بكلّ سهولة وعفويّة لغرض القصيدة الرئيس، واصفا لصديقه قسوة الدنيا عليه في تلك الفترة ومجيئه لتعزيته في وقت كان فيه بحاجة

---

[1] -: **الرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين** ، الجامعة الأردنية ،كانون الثاني ،2010 ، 178.

[2] - **نفسه** ،178.

[3] - ينظر : صالح ،مخيمر ، **رثاء الأبناء في الشعر العربي** ،147.

المعونة والمؤازرة، ليدخل بذلك غرض الرثاء ، وهو ما يبيّن قدرة الشاعر الذهنية على الربط بين أغراض القصيدة ومعانيها ، إذ يقول بعد مطلعه([1]): (الكامل)

وافيْـــتَ والـــدنيا عَلَـــيّ كأنّهـــا سَمّ الخياط ِ وطِرْفُ صبْري قــد كَبَــا

والدهرُ قدْ كشفَ القناعَ ولــم يَــدَع ْ لـــي عُـــدّة ً للـــرّوْع ِ إلا أذهَبَـــا

صَرَفَ العِنانَ عَلَـــيّ غيــرَ مُــدافع ٍ عَنّي ،وأثبتَ دونَ نصْرَتِيَ الــشّبا([2])

خطْـــب ٌتـــأوّبَني يَـــضيقُ لِهَوْلِـــه ِ رَحْبُ الفَضَا وتَهِـــي لِمَوْقِعِـــه ِ الرّبَـــى

أمّا باقي شعراء الدراسة من الآباء والأبناء ،فمنهم من بدأ بالندب وانتقل إلى التأبين فالعزاء ،ومنهم من بدأ الحديث عن الدنيا ثم انتقل إلى الندب والتأبين ،ومنهم من أولى اهتمامه بالتأبين أوّلا ثم انتقل إلى أغراض الرثاء الأخرى ،وكلّ ذلك وفقا لنفسيّة الأب أو الابن، وما دفعته قريحته الشعرية إلى النطق المباشر به، والتعبير عنه بعفويّة تامّة ودراية تنمّ عن إدراكهم عظم مصائبهم ، بعيدا عن درب التكلف والتقليد الأعمى لأمور لم تكن إليها حاجة في قصائدهم .

ب ــ خاتمة القصيدة

اهتم النقاد بالخاتمة ،وقد عدّها بعضهم قاعدة القصيدة ،وآخر ما يبقى منها في الأسماع، لذا اشترطوا أن تكون محكمة ،لا يمكن الزيادة عليها ،فلا يظهر الكلام فيها مبتورا، كأنّ صاحبه لم يقصد جعله خاتمة([3]).

---

[1] ـ المقري : **نفح الطيب** 13/5.

[2] ـ الشبا : البرَد وسجام المطر . ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شبا) .

[3] ـ ينظر : ابن رشيق القيرواني :**العمدة** ، 1 /239 ـ240.

وقد جاءت خواتيم القصائد عند شعراء رثاء الأبناء والآباء مناسبة للانتهاء بها ،فلم يظهر فيها الكلام مقطوعا عمّا سبقه أو بحاجة إلى ما يتمّمه ،كما جاءت معانيهم مناسبة لغرض الرثاء .

ووكانت الخزاتيم التي تحمل معاني الحسرة والأسى من أكثر ما وجد في الرثاء ، من ذلك ما قال عبد الملك بن بشر في رثاء أبيه مصوّرا كيف صار جسده طعاما للطيور([1]):

(الرمل)

فانْتَحَتْـــــهُ بالمنايـــــا فثـــــوَى لِعــوافي الطيــرِ مــسلوبَ الجَــسَدْ

وقد غلب التحسر على رثاء الآباء لأبنائهم ، وربما يكون زيادة عدد الشعراء الراثين لأبنائهم في الدراسة سبب في ذلك ، إضافة إلى الحسرة التي تملأ نفس الأب ، والتي لا يمكن للابن الوصول إليها ، ليكون البيت الأخير في قصيدة الأب خاتمة تحصد حسراته في داخلها.

وكان العزاء بالكثير من الأمور التي ذكرتها في الفصل الثالث واللجوء إلى الله في المحنة والتنبيه من الدنيا والالتفات إلى الآخرة ،هو ما مثل خواتيم الشعراء التي جاءت في المرتبة الثانية ،من ذلك ما قال ابن حمديس في رثاء ابنته([2]): (الطويل)

بِحِلْمِكَ تَعْفــو عــن تعــاظمِ زلّتــي وفضلِكَ عن نقصِي ،وحِلْمِكَ عن جَهْلي

ومن الشعراء من توجّه إلى الدعاء ، كالدعاء بالسقيا واللقاء في الآخرة مثلا،وهو ما امتاز به الآباء غالبا في رثاء أبنائهم ،نحو ما قال سعيد بن الحكم([3]): (الكامل)

أنْ ســوفَ تلقــانِي غــدا فتقــودني نحْــوَ الجنــانِ فتنْقــضِي أوْطــاري

ويلاحظ من يطّلع على ديوان الحصري القيرواني أنه قد اقترب إلى حد كبير من غيره من الشعراء في هذه الدراسة ، إذ ختم أغلب قصائده بالتحسر على الفقيد وعلى حاله من بعده ، ثمّ كان التوجه إلى الله والعزاء ، ثمّ الدعاء الذي كثر بين سطور القصائد ، إذ لم يكن حضوره محصورا على الخواتيم التي قلّ ذكره فيها ،مقارنة مع التحسر والعزاء .

وما سبق يبيّن تفوّق مشاعر الحسرة والندب في القصائد الرثائية وخواتيمها أيضا ، نظرا لقسوة الظروف التي يعيشها الراثي ، سواء أكان النظم لحظة الحدث أم بعدها ، فالحسرة كامنة في نفسه يبديها في كلمات قصيدته . أمّا العزاء واحتساب الأجر، فيكون غالبا بعد هدوء النفوس ، لذا فإنّ حضوره أقل من خواتيم التحسر، فمشاعر الغضب والحسرة سيطرت على

---

[1] - ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 1/ 58.

[2] - **الديوان** :337.

[3] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ، 56.

نفوس الشعراء أكثر من مشاعر الهدوء والتفكر . وأمّا الدعاء الذي كان له من الحظ القليل، فقد حرص عليه بعض الآباء في رثاء أبنائهم وبعض الأبناء في رثاء آبائهم، ولكن بنسبة قليلة ؛ وقد غلب على القصائد الطوال ، التي تجد فيها نفس الراثي متسعا للمعاني المختلفة ، مثل قصيدة ابن الجنّان في رثاء أبيه وقصيدة ابن شكيل في أبيه أيضا وقصيدة سعيد بن الحكم في ولده ،وقصيدة محمد بن جبير الكناني في ولده وغيرها .

إنّ ما ذكرت فيما سبق من خواتيم القصائد الرثائية ،هو جزء قليل من خواتيم كثيرة ختم الشعراء بها قصائدهم ،حملت معاني عديدة ورغبات كثيرة ،حطّوا بها رحالهم بعد أن أبحروا في محيط رثاء أبنائهم وآبائهم ،فما كان من كلّ منهم إلا البوح بآخر آثار محنته ، وآخر تأثيراتها على نفسه ، ليتركها بصمة أخيرة على سطور قصيدته.

وبذلك ، فإنّ عناية الشعراء هنا في خاتمة قصائدهم ساوت عنايتهم بمطالع قصائدهم ، رغم اختلاف التوجّهات أحيانا ،إذ إنّ الخاتمة عنيت بأمور لم تذكر في المطالع ، نحو رجاء لقيا الآباء لأبنائهم في الجنة والدعاء بأشكاله ، وبذلك فإنّ قصيدة الرثاء قد اتصفت بالوحدة الموضوعية وتقاربت إلى حد كبير في تناول الأغراض نفسها وحتى في أساليب تناولها.

ثانيا ــ ظواهر أسلوبية :

"تتنوّع أساليب الشعر بحسب مسالك الشعراء في كلّ طريقة من طرق الشعر ،وبحسب تصعيد النفوس فيها"([1]). "فذكر أغلق الأحوال الشاجية بالنفوس وأجدرها بأن ترقّ لها النفوس، وذكر أدعى الأحوال الفاجعة إلى الإشفاق والجزع ،حيث يقصد قصد النفوس ،هو أحد ما يجب اعتماده في تحسين موقع الأسلوب"([2]).

والرثاء من أكثر الموضوعات الداعية للشفقة والجزع وحرقة النفوس ،لذا فإنّ أساليبه عديدة ،واعتماد الشعراء لأساليب معيّنة وتركيزهم عليها أكثر من غيرها ،كان ميزة لباب رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسيّ ومعانيه المطروحة ، ومن هذه الأساليب :

1 ــ أسلوب النداء والمخاطبة : وقد وجد عند طرفي الدراسة ،لكنّ لجوء الآباء إليه كان بيّنا واضحا أكثر ،فقد لجأ ابن أبي الخصال مثلا للنداء ؛ للتعبير عن فرط مصيبته وعظمها، إذ ينادي ما هو حيّ من جسده لمشاركته الأحزان ، يقول([3]): (الطويل)

ويا كَبِـدِي هَـلاّ تَفَطّـرْتِ حَـسْرَةً ويا أدْمُعِي هـلاّ جَرَيْـتِ لـهُ جَمْـرَا

إنّه يستعين بياء النداء ، "وحقّها في الأصل أن تكون للبعيد ؛لجواز مدّ الصوت بالألف ما شئت ، ثم كثر استعمالها ،حتى صارت ينادى بها البعيد أدنى مسافة ثمّ الحاضر مع المنادي"([4]). إنّ الشاعر ينادي الكبد والدموع بهذه الأداة ،وهما لا يردّان بالإجابة ،لذا فهما في حكم البعيد الذي لم ولن يسمع إلا بعد طول مدّ الصوت .لذا نلاحظ أنّه لم يكتف بالأولى بل نادى ثانية ،عسى من مجيب لصرخات الألم في نفسه ،ولكن ،ما من مجيب .

وقد بدا أسلوب النداء في قول المعتمد بن عباد في رثاء ولده المأمون([5]): (المتقارب)

وَرَدْتَ أبَـا الفـتْحِ يـا سَـيّدي ورُودَ الكَـرَى بعْـدَ طـولِ الـسّهَادِ

ولمّـا احْتللـتَ بِنـا لـمْ تَحِـلْ مِنَ القلبِ والعَـيْنِ غيْـرَ الـسّوادِ

إنه يتوجه إلى ولده بالخطاب والنداء معا ، فيحذف أداة النداء أوّلا ثم يوظفها من جديد في قوله (يا سيدي) ؛ وكأنه يودّ أن يصل إلى مرحلة من الإشباع في المناداة والتنفيس وإطلاق صرخات الأسى التي تؤكد قرب الفقيد من روح أبيه رغم موته .

---

[1] ـ القرطاجنّي : **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ،354.
[2] ـ القرطاجنّي **: نفسه** ،357.
[3] ـ ابن أبي الخصال **:رسائله** ، 647 والمراكشي **: الذيل والتكملة** ، 1 /41.
[4] ـ المالقي ،أحمد بن عبد النور : **رصف المباني في شرح حروف المعاني** ، 451.
[5] ـ **الديوان** : 46.

ونلاحظ توظيف الحصري القيرواني في رجاء لقياه بابنه في الجنة لندائه بهمزة النداء، التي " لا تستخدم إلا في القريب المصغي إلى القائل"([1]) يقول([2]): (المتقارب)

أعَبْـدَ الغنِـيّ اشْـفَعَنْ لـي غَـدًا لِيَجْمَعَنَـا اللهُ فـي مُتّكَـا

يظهر الخطاب واضحا وقد مزج بالنداء ،إذ يناديه كما لو كان أمام ناظريه ، ثمّ ينتقل لخطابه مباشرة، ممّا يدلّ على حضوره في نفس أبيه، رغم بعد المسافة بينهما .

وقد كانت واو الندبة إحدى وسائل النداء التي لجأ إليها الشعراء ؛لما فيها من مساحة صوتيّة تسمح للشاعر بالمدّ في آهاته وحسراته ،وقد تميّز بها الآباء في رثاء أبنائهم ،من ذلك ما قال سعيد بن الحكم في رثاء ولده([3]): (الكامل)

واحَسْرَتاهُ على فُرَاقِكَ يـا مُحَمّـدُ مَا امّحَى بدْرُ الـدّجَى بـسِرَارِ ([4])

واوحْـشتاهُ إلـى لِقائِـكَ مـا بَـدَا مَـرْأى الـصّباحِ البـاهرِ الأنْـوارِ

استعان الشاعر بواو الندبة ،وهي حرف للنداء مختصّ بباب الندبة ،وتكون للتفجع على الميت ،ويندب بها البعيد لمدّ الصوت بها([5])؛ ليندب فقيده بحرّية أكثر ،وممّا زاد الشعور بمأساة الشاعر انتهاء اللفظة نفسها بالهاء ،وهو من الحروف الحلقيّة التي تشعر بالهمّ والحزن والحسرة([6]).

2 ــ توظيف الموروث :

وظف الشعراء نصوصا من القرآن الكريم والسنة الشريفة والأدب في أشعارهم ، ونجحوا بنقل أفكارهم عبرها ،فمنهم من استقى فكرة الآية القرآنيّة ، ليصوغ فكرته بلغته وأسلوبه ،معتمدا الأصل من القرآن الكريم ،نحو قول ابن مطروح في رثاء أبيه([7]):

(المتقارب)

أيَـا ظاعِنًـا مِنّـا الغـريمُ الـذي أبَـى قـدَرُ اللهِ أنْ يَمْطُـلا

---

[1] ـ المالقي ،أحمد بن عبد النور **: رصف المباني في شرح حروف المعاني** ، 52.

[2] ـ **الديوان** :152.

[3] ـ مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 56 .

[4] ـ سرار : هو آخر ليلة في الشهر يستسرّ الهلال بنور الشمس ، أي يخفى ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (سرر) .

[5] ـ المالقي : أحمد بن عبد النور **: رصف المباني في شرح حروف المعاني** ، 399.

[6] ـ ينظر : مفتاح ، محمد **: تحليل الخطاب الشعري**، 175

[7] ـ ابن الأبّار :**تحفة القادم** ، 228

استقى الشاعر فكرة البيت التي تبيّن أنّ الموت قدر في هذه الحياة لا يمكن المماطلة في وقوعه من نصّ الآية الكريمة " فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ "([1]).

ومن ذلك قول ابن الجنّان في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

فِي مرْيَةٍ مِــنْ لِقــاءِ اللهِ ذو كَــذِبٍ ألْقى القِنَاعَ مرَاءً فيــهِ أوْ صَــلَفَا([3])

استقى الشاعر فكرته من نصّ الآية الكريمة:" أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ "([4]) ومن الشعراء من أخذ نصّ الآية القرآنية ، الحاملة للفظ والمعنى نفسه،ليجعلها جزءا من نصّ البيت الشعري ، من ذلك مثلا ما قال ابن شكيل في رثاء أبيه([5]): (البسيط)

عَفاءٌ علــى الــدّنيا فــإنّ نَعيمَهــا كأضْغاثِ أحْلامٍ تلَذّ بِــلا وَسَــنْ([6])

وقد تكرّرت اللفظة نفسها (أضغاث أحلام) في قول الحصري القيرواني في رثاء ولده([7]): (البسيط)

ما أصْدَقَ الناسَ لو قالوا إذا سُئِلُوا عنْ كلّ عَيْشٍ مُضِرّ ،أضغاثُ أحْلامِ

وما سبق يذكّرنا بالآية الكريمة :"قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ "([8]) .واستعانة الشاعرين بهذا النصّ من القرآن ،يؤكّد أنّ أفكارهم مستقاة منه، ويعكس مدى تأثرهم بمعانيه وألفاظه التي تمسّ آلامهم ،ليكون التشابه في بعض المعاني عند أكثر من شاعر موجودا؛ للتعبير عن أغراض متشابهة طرحوها عبر رثائهم .

---

[1] - **الأعراف** / 34

[2] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،344

[3] - الصّلف : مجاوزة القدْر في الظرف والبراعة والادّعاء فوق ذلك تكبّرا . ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة (صلف) .

[4] - **فصّلت** /54.

[5] - **الديوان** :82.

[6] - وسن :ثقلة النوم ،وقيل :النعاس ،وهو أول النوم .ابن منظور ،**لسان العرب** ،مادة (وسن).

[7] - **الديوان** :162.

[8] - **يوسف** / 44 ويعنى بأضغاث أحلام :إنّ الرؤيا أخلاط وليست بيّنة وواضحة . ابن منظور **: لسان العرب**، مادة (ضغث).

كما أنّ ما سبق يدلّل على المخزون الدينيّ المتعلّق بالقرآن الكريم ،فتأثّر الشعراء بما جاء فيه كوّن عندهم مخزونا إسلاميّا، كان سببا في تنوّع لغتهم المتأثرة بالقرآن الكريم وأفكاره ومعانيه المختلفة بما يتعلّق بالجنة والآخرة والقضاء والقدر([1]).

وقد تأثّر الشعراء أيضا بالسّنّة النبوية ،فمنهم من استقى فكرته وألفاظه منها ،نحو قول سعيد بن الحكم في رثاء ولده([2]): (الكامل)

"والصّبْرُ عِنْدَ الصّدْمَةِ الأولى " هُوَ الّــ أوْلَــى بِنــا المَــأثورُ فــي الآثــارِ

وقد أخذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"الصبر عند الصدمة الأولى "([3])،وهذا يزيد من المصادر الإسلامية التي تأثر بها شعراء الأندلس في رثاء أبنائهم وآبائهم .

وقد ذكرت بعض الشخصيات الدينية التي كانت جزءا مهما في توظيف الموروث لها أثرها العميق في الدراسة ،كسيدنا يعقوب ويوسف عليهما السلام([4]) اللذين كانا رمزا للصبر، إذ تأسّى الآباء([5]) في بكاء أبنائهم بسيّدنا يعقوب وبكائه ، وحزنه على ابنه يوسف عليهما السلام والمقارنة بين حال الطرفين، فقد "حزن يعقوب على ابنه فما عنّفه الله بالحزن عليه"([6])، ولم يكتف بالحزن بل بكى حتى فقد بصره،" **وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ** "([7]) .

ومن هنا، فقد جمع الآباء في حزنهم على أبنائهم بين البكاء الشديد وبين الصبر في الفكرة نفسها ؛ لأنّ البكاء لم يكن معارضا للصبر أو نافيا لوجوده، فيعقوب عليه السلام بكى حتى فقد بصره ، ورغم ذلك ظلّ مضربا للأمثال في صبره ، وتوظيف مأساة يعقوب في ابنه يوسف عليهما السلام أمر تميّز به الآباء وخدم رثاءهم، وحصر على أشعارهم في بكاء أبنائهم ؛لأنّ جوهر المقارنة كان حول مأساة الأب في ابنه، وفرق المصير بين يوسف عليه السلام والابن المندوب في الدراسة. فهذا ابن أبي الخصال، يقول([8]): (الطويل)

---

[1] - ينظر : شهاب ،محمد : **أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الأندلسي** ، 242 -247.

[2] - مؤلف مجهول **: لباب الألباب** ، 55.

[3] - بخاري : محمد بن إسماعيل : **صحيحه** ، كتاب الجنائز ، باب الصبر عند الصدمة الأولى ، 149.

[4] - ينظر مثلا : ابن أبي الخصال **:الذيل والتكملة** 41/1 والحصري القيرواني :**ديوانه :**201 ،202.

[5] - كان إسماعيل بن عمار أحد الآباء الذين تأسوا بمأساة يعقوب ويوسف عليهما السلام ينظر : ابن الأبّار **:الحلة السيراء** ،255/1.

[6] - المدائني **:التعازي** :70.

[7] - **يوسف**/84.

[8] - ابن أبي الخصال **:رسائله** ،647وابن الأبّار :**الذيل والتكملة** ،39/1.

سَأصْــبِرُ إلاّ عــنْ ســوابقِ عَبْــرَةٍ أرَى أبَدًا جَفْنــي بتَــصْريفِها يُغــرَى
وما عــذّبَ الــرَّحمنُ بالــدّمْع باكيــاً يُداري بدَمْعِ العيْنِ في قلْبِه الجَمْــرا
وما مفْزِعُ المحْــزون إلاّ إلــى البُكــا وكــلّ حــزازاتِ القلــوبِ بــه تقْــرا
وفي وجْدِ يعقــوبٍ بيوســفَ أسْــوةٌ فلا تعذِلوني اليومَ في عبْــرَةٍ تُــذرَى

يستثني الشّاعر ذرف العبرات من كلّ أشكال الصّبر ،فعيناه تجد فيها مفرّا لشفائه وإغراء،والله سبحانه لن يعذب من لجأ إليها في سبيل إطفاء لهيب فؤاده وجمراته ،فملجأ الحزين إلى البكاء غالبا ،وحزن يعقوب على ولده يوسف ، وتعبيره بالبكاء المستمرّ عن محنته، كان تعزية للوالد هنا؛ حتى لا يغضب الله سبحانه من جهة، وحتى لا يلومه لائم فيما آل إليه حاله .

كما يشير الحصري القيرواني إلى الفكرة السابقة نفسها ،لكنه يرى نفسه أحق بالحزن من سيدنا يعقوب عليه السلام ،الذي عاش على الأمل بلقاء يوسف عليه السلام ثانية بوعد من الله سبحانه([1]) ،لذا فإنّ الحزن من حقه ؛لأنّ اليأس في اللقاء المستحيل من نصيبه ،وهو ما مثل الفرق الشاسع بين يأس يتداخله الأمل ، وبين يأس يتداخله المستحيل الأبدي ،يقول في محنته([2]): (الرمل)

لا تلُمْني في البكــا لــو كــانَ مِــنْ صــخرَةٍ صــمّاءَ قلبِــي لانفلــقْ
قــد بكــى يعقــوبُ حتــى ابيــضّتا حَزَنــا عَيْنــاهُ بالــدّمْعِ الغَــدِقْ
وشَــكا البَــثّ إلــى اللهِ وقــدْ وَعَــدَ اللهُ بِــرَدّ المُــسْترَق
ثــمّ وَفّــاهُ برجْعــى يوســفٍ والأخِ المظلــومِ إذ قيــلَ سَــرَقْ
وإذا يَحْــزنُ مَــنْ يرجــو المُنــى فالــذي اسْــتيأسَ بــالحُزنِ أحَــقْ
قطّــعَ الــضرّ أمــامي كبــدي وأرَانــي قمَــري كيــف امّحَــقْ

وكانت شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كــان أمــلا فــي الــشفاعة المنتظرة من أهم الشخصيات التي وظفها الشعراء ، لأسباب بعثت الطمأنينة في نفوسهم طمعا في نيل غفران الله سبحانه عبر هذا الطريق ، وذلك نحو قول ابن شكيل في رثاء أبيه ([3]):
(الطويل)

وأرجو له حُبّ النّبيِّ مُحَمّدٍ فَذَنْبُ مُحبّيهِ بغُفْرانِه قَمَنْ

---

[1] - ينظر :صالح ،مخيمر ، **رثاء الأبناء في الشعر العربي** ،214

[2] - **الديوان :** 201 ،202.

[3] - **الديوان** : 84 وللمزيد من الأمثلة يمكن الرجوع إلى **ديوان الحصري القيرواني** 66 ، 197 ، 241

ومن الشعراء من ضمّن بيته الشعري لنصّ من بيت شعريّ آخر ،نحو قول ابن الجنّان في رثاء أبيه([1]): (البسيط)

أبَى مُصَابُ أبي مِنّـــي الــسّلُو ، فيــا قَلْبِي وجَفنِي قِفا نبْكِ الحبيــبَ قِفــا

وقد تضمّن هذا البيت جزءا من مطلع معلقة امرئ القيس([2]): (الطويل)

قِفا نَبْكِ مِن ْ ذِكْرَى حَبيب ٍ وَمَنْــزِل بِسِقْطِ اللّوَى بينَ الدّخُول ِ فَحَوْمَــل ِ

ومن الشعراء من منح نصه الشعري دلالة تاريخية مهمة عبر الإشارة إلى بعض الأحداث المهمة تاريخيا ، كابن الخطيب مثلا ، الذي أشار لواقعة طريف، يقول : ([3])

(الكامل)

لا كان يَومُك يا طريف فطالما أطلعتَ للآمال برقا خُلّبا

والحصري القيرواني الذي وظف مواقع ذات مدلول تاريخي ،ارتبطت بوقائع تاريخيّة مهمة ،يقول([4]): (مخلّع البسيط)

ثقّفتَنِـــي يـــا زمـــانُ حَرْبـــا كَحَـــرْبِ صـــفّين([5]) أو بُعـــاث ِ([6])

إنّ تناول الشعراء لأحداث تاريخيّة مرّت في تاريخهم ،كلسان الدين بن الخطيب في واقعة طريف ،وكابن الجنّان الذي أشار لمأساة الأندلس على يد الصليبيين([7])، والإشارة لأحداث تاريخيّة قدم عهدها كالحصري القيرواني ،يعكس قدرة الشعراء وسعة مخزونهم ومدى ثقافتهم وتأثرهم بأحداث عظيمة حفرت في ذاكرتهم ؛ ليوظّفوها عبر حسرة الرثاء وقد نجح الشعراء السابقون إلى حد كبير في الربط بين الحدث التاريخي ومأساتهم الخاصة متخذين من اللغة وسطا حيا لذلك ، فقد تمكّن ابن الجنّان من توثيق الصلة بين رثائه الشخصي ورثائه لحال الأندلس قبل الغزو وبعده ،ونقل فكرة شاملة لأحداث الأندلس التي كانت سببا في رثاء

---

[1] - ابن المرابط :**زواهر الفكر وجواهر الفقر ، 339.**

[2] - **الديوان : 8.**

[3] - ينظر: المقري، **نفح الطيب** ،14/5. وتنظر أحداث واقعة طريف، المقري: **نفح الطيب** 14/5 ،15.

[4] - **الديوان** :244

[5] - صفين :هو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وكانت فيه وقيعة صفين بين علي رضي الله عنه وبين معاوية في سنة 37 هـ وكانت مدّة المقام فيه 110 أيام ، وكانت الوقائع تسعين وقعة. الحموي **:معجم البلدان** 414/3 وتنظر أيضا أخبارها : الحميري :**الروض المعطار** ،363 - 365.

[6] - بعاث : موضع بالمدينة المنورة ، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية . .ينظر : الحموي: **معجم البلدان** ، 451/1 والحميري **: الروض المعطار** ، 109.

[7] - ابن المرابط **: زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 340 ،341.و ينظر **:الفصل الثاني** في التأبين51 - 52

فرسانها الذين فتحوا الأندلس ، كما نجح لسان الدين بن الخطيب في الإشارة لواقعة طريف عبر لغته ، إذ أعطى لمحة عن هذه المعركة التي راح ضحيتها الكثير، وعرّف من اطّلع على قصيدته بعد مئات السنين بهذه الحادثة، ونجح في ربط الحدث التاريخي بمأساته التي كانت سببا في فقدان أبيه ، كما نجح الحصري القيرواني في تناوله لحرب صفين وبعاث في تصوير ما يعاني من حوادث الدهر التي سلبته أغلى ما يملك ، وكأنه في حرب معها كما

ساعد التضمين في بعض القصائد من التعرف إلى بعض الأشجار والزهور التي وظّفها الشعراء في قصائدهم الرثائيّة وبمسمّياتها ،من ذلك ما قال ابن يامين في رثاء ابنته وابنها([1]):

(الوافر)

وَرَبْـــعُ الـــصبرِ بعْـــدَكُما عَفَـــاءٌ وَزَنْدُ الشوقِ مَـــرْخٌ([2]) أو عفـــارُ([3])

ومن أنواع الزهور ما قال الحصري القيرواني في رثاء ولده أيضا([4]):(مجزوء الوافر)

كـــــأنّي قـــــطّ لـــــمْ ألْـــــثمْ شَـــــــــــقائِقَها وسَوْسَـــــــــــنَها

وقد ذكرت العديد من أسماء المدن والأماكن المختلفة عبر أشعار الدراسة ، وهي دافع للقرّاء للتوجّه نحو المعاجم والتعرف إليها بتفصيل أكثر من مجرّد ذكر اسمها ، منها ما قال ابن يامين([5]): (الوافر)

أجِنّتُـــهُ مَنُرْقـــةُ([6]) فـــي حَـــشاها وكـــانَ لـــهُ بِـــشاطِبَةَ([7]) اشْـــتِهارُ

كما تمكّن الشعراء([8]) من نقل صورة عامة عن ثقافة الشباب من ذكور وإناث في تلك العصور وميول توجّهاتهم نحو طلب العلم ، كمطالعة الكتب والتمكن من علم الحديث والقرآن والعلوم المختلفة ،من ذلك ما قال أبو حيان الأندلسي في ثقافة ابنته([9]): (لبسيط)

---

[1] - مؤلف مجهول **: لباب الألباب** : 47.

[2] - المرخ : من شجر النار، شجر كثير الورْي سريعه . ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (مرخ).

[3] - العفار شجرة يتّخذ منها الزناد ،وفي المثل :" في كل شجر نار ،واستمجد المرخ والعفار ،ذلك لأنّ هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وزنادهما من أكثر الزناد وريْا . ابن منظور ، **نفسه** مادة (عفر).

[4] - **الديوان** : 175.

[5] - مؤلف مجهول :**لباب الألباب** ، 46.

[6] - منرقة :جزيرة تقابل برشلونة ، بينهما مجرى ، وبينها وبين سردانية أربعة مجار ، وهي إحدى بنتي جزيرة ميورقة ، منرقة ويابسة ، ضبطها سعيد بن حكم وأقام عليها وأحسنها وهادن الأعداء ، وطالت مدّته في ذلك وحسنت سيرته إلى أن مات ، فقصدها العدو ، واغتنم فرصتها واستولى عليها .ينظر : الحموي : **معجم البلدان :** 5 / 216 والحميري : **الروض المعطار** : 549.

[7] - شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة ، لها قصبتان ممتنعتان ،قريبة من جزيرة شقر ، فيها جوامع وفنادق . ينظر : الحموي : **معجم البلدان** : 3 /309 والحميري : **الروض المعطار** 337.

[8] - كان ابن جبير الكناني من الشعراء الذين افتخروا بالمذخور العلمي لأبنائهم :ينظر :ابن خميس ، **أعلام مالقة**، 134.

[9] - **الديوان** :401

فِقْــهٌ ونَحْــوٌ وتــاريخٌ ومَعْرِفــةٌ ولحظُ فِكْرٍ إلى نَيْلِ العُلــومِ رَنَــا

ومن هنا ، فقد جاء توظيف الموروث الديني إمّا مباشرة وإمّا عبر الاستعانة بالمعاجم اللغوية أو معاجم البلدان أو مصادر الأنساب والأحداث التاريخية وكتب الأمثال ،ممّا يؤكد أنّ القصائد الرثائية لم تكن مجرّد كلمات حزينة ،وأنّها كانت مصدرا حيّا للاطّلاع على جزء من الثقافة الأندلسيّة التي استقت الكثير ممّن سبقوها من الأمم على هذه الأرض .

3 ــ أسلوب الالتفات : وهو " أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدّم ذكره به ، ومنه أن يكون الشاعر آخذا في معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أنّ رادّا يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه ، فيعود راجعا إلى ما قدّمه" ([1]) . أي أنه ما يمثل قدرة الشاعر الانتقال من ضمير لضمير آخر في التكلم بيسر وسهولة، وقد التفت الشعراء في رثائهم إلى هذا الأسلوب ؛لحاجتهم التنقل بين ضمير المتكلم والمخاطب والغائب ؛ للتعبير عن فوضوية مشاعرهم الحزينة واضطراباتها المختلفة.

ومن أمثلة الالتفات ما قال الحصري القيرواني في رثاء ولده([2]): (الطويل)

تَشاغَلْتُ فيها بالقريضِ عــن التقــى ولــمْ يَــشتَغِلْ إلا بلَــوْحٍ ومــصْحَفِ

تَقَــدّمَ واســتَأخَرْتُ عــن دَرَجاتِــهِ وقيــل اسْــعَ فــي إدْراكِــهِ وتَلَطّــفِ

تنقّل الشاعر بين ضمير المتكلم لضمير الغائب ، ثم عاد إلى ضمير المتكلم بكل عفوية وسهولة وذلك نظرا لطبيعة الموقف الذي سكنه في تلك اللحظات ،والذي حاول نقله بأسلوب يرسم تلك الحالة عبر أسلوب الالتفات ،ممّا أضفى رونقا وقوة وجزالة لبيت الشعر ،وسمح لذهن القارئ بالتركيز في الغرض وتحليل كلماته المقصودة، وإدراك قدرة الشاعر وسرعة بديهته، وقد زاد من جمال الالتفات الطباق بين (تشاغلت ولم يشتغل) وبين(تقدم واستأخرت)، ثم انتقاله إلى ضمير المخاطبة عبر الحوار .

ومن الالتفات ما جاء به يوسف الثالث في رثاء ولده ، يقول([3]): (الطويل)

فُجِعْنــا بــهِ واللهُ يَكتُــبُ أجْرَنــا كَمَا فُجِعَتْ قبــلُ الخلائِــفُ والــدّوَلْ

إنّه يتنقّل بين ضمير المتكلم المتعلّق بالفجيعة، لضمير الغائب المتعلّق بالله وما يكتب عنده من أجر الصابرين ،ثمّ يعود بموهبته الشعرية لفعل الفجيعة المتعلّق بضمير الغائب دون

---

[1] - أبو هلال العسكري : **الصناعتين** 438 ، 439

[2] - **الديوان** :196.

[3] - **الديوان** :106.وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالالتفات ينظر : الحصري القيرواني : **ديوانه**،242 والحبّازي، مشهور : **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 1982 / 1983 م ، 157 ، 158 ، 281 .

تشتيت لأفكاره ،بل يصل بين فجيعته وفجيعة الأقوام السابقة دون تكلّف أو صعوبة ، ممّا يشدّ انتباه القارئ ،ويزيد من قوة لفظة الفجيعة وأثرها ،ويقوّي جرسها ووقعها في بيت الشعر .

4 ــ أسلوب الحكاية : وقد كان له رونق خاص في التأثير على المتلقي ،وذلك بنقل حقيقة وواقع لا يمكن محوه من الذاكرة الشعرية للشاعر الراثي الذي عبّر بأسلوبه عن عواطفه الإنسانيّة ،منه ما جاء به ابن الجنّان في رثاء أبيه ليروي حكاية غربته وفوضويّة مشاعره المضطّربة في لحظاته تلك ،يقول في رثاء أبيه([1]): (البسيط)

عَهْدِي بِمَعْهَدِهِ الأسْنَى وكُنْتَ لَهُ ... أفِي لوْ انّ زماني بالعُهُودِ وَفَى
إذْ كُنْتُ أشْهَدُ أطْرَافَ النّهارِ بِهِ ... معَ المُصَلّي ولَيْلا أشْهَدُ الزّلَفا
جاوَرْتُ منهُ جَنَانا([2]) كانَ مُجْتَمعًا ... لِبَهْجَةِ الدّينِ والدّنيا وَمُؤْتلِفَا
أخوضُ في رَحْمَةٍ فاضَتْ لدَيْهِ وقدْ ... أجُولُ في خُرْفَةِ الجَنّاتِ مُخْتَرِفا([3])
حِينًا إلى أنْ أتَى رَيْبُ الزّمانِ بِمَا ... جَلا أمَانَ ذوِي الإيمَانِ أو جَلَفَا([4])
فإذ رَأيْتُ أمورًا كُلّها تَلَفٌ ... فَرَرْتُ للهِ كَيْما آمَنَ التّلَفَا
هَجَرْتُ داري ،وأحْبابِي ،ومِنْ شِيَمي ... وَصْلُ المُهاجِرِ إمّا خانَنِي وجَفَا
ما سِرْتُ غيْرَ بَرِيدٍ ([5]) ثمّ ثبّطَنِي ... سِرٌّ أسَرّ إلى الأقدارِ أنْ أقِفا
أقَمْتُ حَوْلا أنادِي للرّحيلِ أبِي ... وكانَ مِنْهُ رَحيلُ الموتِ قدْ أزِفا
ما زِلْتُ أجْذِبُهُ والدارُ تَجْذِبُهُ ... فآتِيا سَبِقا نَحْوِي ومُنْصَرِفا
فجاءَ أوريُولَةَ ([6]) يوْمًا كعَادَتِهِ ... يُطِيعُ قلْبًا بِحُبّي كانَ قدْ شُغِفَا
وخافَ وَقْعَ الرّدى والشّمْلُ منتَثِرٌ ... وَخِفْتُهُ فَأتَانِي شاكِيًا دَنِفا
أقامَ تِسعَ ليالٍ ما وجدْتُ لَهُ ... فيها شفاءً ولا صدْرَ المَشوقِ شفى

---

[1] ـ ابن المرابط **:زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،342 وللنظر في مثال آخر يمكن الرجوع إلى : المراكشي ، ابن عبد الملك :**الذيل والتكملة** 1/ 39 ، 40 لكن هذا المثال لم يصل مستوى المثال الذي تمّ شرحه في المتن ، ولم يتناول الحكاية بأسلوب مشوّق ، ولم أعثر على أمثلة أخرى .

[2] ـ جنّ الناس وجنانهم : معظمهم ،لأنّ الداخل فيهم يستتر بهم، والاجتنان : الاستتار . ابن مظور **: لسان العرب** ، مادة (جنن).

[3] ـ المخارف : وهي ما يجتنى فيه الثمار .والمخترف : جاني الثمار .ابن منظور : **نفسه** ، مادة (خرف).

[4] ـ الجلف : القلع والاستئصال . ابن منظور : **نفسه** ، مادة (جلف).

[5] ـ البريد : كل ما بين المنزلين من مسافة . ابن منظور : **نفسه** ، مادة (برد).

[6] ـ أوريولة :مدينة قديمة من أعمال الأندلس ،من ناحية تدمير ، بساتينها متصلة ببساتين مرسية ، وهي حصن بالأندلس من كور تدمير ، وقد ولي قضاءها أبو الوليد الباجي . الحموي :**معجم البلدان** 280/1 و الحميري **: الروض المعطار** 67

إنّه يستحضر أحداث حكاية مأساويّة هزّت كيانه ،وقد تنقّل فيها بين غربة صار يعيشها بعد استقرار وأمان ،لتنتهي حكايته بأحداث جديدة تتعلّق بأبيه المتوفّى([1]).

ومن الملاحظ في أسلوب الحكاية هنا ،إكثار الشاعر من توظيف الأفعال الماضية؛ للدلالة على أحداث كانت في الماضي ،نحو قوله (كنت ،هجرت داري ،ثبّطني سرّي ، دعا الأمر)، كما حرص على توظيف بعض الأفعال المضارعة ،نحو (الدار تجذبه ،يطيع قلبا) ؛ للدلالة على استمراريّة الأحداث في المستقبل الذي كان يسرده في جوّ الحكاية ، وليكون الربط متينا بين الماضي والحاضر والمستقبل ،وترسم الحكاية من ماضيها إلى حاضرها، فمستقبلها الذي تبيّن في نهاية الحكاية ، كما ضمت الحكاية السابقة عناصر مهمة ، كان أبرزها الشخصيات المتمثلة بشخصية الشاعر الابن البار بأبيه ، وشخصية الأب الرؤوف المشتاق لولده ، والزمان المتمثل بالفترة التي مثلت ما قبل غزو النصارى ، حيث الأمن والأمان ، وفترة ما بعد الغزو ، حين اضطر الشاعر لمغادرة أهله وأحبابه ، والمكان المتمثل بأوريولة ، والحدث الذي مثّل الفوضى العارمة التي داهمت حياة الشاعر، وانعدام الأمان في حياته، وتشتت شمله بسبب الغزو، وقد نجح الشاعر عبر توظيف العناصر السابقة في بث حكاية تتسم بالصدق والواقعية والحركة .

5 ــ الحوار : وهو أحد الأساليب التي حرص الشعراء عليها ،إذ إنّه "يستدرج السامع فيدخله في جوّ الحدث إدخالا لطيفا ،لاعتماده على الحكاية التي فيها : قال وقلت وسأل وسألت، وهي ألفاظ قصصيّة يطرب السمع إليها ، وتشوّق النفس إلى معرفة ما وراءها من أنباء"([2]) .نعم ، إنّه أسلوب يقترب إلى حد كبير من أسلوب الحكاية ،فكلّ منهما له أثره الخاص في نفس المتلقي ،لكنّي أجد أنّ أسلوب الحوار يمتاز بكونه تفصيلا لمشهد من مشاهد الحكاية ،وجزءا من أجزاء عديدة ،يبثّ الشاعر فيه عناصر حركيّة ،تؤدي دورها في تحريك مخيّلة القارئ والسامع ،ليجد نفسه مشدودا نحو النص الشعري ، وراغبا في متابعة مجريات الأمور، لكن ورغم أهمية الحوار لم يتطرّق له معظم الشعراء وربما يكون السبب في ذلك ما يحتاج له من مساحة تمنح نص الحوار حقّه ، وهو أمر لم يكن الشعراء جميعا في استعداد نفسي له ؛ لأن الكثيرين نظموا رثاءهم بعفوية لم تمكّنهم من خوض الأساليب كلها ، ومن ذلك ما قال الحصري القيرواني في رثاء ولده :([3]) (الكامل)

يـــا رُبّ بَاكِيَـــةٍ مَعِـــي قَـــدْ رَابَهَـــا فِعْـــلٌ مِـــنَ المُتَمَلّقِـــينَ خَـــسِيسُ

---

[1] ـ تحدّثت عن تفاصيل وفاة أبيه المكمّلة لبداية الحكاية السابقة في الفصل الأول في الحديث عن ساعة الوفاة . ينظر: **الفصل الأول** ، 19 ، 20.

[2] ـ ماجد ، خميس **: فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2006م، 157

[3] ـ **الديوان:** 210.

قالــتْ :لقــدْ ضَــيّعْتَ حَقــكَ عِنْــدَهُمْ لِــمَ لا تُمَاكِــسْهُم وْأنْــتَ مَكِــيسُ([1])؟
هــلْ يَنْفَعَنّــكَ أنْ يَغُــصّ بِجَمْعِهِــمْ هــذا النّــدَى إذ مــا خَــلا ذا الكِــيسُ ؟
فأجَبْتُهــا والعِلْــمُ أنْفَــسُ جَــوْهَرٍ : حَــظّ الغــرِيمِ وإنْ سَــمَا مَبْخُــوسُ
مــاذا عَــسَى يُعْطــونَنِي وأنــا امْــرُؤٌ عنــدي دنــانيرُ الملــوكِ فلــوسُ ؟!
خَبُــثَ الزمــانُ كمَــا تَــرَيْنَ وأهْلُــهُ كــلّ امْــرِئٍ فــي وُدّهِ تــدْليسُ ([2])
كُفّــي ، سَأقْبِــسُهُمْ هُــدايَ ومَغْنَمِــي مِــنْهُمْ ثــوابُ اللهِ والتــأنيسُ

إنّ توظيف الأفعال الماضية الدالة على الحوار (قالت ،أجبتها) ،إضافة للأفعال الماضية الأخرى ،والتنقل بين الاستفهام المقرون بالمضارع (هل ينفعنّك) ، والرد بالإجابة في المقابل على السائلة ، أسهم في تشكيل مشهد دراميّ حيّ ،صوّر عدم مبالاة الشاعر بأقوال من حوله وأفعالهم به ،لأنّ همّه أعظم من متابعة أخبارهم ،ونلاحظ نجاحه في جذب انتباه السامع لإيمانه المتسلّحة به نفسه بأجر الله سبحانه جزاء صبره ،وكون ذلك أهمّ عنده من أفعال بني البشر به ،كما نجح صدى مشهد الحوار في تحفيز مخيّلة القارئ والسامع ،ليتخيّل أحداثا عاشها الشاعر في الماضي ،وإحياء هذا المشهد في نفسه من جديد . ورغم أنّ الموجود مجرّد كلمات رسمت على السطور، إلا أنها اكتسبت رونقها ، وأثبتت وجودها عبر الأسلوب الذي انبثّت عبره في القصيدة .

ومن ذلك أيضا قول الشاعر نفسه في مشهد آخر ، يقول:([3]) (السريع)

وأعْــولَ القــابِرُ لمّــا رأى أيّ شــهابٍ بــالثّرى غطّــى
فقلــتُ : يــا وَيْحَــكَ والــوَيْحُ لــي كيــف هَــوى الكوكــبُ وانحطّــا
لا تَــضَعَنّ المــشتري فــي الثّــرى واجعــلْ لــه أوجُهَنَــا بُــسْطا
فقــال لــي وهْــو يــرى مــا أرى : يَكْفيــهِ مــا اللهُ لــه وطّــا

جمع الشاعر فيما سبق بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة في تصوير مشهد دراميّ كان سببا للتوقف عنده وإنعام النظر في تأثيره الذي خلقه الشاعر رغبة منه وحرصا على تصوير مأساته التي انتهت تحت التراب ، وقد نجح عبر مزج الحوار بالصورة الحركية

---

[1] ـ المماكسة في البيع :انتقاص الثمن واستحطاطه ،والمنابذة بين المتبايعين . ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (مكس) .

[2] ـ التدليس بمعنى المخادعة . ابن منظور : **نفسه** ، مادة (دلس) .

[3] **-الديوان:** 137.وللنظر في أمثلة أخرى تتضمن أسلوب الحوار ، ينظر : الحصري القيرواني : **ديوانه** 234 وابن شكيل : **ديوانه** ، 183 وابن عبد ربه : **ديوانه** 82 والمراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** 42/ 1

التعبير عمّا يجول في نفسه من حزن على نهاية ولده تحت التراب

6ــ بروز بعض المحسنات البديعية :

تميزت أساليب الشعراء بحسن بديعها ، كان أهمها حضورا :

ــ الطباق :

وهو " الجمع بين الضدّين في الكلام أو في بيت الشعر"([1])،وقد وظفه الشعراء بنسبة أكبرمن الحوار والالتفات والمقابلة إلى حدّ كبير ، وذلك نتيجة حرص الشعراء على تصوير أحوالهم بكل متغيراتها ، بالإكثار من ذكر اللفظة ونقيضها؛ لتخدم الغرض الذي وجدت للتعبير عنه .ومن الطباق قول أبي محمد القاسم التميمي في ولده: ([2]) (الوافر)

قضيْتُ ومــا قــضيْتُ حقــوق بــذلٍ يــصان بهــا الغريــبُ أو القريــبُ

طابق الشاعر بين (قضيت وما قضيت) وبين (الغريب ، القريب) ، فجمع بين الضدين في كل شطر من بيت القصيد ؛ ليميز أسلوبه الشعري ، ويلفت انتباه القارئ لما وجد من اللفظة ونقيضها ،ويصوّر حقيقة الفوضى في مشاعر الراثي الحزين على فقيده .

ومن الطباق قول الشاعر نفسه في رثاء ولد له: ([3]) (الوافر)

فَلَــوْ غيــرَ الحِمــامِ دهــاكَ يومــا رمــــاهُ عنـــهُ شـــبّانٌ وشـــيبُ

طابق الشاعر بين (شبّان وشيب) ، إذ جمع بين الشباب وبين الكبار ممّن لحقهم الشيب والكبر ، وهي ظاهرة أكثر الشعراء منها في رثاء أبنائهم وآبائهم ، وقد جاء توظيفه هنا ؛ لتصوير عجز الجنس البشري ككل أمام الموت والوقوف في وجهه من شباب تملؤهم الحياة والقوة ومن متقدمين في السن لم تكفهم خبرتهم في الحياة وتجاربهم لردّ الموت ، ممّا زاد الرغبة عند القارئ لفهم المضمون وأضفى أسلوبا له رونق خاص به .

---

[1] - ابن رشيق القيرواني : **العمدة 2** / 12 وينظر أيضا : الخطيب التبريزي : **الكافي في العروض والقوافي** 170 -171.

[2] - عباس ، إحسان **: معجم العلماء والشعراء الصقليين** ،168

[3] - عباس ، إحسان: **نفسه** ،168 وللنظر في أمثلة أخرى على الطباق ، ينظر : الحصري القيرواني : **ديوانه** : 241 ، 243 ، وابن شكيل **: ديوانه** : 83 ومؤلف مجهول **: لباب الألباب** 46 ,

ـ المقابلة :

وهي " إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"([1]). وقد عرّفها صاحب العمدة بقوله :" وأصلها ترتيب الكلام ما يجب ، فيعطي أوّل الكلام ما يليق به أوّلا ،وآخره ما يليق به آخرا ، ويأتي في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه ، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضدّاد ، فإن جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة "([2]).

ومن المقابلة ما قال ابن أبي الخصال في رثاء ولده([3]): (الطويل)

فَمِنْ مَنْزِلِ البَلوَى إلى مَنْزِلِ الرّضَى ومِنْ عَرَضِ الدنيا إلى جَوْهَرِ الأخرَى

وقعت المقابلة بين ما وُجد في صدر البيت من ألفاظ وبين ما في عجزه ، فقد جمع في الصدر بين ضدّين هما البلوى والرضى ،وفي عجزه بين الدنيا والآخرة والعرض والجوهر ؛ ليكون الجمال في الجمع بين الأضداد والتناغم الموسيقيّ الذي سرعان ما يغادر الصدر في البيت إلى العجز، ليقابله انجذاب المتلقي نحو البيت وألفاظه .

ومنه أيضا ما قال يوسف الثالث في رثاء ولده([4]): (الطويل)

وكُنْتَ صَباحِي مُشْرِقَ اليوم ساطِعًا فَقَدْ صِرْتُ في لَيْلٍ مِنَ الحُزْنِ عاتِمِ

وقد قابل فيه بين الصباح والإشراق الساطع ، وبين الليل والحزن العاتم ، ليصوّر مقابلة بين الأيام الماضية والحاضرة، ويكون ذا دلالة معنويّة ، إضافة لجرسها الموسيقيّ وقدرتها على تحريك الانتباه وجذبه نحوها .

وقد وظف الشعراء في رثائهم أسلوب النفي والاستفهام والتمني والتعجب وتوظيف صيغ التفضيل ،إضافة إلى أسلوب التوكيد.

فممّا رغب الشعراء بنفيه مثلا عبر أدوات النفي ،ما حرص بعضهم به نفي بعض الصفات عن الفقيد من باب التأبين ،نحو ما قال الحصري القيرواني في تأبين ولده([5]):

(الطويل)

فلا طيْشَ فيهِ وابنُ عشرينَ طائِشُ ولا عَجِلٌ والآدَمِيّ عَجُولُ

---

[1] - أبو هلال العسكري : **الصناعتين** 371.
[2] - ابن رشيق القيرواني : 2/ 23.
[3] - المراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة**1 / 40.
[4] - **الديوان** : 186.
[5] - **الديوان** :157.

ومنه ما حرص الشعراء عبره ،على نفي أمور تؤكد استمراريّتهم في ندب فقيدهم ، نحو ما قال ابن شكيل في رثاء أبيه([1]): (الطويل)

ولَسْتُ ، وإنْ أنْحَى الزّمــانُ بِــصَرْفِهِ عَلَيّ ونالَتْنِي صُرُوفٌ مِــنَ المِحَــنْ

بفاقدِ شَيءٍ مِنْ أبي غيْــرَ شَخْــصِه ولا بائعِ القرْبَى ببَخْسٍ مِنَ الــثّمَنْ

أمّا أسلوب التوكيد وحرصهم عليه ،فكان منهم من استعان بإنّ واللام المزحلقة من باب التأكيد والإصرار ،نحو قول ابن رشيد الفهريّ في رثاء ولده([2]): (الطويل)

وقدْ كانَ ظنّــي أنّنِــي لــكَ لاحِــقٌ فقدْ صارَ عِلْمِــي أنّنِــي بــكَ لاحِــقُ

جاء تأكيد الشاعر لحقيقة الفقدان الذي كان قبل أوانه في نظره ،بتوظيفه(لقد) وإقرانها بالفعل الماضي ،وهي حرف يفيد التحقق في الماضي ،إضافة لتوظيف إنّ وتكرارهما في الشطرين ،ممّا يثبّت الذهن عند المعنى الذي عناه الشاعر في البيت ،ويزيد من كمّية الإلحاح والتأكيد على مراد الشاعر وتعبيره عن حزنه للفقدان المبكّر لولده.

وقد استعان عبد الكريم القيسي بالقسم لتوكيد ما أراد قوله ،يقول في رثاء ولديه([3]):(البسيط)

واللهِ واللهِ لــو بيعَــتْ حَياتُهُمــا بالرّوح أبذلُ فيهــا مــا غــلا الــثّمَنُ

وحرص بعض الشعراء على التقديم والتأخير في مواضع عدّة من قصائدهم ، وقد جاء في كتاب العمدة في التقديم والتأخير :" ومنهم من يقدّم ويؤخّر :إمّا لضرورة وزن ،أو قافية وهو أعذر ،وإمّا ليدلّ على أنّه يعلم تصريف الكلام ويقدر على تعقيده ،وهذا هو العيّ بعينه "([4]). وممّا سبق يتبيّن رأي صاحب العمدة في هذا الأسلوب وغاية الشعراء منه . لكنّي قد وجدت حاجة في نفس الشعراء لمثل هذا الأسلوب ؛ لإبراز محنتهم ، بما يساعد على بيان أهمية الألفاظ المتقدّمة للصدارة في غير موضعها ومدلولها في النص الشعريّ ، فقد جاء التقديم لبعض الألفاظ ؛لإعطاء الأولويّة والاهتمام للّفظ المتقدّم من بيت القصيدة ،وللدلالة على قصد الشاعر الذي لا بدّ من توضيحه بأسلوب واضح ، نحو قول عمر بن أحمد في رثاء أبيه([5]): (الطويل)

عَلَيْــكَ سَــلامُ اللهِ مِــنْ ذي مُــصِيبَةٍ لــهُ مُهْجَــةٌ نَحْــوَ المَنايــا تَطَلّــعُ

تقدّم هنا الخبر (عليك) على المبتدأ ،رغبة من الشاعر في خصّ أبيه بالسلام دون غيره ،وإعلاء لشأن الفقيد .

---

[1] - **الديوان** : 84.
[2] - ابن الخطيب :**الإحاطة** ،142/3.
[3] - **الديوان** :329.
[4] - ابن رشيق القيرواني : 260/1.
[5] - ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 214/1.

ثالثا ــ الصورة الفنيّة :

تعدّ الصورة الفنية ركيزة مهمّة في جمال القصيدة العربية، إذ إنّ التعمّق في معانيها ومدلولاتها قد يقود القارئ إلى خيال الشاعر الفسيح ومشاعره الدفينة وتجاربه الذاتية ،التي قد تنعكس من خلال هذه الصور، ويمكن تعريفها بأنها: "بناء لغويّ يشكّله الخيال؛ للتعبير عن عواطف المبدع وأفكاره، معتمدا على الحواس، وقائما على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الرمز"([1]) . وهي "ذروة الإبداع في النص ، وغاية ووسيلة في الوقت ذاته"([2]). فقد تكون غاية الشاعر ووسيلته لإيصال مبتغاه، وفي الوقت نفسه غاية للمتلقي يستمتع بالبحث عنها، وتحليل جوانبها الجماليّة والحسّية، والانطلاق من مدلولاتها العديدة لفضاء الخيال([3]).

وتمثل الصورة الفنية " وسيلة حتميّة لإدراك نوع متميّز من الحقائق، تعجز اللغة العادية عن إدراكه ، أو توصيله ، وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف والتعرّف على جوانب خفيّة من التجربة الإنسانيّة "([4]).

و هي تعتمد بالدرجة الأولى على نفسيّة الشاعر الداخليّة في أعماقه ، فانطلاقا من هذه النفسيّة والتجربة الذاتية تخلق صلة وثيقة من ذاته وإبداعه الفنّي ؛ لتكون كالمرآة في أشعاره، تصوّر ما تراه ، ولكن تحت إطار الإبداع والتلوين والدراية بما في نفس الشاعر ، ممّا يسعى للبوح به ضمن قوالب فنّية في تعبيره غالبا([5])؛ لتعبّر" عن حالة اللاوعي الشعوري في لحظة الصناعة الشعريّة"([6]) .

وقد وجدت أنواعا عديدة من الصور الفنية في قصائد رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسيّ ، من ذلك مثلا :

1 ــ الصورة الحسّية :

---

[1] ـ حسن ، جليل : **الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام** ، 355.
[2] ـ عبد العزيز ، عبد المجيد : **أعشاب القيد والقصيدة التجربة الشعرية عند المتوكل طه** ، 138.
[3] ـ ينظر : عبد العزيز ، عبد المجيد : **نفسه** ، 138 .
[4] ـ محمد الزواوي ، خالد : **الصورة الفنية عند النابغة الذبياني** ، 101.
[5] ـ ينظر : فيدوح ، عبد القادر : **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي** ، 388 ـ 389
[6] ـ عبد الكريم الزبيدي ، حسام : **الصورة الفنية عند ابن زيدون** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الهاشمية ، 2005م .11

وهي الصورة التي يعتمد الشعراء فيها على حواسهم، ممّا قد يحسّه الشعراء عبر حاسّة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس. و "تتزعّم الصورة الحسّية الصورة البصريّة التي تعتمد على البصر عند المبصرين، وعلى مخزون الذاكرة لدى الشاعر الأعمى الذي كان بصيرا قبل عماه"([1]). وقد كانت الصور الحسّية بأشكالها أكثر أنواع الصور التي طرح شعراء الدراسة العديد من أفكارهم عبرها ، لتتفوّق على نظيرتيها العقلية والإيحائية ، فمعظم الشعراء حرصوا على توظيف إحدى حواسهم الخمس في نقل الصورة التي رغبوا بعرضها ، لكنّ القليل منهم من تعرّض للصورة العقلية والإيحائية ؛ لأنّ التفلسف في تناول الأمور والحرص على الإيحاء والرمز لم تكن غاية للجميع ، وسأوضح هذا الأمر أكثر عند تناول هذين النوعين من الصور. أمّا أنواع الصور الحسّية في رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسيّ ، فهي :

أ ــ الصورة البصريّة : إنّ " حاسة البصر من أظهر الحواسّ أثرا وأكثرها أهمية"([2]). لذا فإنّ لهذه الحاسّة" أهميتها في تكوين الصورة الفنية ، وذلك بأن ينقل الشاعر ما يراه إلى المتلقي"([3]) .

وقد كانت الصورة البصرية بأنواعها أهم الصور الحسية التي رسمها الشعراء على الإطلاق ، ليعتمدوا الحسّ البصري فيها ، وما يتداخل معه من عناصر الحركة أو اللون أو الضوء ، والتي تسهم في تكوين الصور البصرية المتكاملة انطلاقا من مركز البصر ، لذا فإنّ أفقها الرحب كان أكثر سعة من نظائرها من الصور التي تعتمد الحواس الأخرى ؛ لأنّ الحركة والألوان والضوء ودلالاته زادت من المساحة المتاحة أمام الشعراء لصبّ العديد من أفكارهم عبرها ، كما امتازت الصور البصرية بأنواعها الثلاثة بكونها جزءا مهمّا أسهم في تشكيل العديد من الصور الأخرى التي اعتمدت حواسا أخرى غير حاسة البصر ، وسأتبيّن ذلك في مواضع تناولها . أمّا أشكال الصورة البصريّة التي يلتقطها الشاعر ويرسمها عبر حاسّة البصر من خلال هذه الدراسة ، فهي :

1 ــ الحركة وتداخلها في الصورة البصرية :ومن الأمثلة على ذلك ما قال سعيد بن الحكم في رثاء ولده([4]): (الكامل)

ورُزِئْتُهُ غـصنًا نَـضيرًا مـا رَأَيْـــ تُ نظيــرَهُ فــي ســالفِ الأعْــصارِ

---

[1] ـ ماجد مجلّي ، محمد : **الصورة الفنية في الشعر الأندلسيّ شعر الأعمى التطيلي أنموذجا**، 26.
[2] ـ عبد الرحمن ، إبراهيم : **الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد** ، 89.
[3] ـ عبد الرحمن ، إبراهيم **: نفسه** ، 89.
[4] ـ مؤلف مجهول **: لباب الألباب** ، 55.

تَهْفو بــه ريحــا الــشّبيبةِ والنّــدَى فيميــلُ مِــنْ لــينٍ ومِــنْ إيثَــارِ

ويَــرُوقُ حُــسْنا ثــمّ إحْــسَانا كــذا كَ الغــصْنُ فــي الإزهــارِ والإثْمَــارِ

يلاحظ اعتماد الشاعر على الفعل البصريّ (رأيت) ، والأفعال الحركيّة الأخرى (تهفو) (يميل) ، في خلق جوّ بصريّ حركيّ ، يبعث الرؤية والحركة في خيال القارئ ، وقد اكتفى الشاعر بالأفعال السابقة ؛ للتعبير عن حقيقة مشاعره في تلك اللحظات ، إذ إنّه " لم يبالغ كثيرا في إشباع مفاصل الحدث أو حلقاته ، بل ترك للمتلقي الكثير من الفجوات ؛ ليتخيّلها ويملأها ويتلذذ في استحضار الغائب منها "([1]).

لقد امتزجت الرؤية في المثال السابق مع عنصر الحركة ؛ لبيان مأساته ، فصوّر ولده الذي فقده بالموت صغيرا ، وكأنه غصن صغير لم ير شبيها له في حياته؛ ليؤكّد ما بين ولده الصغير والغصن من رقة وليونة ونضارة وجمال ،وقد ذبلت وفقدت، ثم تظهر باقي الصورة بتصوير حال ولده الذي لم ينعم بالحياة رغم مزاياه العديدة ، تلك المزايا التي تقسّمت ما بين حسن خلقة وحسن خلق ، بتمايل الغصن وجماله بسبب ريح الصباح ؛ ليزيد جمالا وحسنا بتلك الحركات ، والجامع بينهما الجمال وحسن الطلّة . وقد تدفع هذه الصورة المتلقي لرؤية نهاية ولد الشاعر، وكأنه يتأرجح عبر أرجوحة الحياة التي أودته إلى النهاية دون رحمة ، وكأنه بذلك غصن متمايل ، يلوح بين أحضان الرياح و لا يقوى على الثبات في علوّه .

إنّ الحركة ضمن الأبيات السابقة نقلت القارئ بخياله بعيدا ، لينظر تأثير وجود الابن في حياة الشاعر ، ويوازن بين ما كان وما صار عليه في الزمن الحاضر ، فيجد نفسه بين صفحات الخيال ، مستدعيا هناك العديد من الصور التي تمتزج معا بين الحركة التي بثّها الشاعر والزمن الذي يستحضره القارئ في ذهنه الحالي([2]).

ومن الصور الحركية التي ترسم صورة الموت ، قول ابن الجنّان في رثاء أبيه([3]) :(البسيط)

هَبّتْ رياحُ المنايــا وَهْــيَ عاصــفةٌ وزعزعُ الموتِ لا يُبْقــي إذا عَــصَفا

فَصادَفَتْ أصْلَ إيجادي وقــد نَحَتَــتْ أيّامُــهُ عــودَهُ فانْهَــدّ وانقَــصَفا

لقد استعار الشاعر أفعالا تدلّ على الحركة (هبّت ، عصفا ، نحتت، انهدّ ، انقصفا)؛ لرسم صورة حركية مفعمة بالألفاظ القوية القادرة على تصوير مصيبة الشاعر ، إذ استطاع عبر الجمع بين الأفعال الحركية وأنسنة الموت ، من النجاح في نقل صورة حركية تكتمل أمام المتلقي إن جمع بين أطرافها ، فقد صوّر الشاعر وصول الموت إلى أبيه وسلبه من

---

[1] - القاسم ، نادر : **الخطاب الشعري في الرواية الفلسطينية " دراسة تطبيقيّة في روايات إميل حبيبي "** ، مجلة جامعة بيت لحم ، 1998 م، عدد17 ، مج 1 ، 63.

[2]- ينظر : نوفل ،حسن :**أصوات النص الشعري** 192.

[3] - ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 339.وللنظر في أمثلة أخرى مثلت الصور الحركية ، ينظر مؤلف مجهول : **لباب الألباب** 46 وابن شكيل: **ديوانه**، 81 وقد تعددت في هذه الصفحة الصور الحركية .

الحياة، بالريح العاصفة الشديدة المتوحشة التي تهبّ بقوة وكأنها تبحث عن فرائس تصطادها وتدمّر كل ما في طريقها ، فقول الشاعر (صادفت أصل إيجادي) صوّرها بالوحش الذي يخشى الجميع مصادفته في طريقهم ،و قد كان مصير الأب في هذه الصورة الدمار والنهاية .

وتحمل الصورة السابقة في مدلولها العميق حقيقة الموت ، الذي يمثل وحشا على أرض الواقع بالنسبة للكثيرين ، وحقيقة إقباله على كل إنسان وإن طال به الزمان .

2ــ اللون ودلالته :

استحضر شعراء الدراسة الضوء والألوان في رسم صور لجمال الفقيد، فكانت الصور الضوئية متساوية إلى حدّ قريب مع الصور الحركية في الأهمية ، وقد تشابهت المواقف التي وظف الشعراء فيها الصور الضوئية غالبا ؛ فمعظمها جاء في وصف الفقيد وإشراقته في حياة الراثي ، وما آل إليه الحال بعده من ظلمة ، وكان الآباء أكثر من تناولوا الصور الضوئية في هذه الدراسة ، إذ أكثروا من وصف حياتهم بوجود أبنائهم فيها ومن بعد فقدانهم بالموت.

منها ما قال ابن عبد ربه في رثاء ولده([1]): (المنسرح)

يــا قَمَــرًا أجْحَــفَ الخــسوفُ بــهِ قبلَ بلوغِ الــسّواءِ([2]) فــي العَــدَدِ

إنه يصوّر ولده في لوحة فنيّة جميلة ، استحضر فيها ما يدلّ على النور والضوء ، ومن ألفاظه الدالّة على ذلك (قمرا ، الخسوف)، إذ شبّه ولده الذي مات مبكّرا ، بالقمر الذي ألمّ به الخسوف قبل أن يتمّ ، والرابط بينهما الإشراق والبهجة التي كادت أن تكتمل، لكنّها سرعان ما فقدت ، فالولد كان سيتمّ إشراقة حياة أبيه لو أمدّ الله في عمره ، والقمر كاد أن يكتمل نورا وإشراقا ليكون بدرا ،لكنّ الخسوف قد حجب نوره .

لذا ، فإنّ توظيف النور جاء في هذه الصورة ضمن دلالتين مختلفتين : النور الحسّي ، وهو ما تعلّق بالقمر ، والنور المعنويّ الذي خصّ ولد الشاعر .

ومن الصور البصريّة الضوئيّة أيضا ، ما قال سعيد بن الحكم في رثاء ولده([3]):

(الكامل)

وَثكِلتُــــهُ كالبَــــدْرِ عِنْــــدَ كَمَالِــــهِ نــــورًا علــــى بُعْــــدٍ مِــــنَ الإبْــــدارِ

---

[1] - **الديوان** : 75.

[2] - سواء الشيء : وسطه لاستواء المسافة إليه من الأطراف . ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة (سوا) .وبيّن محقق الديوان أن الشاعر أراد الليلة الرابعة عشرة : **الديوان** ، (الحاشية) ، 75.

[3] - مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 56.

أو لاحَ في الليلِ الــدّجُوجِيّ انْثَنَــى وكــأنّ فــي ثِنْيَيْــهِ شــمسَ نهــارِ

تلاحظ كثرة الألفاظ الدالة على النور (البدر ، كماله ، نورا ، الإبدار، شمس ،نهار) ، والألفاظ الدالة على الظلام (الليل ، الدجوجي) ، وقد حاول الشاعر من خلال الجمع بينها وبين الألفاظ الدالة على النور ، تصوير مقدار البهجة التي استحضرها ولده في حياة أبيه رغم كلّ ما فيها من أسباب قد تؤدي إلى الظلمة ، فصوّر دفنه لولده وقد اقترب من النضج والجمال الكامل ، بالقمر الذي لم يبق له إلا القليل حتى يصير بدرا كاملا في نوره ، كما ظهر جمال التصوير بأن جمع بين البصر والحركة عبر (انثنى ، ثنييه) ؛ ليدلّ على ليونة حركته التي كادت أن تكون كحركة الشمس في نهارها ، لكن عبر الظلام نفسه . وكلّ ما سبق دلالة على كمّية ما يضفي المرثي من نور وأمل في حياة الراثي والذي كان سيستمرّ لو استمرّ الفقيد بالحياة .

ومنها قول ابن الجنّان في رثاء أبيه([1]): (البسيط)

ويــا لِمُرْسِــيَةَ الغــرّاء مــن بَلَــدٍ أضحى مُنيرا وأمــسى نــورُهُ خَــسَفا

يصوّر الشاعر حال مرسية في صورة حزينة ، وظف فيها ما يدلّ على الضوء (منيرا، نوره ، خسفا) ، إذ صوّر حالها سابقا ــ قبل غزو النصارى لها ــ مشرقة بنور أهلها وحرّيتها ، وما آل إليه هذا النور من خسوف نتيجة الظلم والطغيان ، وممّا زاد من جمال الصورة توظيف الشاعر لأداة النداء (يا) ، التي نادى فيها مرسية من أعماق قلبه ، وكأنه يصرخ لتسمع صرخاته ، فتعود إلى ما كانت عليه بإشراقتها التي عرفها عليها .

و" يعدّ اللون بنية أساسيّة مهمّة في تشكيل القصيدة الشعريّة ، وركيزة مهمة تقوم عليها الصورة الشعريّة بكلّ جوانبها ، من الشكل إلى المضمون ، فاللون يحمل قدرا كبيرا من العناصر الجماليّة ، وإضاءات دالّة تعطي أبعادا فنيّة في العمل الأدبي على وجه الخصوص ، كما يمنح الحياة والوجود قيمة لا يمكن إغفالها"([2]). وهي من الصور البصرية التي قلّ توظيف الشعراء لها ، إذ كان الحصري القيرواني وأبو حيان الأندلسي أبرز من وظفا الألوان في وصف قتل المرض لأبنائهم ، وربما يعود السبب إلى استغناء الشعراء عن الألوان ودلالتها والقدرة على تشكيل صورهم عبر الاستعانة بأمور أخرى غير الألوان . ومن الصور الفنيّة التي استعان شعراء الدراسة في رسمها بالألوان وتشكيلها ، ما قال الحصري القيرواني في رثاء ولده([3]): (الطويل)

---

[1] ـ ابن المرابط **: زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 341.

[2] ـ الزواهرة ، محمد ظاهر : **اللون ودلالاته في الشعر** ، 13.

[3] ـ **الديوان** :174.

أبَيْنَ احْمِـرارٍ واصْـفِرارٍ وزرْقَـةٍ تَقَـسّمَ خَـدّ كـانَ أحْمَـرَ قـانِ

ثلاثُ يواقيتٍ علـى صَـحْنِ فـضّةٍ نُظِمْـنَ وفـي خـدّيّ نثـرُ جُمَـانِ

يجمع الشاعر بين ألوان ثلاثة في صورته الحزينة (الأحمر والأصفر والأزرق) ؛ ليعبّر عن مقدار معاناة ولده وسوء حالته بعد حياة هنيئة عاشها مسبقا .

إنّه يوظف اللون الأحمر بدلالتين مختلفتين ، فاللفظة الأولى تدلّ على سوء حاله، وكأنّها دليل على قتله في تلك اللحظات . أمّا اللفظة الثانية ، فقد حملت الحمرة فيها معنى دالا على الجمال الفتّان الذي كان يتلوّن به خدّه في السابق قبل المرض([1]) ، ليكون اللون الأحمر بدلالتيه المختلفتين سببا دافعا للشاعر نحو الحزن واستمراريّته في الألم .

كما وظّف الشاعر اللون الأصفر والأزرق ؛ ليدلّ اللون الأصفر " على البؤس والتعب والألم"([2])، أمّا اللون الأزرق ، فقد دخل ضمن هذه الصورة " عالم الحزن والكآبة والضياع"([3]).

ويبيّن الشاعر عبر استعانته بالألوان السابقة حالة المعاناة والضياع والألم الذي كان يمرّ بها ولده ، كما يبيّن فرقا في أحداث الزمان ،وكيف تحوّلت حمرة الخدود من الجمال إلى حمرة بفعل المرض المهلك .

كما يزيد الشاعر من جمال الصورة وأحزانها ، بتصوير الألوان التي اقتحمت خدود ولده بدلالاتها الحزينة ، ليجعلها يواقيت تتربّع على صحن من الفضة ، وفي المقابل فإنّ دموع الشاعر تتلألأ كالجمان الذي صنع من الفضة على خدّه ، وفي ذلك دلالة على مقدار عجزه أمام مرض ولده ، وخضوعه أمام جبروته ، ليرغم نفسه على قلب الأحزان ودلالاتها إلى أحزان أخرى ، تبعث الفرح المتمثل بالحزن في آن واحد .

ومن الصور اللونية أيضا قول أبي حيان الأندلسي في رثاء ابنته نضار وولده حيان([4]): (الطويل)

وَإنْ يَقْرُبـا كانـتْ حيـاتي لذيـذةً وإنْ يَبْعُدا عَنّي أرى المـوتَ أحْمَـرا

مزج الشاعر في هذه الصورة بين الذوق واللون ؛ لينقل حقيقة وجود الولد في حياة أبيه وعدم وجوده ، فقد استعان بالمصدر الدال على اللذة بقوله (لذيذة) ؛ لتكون ميزة حياته إن وجد أبناءه فيها هي اللذة والحلاوة ، وينتقل في الشطر الثاني لتصوير حياته من دونهما

---

[1] - ينظر : الزواهرة ، ظاهر محمد : **اللون ودلالاته في الشعر** 50.

[2] - الزواهرة ، ظاهر محمد **: نفسه** ، 117.

[3] - الزواهرة ، ظاهر محمد **: نفسه** ، 60.

[4] - **الديوان** : 177. وللنظر في أمثلة أخرى تناولت الضوء واللون ودلالاته. ينظر :ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 351 ويوسف الثالث **: ديوانه** ، 78 ومؤلف مجهول **: لباب الألباب** 46 ، وابن شكيل **: ديوانه** 82 والحبّازي ، مشهور : **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق**، رسالة ماجستير ، 1982 /1983م ، 158 .

بالموت والهلاك ، ويستعير اللون الأحمر ؛ لإعطاء الموت ميزة الحسرة والقتل في الحياة نفسها ، دلالة على سوء حاله من بعدهم .

ومنها قول المعتمد بن عباد في رثاء ولده([1]): (المتقارب)

ولَمّـــا احْتَلَلْـــتَ بِنـــا لـــمْ تَحُـــلّ من القلــبِ والعــينِ غيــر الــسّوادِ

وظف الشاعر اللون الأسود في تكوين صورته اللونية ، إذ صوّر مدى اليأس والتشاؤم والأسى والحسرة في نفسه بالسواد المظلم ، ونلاحظ أنه قد ذكر من أعضاء جسده القلب والعين ؛ ليحلّ فيهما اللون الأسود المعتم ؛ ليزيد من حسراته ، فالقلب عادة يكون مسرحا للنقاء والصفاء ، ومركزا رئيسا في جسد الإنسان ، والعين متنفسا للإنسان ؛ ينفّس عبرها من أحزانه ، لذا فإنّ تأثرهما بالمصيبة التي ملأت نفسه أكثر ما يكون .

إذن ، فقد كانت الصورة الحركية والصورة الضوئية التي سآتي على تناولها أكثر أنواع الصور البصرية حضورا في رثاء الأبناء والآباء ، لأنّ الحركة مثلت جزءا مهما من تكوين الصور ، خاصة في تصوير الموت ووصف رصده بالبشر ،إضافة لتمثيل العديد من المواقف للفقيد التي تطلّبت وجود العنصر الحركي ، ومن جمال الصور التي اعتمدت البصر في وصف الحركة .

ب ــ الصورة الشمّيّة :

إنّ الشمّ " حصيلة واحدة من الحواسّ الخمس وسيلتها الأنف"([2])، ولأنّ الشمّ حاسّة من الحواس الخمس ، فهي تمثل حاسّة من الحواسّ " التي تشترك في الإدراك ، والتي قد تنوب فيها واحدة عن أخرى ، وقد يتجاوزها المدرك إلى كلّ ما هو ذهنيّ "([3]). ورغم أهمية الشم في تحريك المشاعر إلا أنّ الصور الفنية التي اعتمدت هذه الحاسة كانت قليلة جدا ؛ وربما يكون ذلك لأنّ القليل من الشعراء من التفت إلى الرائحة في رثاء الفقيد ، وقد تركز ذلك على رائحة الفقيد التي قد يجدها الراثي أينما كان من جهة ، وعلى رائحة تراب القبر من جهة أخرى . ومن الصور الشمّية ما قال الجليس بن الجبّاب في رثاء أبيه ، عندما وصف ما كان يرى من جمال في الرياح ، التي صارت سببا في قتل أبيه في البحر([4]): (الطويل)

فأشْرَقَ ضَوْءُ الصّبحِ وهْــوَ جَبينُهــا وفاحَتْ أزاهِيرُ الرّبَــى وهْــيَ ريّاهــا

---

[1] - **الديوان** : 146.
[2] - شلق ، علي : **الشمّ في الشعر العربي** ، 6.
[3] - شلق ، علي **: الشم في الشعر العربي**، 6
[4] - الكتبي ، ابن شاكر : **فوات الوفيات** ، 2/ 334.

إذا ما اجْتَنَتْ مِنْ وجْهِها العَيْنُ رَوْضَةً أسَالَتْ خلالَ الرّوْضِ بالدّمْعِ أمْواهَا

نجحت الصورة السابقة في تصوير ما كان يرى الشاعر في الريح من جمال، فتنطلق الألفاظ المكوّنة للصورة الضوئيّة (أشرق ، ضوء الصبح ، الجبين) ؛ ليصوّر الصباح بإطلالته الخلابة بجبين الرياح الذي تستند إليه ، وكأنها تنتظر إطلالته بفارغ الصبر ، أمّا الصورة الشمّية فقد عبّر عنها بالفعل (فاحت) ، الذي استعاره للزهور، بالشمّ والإحساس عبره ، وقد كانت الرياح نفسها هي الباعثة لرائحة الزهور لتسمح الإحساس بجمالها ، ثمّ يكمل الشاعر صورته الحركيّة البصريّة، فالعين تحصد بأفعال الرياح روضة من الجمال المرئيّ بالبصر، المحسوس بالشم ، لكنّها نفسها كانت دافعا للبكاء في لوحة الجمال التي رسمها ، وما ذلك إلا دلالة على فقدان ثقته بالريح التي كان يهدي عبرها السلام لأبيه من قبل([1]).

ومن أمثلة الصور الشمية أيضا قول الحصري القيرواني في رثاء ولده([2]): (الخفيف)

ظُلْمَــةُ القبْــرِ مــن مُحَيّــاكَ نــورٌ وثــراهُ مــن طيــبِ رَيّــاه مــسكُ

اشتركت الصورة الضوئية والصورة الشمّية في بناء هذه الصورة ؛ وذلك لرسم لوحة تغير صورة القبر التقليدية ، فقد قلب الشاعر ظلمة القبر إلى نور مشرق لاحتوائه الفقيد ، كما صوّر رائحة التراب بطيب حلو الرائحة وهو المسك ، الذي لطالما وظفه الشعراء دليلا على الجمال وحلاوة الرائحة .

وتدل الصورة على نفس يائسة ، تحاول عزاء حسرتها بقلب الحقائق ورؤية عكسها ؛ لعجزها أمام الموت وتسليمها للواقع المر.

ج ــ الصورة الذوقيّة :

وهي الصورة التي يعتمد الشاعر في تصويرها على حاسّة الذوق . فــ"استعمال الشاعر للذوق جاء ليمنح الصورة الفنيّة روحا ، وليدلّ على قوة تفاعله مع الحدث الداعي إلى التصوير ، وذلك لأنّ مجرّد ذكر المطعوم الحقيقيّ لا يعدو أن يكون نقلا للواقع ، أمّا حينما يسند للحياة فإنّ الصورة تصطبغ بروح الشاعر ، ويضفي عليها من عاطفته ما يدلّ على

---

[1] - أشرت في الفصل الأوّل لأبيات الجليس بن الجباب في لوم الريح ضمن أسباب الموت ، وكيف فقد ثقته بها بعد أن كانت سببا في قتل أبيه. ينظر: ص 17 من **الفصل الأول** .

[2] - **الديوان** :147. وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالصورة الشمية ، ينظر : يوسف الثالث **: الديوان** ، 78 وابن المرابط **: زواهر الفكر والجواهر الفقر**، 353 .

موقفه من المشهد وتفاعله معه "([1]). ومن الصور الذوقية ما قال أبو حيان الأندلسي في رثاء ابنته([2]): (الطويل)

نضارُ لقــدْ أسْــقَيْتِني كــأسَ لوْعَــةٍ هِيَ الصّبْرُ([3]) المَكْروهُ أو طَعْمُها أمَرْ

تلاحظ الألفاظ الدالة على التذوق (أسقيتني ، كأس الصبر ، طعمها ، أمر) ، وهي ألفاظ تحمل معنى الغصّة والعلقم في جوفها ، فقد حاول الشاعر تصوير معاناته في تجرّع الأحزان على مصيبته في ابنته ، وكأنّه كأس من شراب اللوعة والحزن والكآبة المتألّفة من عصارة الصبر المرّ ، لكنّ طعم هذا الصبر هو ما كرّه الشاعر في كأس الشراب ، لأنّ طعمه مكروه ؛ لمرارته ، وذلك ليصوّر نوع الألم الذي يعتصر حشاشته . وقد نجح الشاعر عبر الاستعانة بالفعل (أسقيتني) بنقل الصورة الذوقية التي سعى لتصويرها بدقيق الألفاظ المعبّرة عن حقيقة آلامه.

وقد ركز الشعراء على تصوير طعم الدنيا الذي امتاز بالمرارة بعد من فقدوا، ومن الصور الذوقية على السقيا قول عمر بن أحمد في رثاء أبيه([4]): (الطويل)

ألا أيّها القبْــرُ الــذي ضَــمّ جِــسْمَهُ سَقاكَ مــنَ الأنْــواءِ هتّــانُ مُمْــرِعُ

استعار الشاعر الفعل (سقاك) ؛ لرسم صورته الذوقية ، إذ يطلب السقيا والرحمة لقبر أبيه وكأنّ قبره ينتظر من يسقيه جرعة من الماء تحسّن من حاله وتطفىء عطشه ، ويظهر خطاب الشاعر ونداؤه للقبر مقدار اللوعة في نفسه وصدقه العفوي في طلب السقيا لقبر أبيه مما زاد من جمال الصورة .

ومنها أيضا قول الحصري القيرواني يصف الدنيا في رثاء ولده([5]): (المنسرح)

ذقْــــتُ حِمامًــــا وذقْــــتُ ثكــــلا حَــــرّمَ مــــن بَعْــــدِكَ اللّــــذاذا

نجح الشاعر في تكوين صورته الذوقية ، وذلك عبر استعانته بالفعل الدال على التذوق وتكراره ، بقوله (ذقت) ، إضافة إلى مصدر اللذة (اللذاذا) ؛ ليصوّر إحساسه بالموت لفقدان صغيره وكأنه قد تذوّقهما فعلا ، ووجد فيهما طعم المرارة والعلقم الذي سلبه معنى اللذة ، وما ذاك إلا دلالة على كمية اليأس الذي دخل إلى حياته وزوال كل ما له علاقة بالأمل والسعادة منها .

---

[1] - عبد الرحمن ، إبراهيم : **الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد** ، 113 ،114.

[2] - **الديوان** : 178.

[3] - الصبرُ : عصارة شجر مرّ واحدته صَبِرَة ، وجمعه صُبُور . ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (صبر).

[4] - ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 1 / 214

[5] - **الديوان** :251.وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالصورة الذوقية .ينظر: الحصري القيرواني :**ديوانه** 232 والمراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** 1/ 41 وابن الأبّار **: الحلّة السيراء** 214/1 .

د ــ الصورة السمعيّة :

وهي الصور الفنّية التي تعتمد بالدرجة الأولى على حاسّة السمع ، بما يتداخل في الأذن من أصوات قد تختلف مدلولاتها([1]). ومنها ما قال يوسف الثالث في رثاء ولده([2]): (المنسرح)

مُتّـــعَ سَـــمْعِي بِـــذِكْرِهِ أبَـــدًا إذ لـــمْ يُمَتّـــعْ بِوَجْهِـــهِ بَـــصَرِي

تلاحظ أنسنة الشاعر فيما سبق لحاسّة السمع وحاسّة البصر ؛ لرسم صورته السمعية ، إذ صوّر سمعه الذي يكتفي بجذب ذكريات ولده والتمتع بها أبد الدهر ، بإنسان يستمتع بأصوات تسعده ، كما صوّر حزن عينيه لامتناعه عن رؤية ولده إلى الأبد ، بالإنسان الحزين الذي لا يستمتع بأيّ شيء يراه .

وقد مزج الشاعر هنا بين الصورة السمعيّة والصورة البصريّة ، في تأكيد ملازمة ذكرى ولده داخل وجدانه طيلة حياته ، ليكون "التصوير الفنيّ بذلك وسيلة للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر، وليس غاية في حدّ ذاته"([3]).

ومن الصور السمعيّة ما قال ابن الجنّان في رثاء أبيه([4]): (البسيط)

تُصْمِي سهامُ المنايا مَـنْ تَمُـرّ بـِهِ إنْ غافلا كـانَ أوْ إنْ حَازمًـا ثُقِفـا

استعان الشاعر بالفعل (تصمي) لرسم صورته السمعيّة ، فقد استعار هذا الفعل لتمثيل الموت الذي صوّر قدرته في إصابة الهدف بالسهام ، وقد جعل الصوت الصادر عن هذه السهام سببا في صم كلّ من تمرّ به ممّن غفلوا عن أمرها أو تنبّهوا لها ، لينقل بذلك الأثر الذي يتركه الموت في نفس كلّ إنسان غافل أو متنبّه عاقل صاحب حنكة ونباهة ، فالغافل لا بدّ أن يصحو على غفلة إدراك الموت لعزيز عليه أو حتى على نفسه ، فقد تمرّ لحظة يوشك فيها الإنسان أن يموت نتيجة حدث ما ، تكون كفيلة لمنحه فرصة جديدة للحياة ، وسببا لصحوته من غفلته ، لذا فقد جاءت الصورة رسالة تنبيه للمتلقي لحقيقة الموت وعدم الاستهانة به سواء أكان حازما في أمره أم غافلا .

وقد ركّزت العديد من الصور السمعية على أصوات الحمام والأصوات الجميلة وكيف انقلبت إلى مصدر للحزن عند شعراء الدراسة ، منها قول أبي علي إدريس بن اليماني العبدري في رثاء أبيه([1]): (الطويل)

---

[1] ـ عبد الرحمن ، إبراهيم : **الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد** ، 113 ، 114.

[2] ـ **الديوان** : 78.

[3] ـ محمد، زينب **: الصورة الفنية في الشعر العربي خلال العهد العثماني** ، مجلة الأحمديّة ،دبي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، العدد التاسع ، 1422هـ ، 244.

[4] ـ ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 348.

وما نَدَبَتْ فـــي مَـــسْمَعي كـــلّ قينـــةٍ تُغَرّدُ بـــاللّحْنِ البّـــريّ مِـــنَ اللّحْـــنِ

استعان الشاعر بالفعلين (ندبت ، تغرد) ، وبألفاظ أخرى تتعلق بالسمع وهي (مسمعي، اللحن) ؛ لرسم صورة سمعية تعكس تحوّل أسباب السعادة إلى شقاء دائم ، إذ صوّر الألحان الجميلة التي استعار لها الفعل (تغرد) تعبيرا عن حلاوة انسيابها في الأذن عادة ، لنحيب وأصوات عالية تنفر الأذن لسماعها ، ليحتوي الفعل (ندبت) كل معاني الحسرة التي يعيشها النادب ويعبّر عن حقيقة ما يعيش الشاعر من واقع أليم .

هـــ ــ الصورة اللمسيّة :

وهي ما اعتمد الشاعر فيها على حاسّة اللمس ؛ لتكوين صورته الفنّية وتحديد ملامحها ، فاللمس "قد يوحي له بمعان تسهم في تحريك عاطفته واستحضار ألفاظ تخدم الصورة فيها ما يدلّ على تدخّل ما يمكن حسّه باللمس"([2]) . ومن الصور اللّمسية ما قال الجليس بن الجبّاب في رثاء أبيه([3]): (الطويل)

إذا اسْتَعَرَتْ نارُ الأسَى بـــيْنَ أضْـــلُعِي نَضَحْتُ على حَرّ الحَشَا بَـــرْدَ ذِكْرَاهـــا

وما بِيَ أن يَـــصْلَى الفـــؤادُ بِحَرّهَـــا ويُضْرَمَ لوْلا أنّ في القلـــب سُـــكْنَاها

يلاحظ في هذه الأبيات الجمع بين ما يدلّ على اللمس وما يدلّ على الحركة ؛ لتكوين الصورة ،إذ صوّر الشاعر ما في صدره من الحزن على وفاة أبيه ،هذا الحزن الذي قلّ تدريجيّا لعزائه بذكراه التي سكنت قلبه ، بالنار التي اشتعلت ثمّ لقيت ما يخفّف من حرّها ، ونلاحظ ما يدلّ على اللمس من الألفاظ المتعلّقة بهذه الحاسّة (حر ، برد ، يصلى ، بحرّها ، يضرم ، نار) ، وهي ألفاظ تدلّ على تلمّس الشاعر لمدلولات هذه الألفاظ في أعماق جسده ، وإن كان لمسا معنويّا أكثر منه وقعا حسّيّا ، لكنّ أثره في النفس يكون بقوّة اللهب حقا ، وذلك لشدّة آثارها في نفسه.

ومن الصور اللمسية قول يوسف الثالث في رثاء ولده([4]): (السريع)

أضْـــرَمَ عبـــدُ اللهِ جَمْـــرَ الأســـى في القلـــبِ لَمّـــا لـــم يَلـــحْ بـــالحِمَى

---

[1] - ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** ق 3 / م1/ 350.وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالصورة السمعية ، ينظر : ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 341 وابن شكيل : **ديوانه** 82 والحبّازي ، مشهور : **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، 1982 / 1983م ، 157 ،279.

[2] - ينظر : عبد الرحمن ، إبراهيم **: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد** ، 109 - 110.

[3] - الكتبي ، ابن شاكر **: فوات الوفيات**، 335/2

[4] - **الديوان** : 124.

يلاحظ جمع الشاعر بين الفعل الحركي (أضرم) ، وما يدل على اللمس (جمر) ؛ لرسم صورة حركية لمسية تمتلئ لهيبا وحرقة ، إذ صوّر فراق ولده عبد الله بالموت وما ترك من شعور الحزن واللذع في نفسه ، وكأنه أشعل جمرا في قلبه .

وقد استعان الشاعر بالجمر ؛ لما فيه من أثر على ما يتمكّن من لمسه بهدوء ، وهو ما يدفع المتلقي إلى مشاركة الشاعر إحساسه وحقيقة ألمه الذي يكمن في أعماق نفسه الهادئة . ومنها قول الشاعر نفسه([1]): (المنسرح)

هــاذي القلــوبُ التــي قــدِ التهبَــتْ بواكــــــفٍ للــــــدموعِ مُنْهَمِــــــرِ

استعان الشاعر بالفعل (التهبت) ؛ لتكوين صورته اللمسية ، إذ صوّر ما حلّ بقلبه من عناء وألم وعجز عن تحمّل الأسى ، وكأنه التهب نتيجة لكثرة الدموع التي سكبها ، والتهاب الجسد يكون ملموسا عادة ، لكنّ التهاب القلب الذي أراده الشاعر شيء غير ملموس في الوضع الطبيعي ، يتحسّس الشاعر آثاره جرّاء الحزن الشديد المعتصر لفؤاده ، وقد عظّم من صورته اللمسية بقوله (القلوب) ، وكأنه أراد جمع قلبه مع قلوب الآخرين ممّن يهمّهم أمر الفقيد ؛ تعظيما لشأنه .

إذن ، فقد جاءت الصور البصرية بأنواعها لتكون في قمّة الصور الحسّية ، ثم تلتها الصور السمعية والذوقية واللمسية ، وكان أقلّها تناولا الصور الشمية . ممّا يبيّن اهتمام الشعراء بتوظيف الحواس في التعبير عن مصيبتهم في الرثاء .

2 ــ الصورة العقليّة :

وقد أكثر ابن الجنّان من الصور العقلية ثمّ الإيحائية التي تعتمد الرمز والإيحاء في مضمونها ، وهذا حال الحصري القيرواني أيضا ، لكنّ ذلك لا ينفي أن يكون هذان الشاعران قد توّجا منتوج الصور الفنية في رثائهم بالصور الحسية , لتتفوّق على الصور الإيحائية والعقلية معا عند الشعراء جميعا ، وذلك نظرا لسهولة طرح الأفكار عبرها اعتمادا على الحواس .

ومن الصور العقليّة ما قال ابن الجنّان واصفا الدنيا في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

بَيْنا تُريــكَ ريــاضَ الأرضِ مُونِقــةً عادَتْ هَشيمًا كأنّ النبْتَ ما وَهَفــا([3])

---

[1] - **الديوان** : 77.وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالصورة اللمسية ، ينظر : مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 46 والحبّازي ، مشهور : **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، 1982 / 1983م ،280 .

[2] - ابن المرابط **: زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 348.

[3] - وهف النبت يهف وهفا ووهيفا : اخضرّ وأورق واهتزّ. ابن منظور **: لسان العرب** ، مادة (وهف) .

إذا رَجَــا عنــدَها الــسرّاءَ آملُهــا ارْتَــجّ جانبُهــا بــالحُزنِ وارْتَجَفــا

مَرْمًى تناضلُ فيــهِ الحادثــاتُ فمَــنْ تُصبْهُ تَنْصبْهُ في عُرْضِ الرّدَى هَدَفا

يبني الشاعر صورته العقليّة معتمدا على ذهنه المنفتح وتجاربه التي أكسبته حقائق لا يمكن نكرانها في حقيقة الدنيا ، والتي دفعته لإحياء الصورة عبر أنسنتها ، فقد صوّرها بالأنثى المتوحّشة الغدّارة ، فهي تارة تخيّل للإنسان جمالها وسرعان ما تنقلب إلى وحشة لا حياة فيها ، لذا فقد جاء بعنصر البصر، بقوله (تريك) ، وقابل بين (مونقة وهشيما) ؛ للدلالة على سرعة قلب أحوالها وزوالها ، ثمّ ينتقل لتصويرها بملجأ يرجو المكروب الأمل لديها ،لكنّها تخيّب ظنّه ،وتبدي حركات تدلّ على خوفها وحزنها ، ذريعة في ردّ سائليها وعلامة على خبثها ، لذا فقد جمع في صدر البيت بين رجاء السرّاء والأمل في تحقيقه وبين ردّ الدنيا ، دلالة على حقيقة تمثل خيبة الإنسان فيها .

ولا يكتفي الشاعر بتصوير الدنيا بالأنثى الغدّارة ، بل يصوّرها بالمرمى الذي تتقاتل فيه نوائب الدهر لإصابة بني البشر ، ليكون مصير الإنسان الذي قد يصاب هو الموت ، وتدفع هذه الصورة خيال المتلقي لرؤية نفسه كرة تتدحرج في أرض ملعب كبير بين أقدام المتبارين ، ليكون هدفا في النهاية أو لا يكون ، لكنّ الفرق بين الإنسان والكرة أنّ الإنسان وإن لم يكن هدفا مصابا في إحدى المرّات ، فلا بدّ أن يأتي يوم ، ويكون هدفا مصيره الموت.

وقد مزج الشاعر فيما سبق الصورة البصريّة والحركيّة ؛ لتشكيل صورة عقليّة ينعم الإنسان بصره في الخوض في تفاصيلها وجلب براهينها من حوله ؛ ليدرك قدرة الشاعر وسعة خياله .

ومن الصور العقليّة للشاعر نفسه ، ما قال في تصوير خوف الشهب من المنية يقول ([1]): (البسيط)

والشّهْبُ تَرْعُدُ ذعْــرًا مِــنْ تَوَقّعِهَــا نَثْــرا يُعيــدُ سَــنَا الأنْــوارِ مُنْكَــسِفاَ

اعتمد الشاعر في هذه الصورة على أسلوب الأنسنة والتجسيد الحيّ لمكوّن من مكوّنات الطبيعة ، وقد نجح وتوفّق في تحريك خيال القارئ عبر لفظتي (ترعد ذعرا)، وجعلها من نصيب الشهب ، ليصوّر خوفها الشديد من الموت ، وكأنه وحش كاسر تتوقع قدومه ، وقد ترك أثر الخوف في نفسها، وكأنّها تناثرت مؤثّرة في كلّ النور من حولها ، وهي بذلك كإنسان يتوقّع كارثة ويرتعد من شدّة خوفه منها. وتؤكد هذه الصورة " أنّ الشعر قد أعاد إنتاج الدلالة للمنيّة من كونها فكرة ذهنيّة محضة إلى مجالات أكثر رحابة وحيويّة وجدّة

[1] - ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 351

وانطلاقا في الفضاء الشعري ، أي إخراجها من دائرة السكون إلى دوائر تمور بالحركة ، ومن جمود اللا فعل إلى نشاطه"([1]).

ومنها قول إدريس بن إدريس في رثاء أبيه([2]): (البسيط)

أهْـــدى إليـــه المنايـــا ذو قرابَتِـــهِ بغيْرِ جُرْمٍ سوى البغـضاء والحـسدِ

استعان الشاعر بالفعل (أهدى) ، وجعله مختصا بالمنايا ؛ ليكوّن صورة تدفع العقل إلى التفكير ، فقد صوّر قريب أبيه الذي كان سببا في وفاته عندما أهدى إليه سنون مسمومة([3])، بمن يقدّم الموت هدية لشخص آخر ، ومن المتعارف عليه أنّ الهدية عادة تكون في سبيل المحبة والألفة والصداقة ، لكنّ الشاعر عكس مدلولها وجعل منها أمرا مستنكرا حقيرا ؛ لأنها كانت سببا في الموت .

ومن الصور العقلية أيضا قول الحكم بن أحمد في رثاء ولده([4]): (البسيط)

وكيفَ أبْقى بـــلا نـــورٍ ، بـــلا بـــصَرٍ أمْ كيفَ ينْبُتُ لحمٌ زال عـــنْ ســـاقِ ؟

مزج الشاعر الصورة البصرية والصورة العقلية ، لتشكيل صورة تبعث عقل المتلقي تعقّب مدلولها ، فقد استعار ألفاظا تدل على الرؤية البصرية (نور ، بصر) ؛ ليصوّر ولده بنور وبصر كانا في حياته وتلاشيا بموته ، كما يصوّر محنته وعجزه عن العيش معها باللحم، وقد انفصل عن الساق التي يستند إليها ، فكيف له أن ينمو ويستمر في الحياة . ونلاحظ نقلة الشاعر بين الممكن والمستحيل ، فالبقاء بلا نور البصر ممكن تحقّقه ، لكنّ الاستحالة تكون في نمو اللحم دون ساق ، وهو الأمر الذي يبيّن يأس الشاعر ، ويعكس ما يجد من الموت في الحياة نفسها

إذن ، فالصورة العقلية تمثل " الجانب الذي يدرك بالعقل من الصورة الفنيّة ، وهو ذلك الجزء المعنويّ الذي نتفهّمه بعقولنا ، ولا يمكن أن ندركه بأحاسيسنا ؛ لأنه لا يقع تحت البصر أو السمع وليس له جسم فيلمس ،وليس له رائحة فتشمّ ، وهو بذلك يكون مقابلا للمادة المحسوسة"([5]).وقد تفوّقت الصور العقلية على الصور الإيحائية في هذه الدراسة ؛ لأنّ العقل موجود في كل إنسان ، يتمكّن من خلاله الوصول إلى حقائق عقلية يستعين بها بأمور من السهل تفهّمها من قبل المتلقي ، ومن السهل تناولها من قبل الراثي ، الذي يتجنّب غالبا الرمز

---

[1] ـ عبد سالم ، خليل : **المنيّة في الشعر الجاهلي ـ دراسة في دلالاتها وصورها الاستعاريّة** ، المجلة الأردنية ، 2007م ، العدد 3 ، مج 3 ، 122.

[2] ـ الصفدي **: الوافي بالوفيات** 8 / 319

[3] ـ ينظر : صـ 16 من **الفصل الأول.**

[4] ـ ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 1 / 213. وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالصورة العقلية ، ينظر : الحصري القيرواني **: ديوانه** ، 232 ، 241 وابن عبد ربه : **ديوانه** 72 ، وابن الجنّان **: زواهر الفكر وجواهر الفقر** 340 والحبّازي ، مشهور : **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، 1982 / 1983م ، 156 .

[5] ـ عبد الرحمن ، إبراهيم **: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال و نقد** ، 121

والإيحاء في تشكيل صوره ، لأنّ مضمونها العميق وطاقتها المتولدة صعبة الإدراك في الكثير من الأحيان ،

3 ــ الصورة الإيحائيّة :

والإيحاء يعني " الطاقة المعنويّة المتولّدة من البنية الفنية للصورة الإيحائيّة في إطارها الكلّ ،والتي تعمل على توسيع رقعة الظلال التي تسبح فيها المعاني التي يريد الشاعر تصويرها أو بثّها ،وقد تتعدّد فيها مستويات الفهم والتصوير"([1]) . "والسياق هو الذي يحدّد دلالة الرمز وقيمته الفنية ، وهو يعطيه غالبا تكثيفا أكبر من أيّ مصطلح مجازيّ آخر؛ لأنه ينطلق في آفاق أرحب "([2]).

ومن أمثلة الصور الإيحائيّة ما قال ابن يامين في رثاء ابنته وابنها([3]): (الوافر)

وقــــارَنَهُمْ مِـــنَ الأصْـــهارِ شَـــيْخٌ وللمَـــوْتِ المَـــذاكِي([4]) والمِهـــارُ

يعتمد الشاعر في صورته الإيحائيّة على بعض الرموز (الأصهار، الشيخ، المذاكي، المهار) ، وما قد ترمز لها من دلالات عديدة توحي للقارئ بخصب مذخورها ومدى إيحائها، وقد صوّرها هنا عبر الرموز التي كان لها معنى خارجيّ. " فالصورة علاقة لغويّة تأتي على سبيل المجاز ليصوّر الشاعر بها رؤيته "([5]).

إذ صوّر الشاعر في هذه الصورة سلب ملك الموت لابنته بمن عقد قرانه على يد شيخ جليل ، فأعطى عروسه الخيل والمهر ، وفي ذلك دلالة عميقة ، وقد تختلف دلالات الرموز التي سبق ذكرها ، فقد يرمز الشيخ إلى الموت أو ملك الموت والأصهار إلى الغربة ، والمذاكي والمهار إلى النفيس، أي ابنته وابنها الذين صاروا ثمنا للموت كالمهر الذي يكون ثمنا للعروس ، ومن حقّ المتلقي في تصوّري هنا إشباع خياله في فهم دلالات الصورة وإيحاءات رموزها .

ومن الأمثلة أيضا على الصور الإيحائيّة ، ما قال ابن الجنّان في رثاء أبيه([6]):

(البسيط)

وَذا الأنَـــامِ نَبـــاتٌ شَـــاهَ مَنْبَتُـــهُ إنّ النّبـــاتَ إذا مـــا يَنْتَهـــي قُطِفـــا

يعتمد الشاعر على النبات كرمز فيما سبق ، إذ يصوّر الإنسان الذي يعيش وينتهي بالموت الأكيد، بالنبات الذي ينبت وتكون نهايته القطف أو الذبول بالموت. ونلاحظ أنّ

---

[1] ـ حسين ، عدنان : **التصوير الشعري التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية** ، 108.
[2] ـ الرباعي ، عبد القادر : **الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق** ، 98.
[3] ـ مؤلف مجهول ، **لباب الألباب** ، 48.
[4] ـ المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (ذكا).
[5] ـ الجيّار ، مدحت : **الصورة الشعرية عند أبي القاسم** ، 201.
[6] ـ ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 350.

الشاعر قد وظف(إنّ)التي تفيد التوكيد ؛ لتأكيد فكرة الصورة ، وكأنه يسعى لتأكيد الصلة بين الإنسان والنبات التي أشار إليها في صدر البيت ، عبر عجز البيت الذي يبيّن علاقة النبات بالإنسان ، وهي القطف والزوال .

ومن الصور الإيحائية قول ابن يامين في رثاء ابنته وابنها ([1]): (الوافر)

ألـــمْ تَـــرَ أنّ دَمْـــعَ العَـــيْنِ مـــاءٌ وهـــل طُفِئـــتْ بـــه للقلـــب نـــارُ

اعتمد الشاعر في صورته الإيحائية (دمع العين) ، ليكون مركز الإيحاء في الصورة، فقد صوّر دموع عينه بالماء العاجز عن إطفاء النار التي تحرق قلبه على ابنته وولدها ، فنجده يصوّر الدموع بالماء والأسى بالنار ؛ فالدموع سبب في تخفيف الحزن وآلامه ، وقد وقفت اليوم عاجزة عن السيطرة على حرقة قلبه ، كعجز الماء عن إطفاء النار ، وهي ما توحي بالصورة للمتلقي ، وتنقله ليعيش الموقف نفسه ويسرح بخياله بعيدا للبحث عن المدى البعيد للصورة .

إذن ، فقد نجح شعراء الدراسة في نقل أفكارهم عبر الصور الفنية المختلفة ، وتلقين خيال القارئ الأفكار التي ساعدته في تحريك ذهنه العقلي ، عبر الاستعانة بما يساعده على ذلك من ألفاظ وظفها الشعراء في صورهم ؛لتسهيل فهم الصورة وبثّ الحياة فيها عبر أنواع الصور المختلفة .

[1] ـ مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 46 .وللنظر في أمثلة أخرى تتعلق بالصور الإيحائية ، ينظر :ابن عبد ربه : **ديوانه** 82 ، 83 وابن الجنّان : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** 349 ،342 وابن الخطيب : **ديوانه** ، 1/ 463 .

ثالثا ــ الموسيقى :

وهي تشكّل ركنا مهمّا في القصيدة العربيّة ، وسببا في جذب القارئ لها ، إذ " تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحسّ بمعانيها"([1]) ، أمّا أقسامها، فهي :

أ ــ الموسيقى الخارجيّة :

1 ــ الوزن :

وهو أحد المعالم الموسيقيّة التي تشكّل الموسيقى الخارجيّة ، وأحد المواضيع التي حاول النقاد البتّ فيها ، ومعرفة ما إن وجدت علاقة بينه وبين الموضوع المطروح ، فمنهم من أيّد فكرة تقول :إنّ العلاقة موجودة بين الوزن والموضوع ، وبأنّ الشعراء يتخيّرون أفكارهم ومواقفهم فيختارون ما يتلاءم معها من الأوزان مثل القرطاجنّي ، ومن قوله في ذلك :" ولمّا كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشاقة ... وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس"([2]). وممّن اتفقوا في رأيهم مع القرطاجنّي إبراهيم أنيس الذي قال :" ونحن مطمئنون أنّ الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخيّر عادة وزنا طويلا كثير المقاطع"([3]). وقد كان مخيمر صالح من الذين رفضوا العلاقة بين الوزن العروضي والموضوع ، إذ قال :" وأعود لأؤكد باطمئنان إلى أنه ليس هناك أدنى علاقة بين البحر الشعري والموضوع"([4])، ومنهم أيضا عبد العزيز نبوي الذي رأى أن أقوال القدماء الرابطة بين الوزن والموضوع ما هي إلا مزاعم([5])، و محمد صالح الضالع ، وقد رأى أنّ التفعيلات الشعريّة مجرّد قوالب صوتيّة محضة ، وأن لا علاقة بين التفعيلة وتوجّه الشعراء إليها([6]) ، وقد كان ناصر الدين الأسد ممّن توسّطوا الرأيين ، فكان مع تخيّر الوزن للموضوع ، لكنّه لم يعمّم ذلك([7]).

ومن هنا ، فقد قمت بدراسة لقصائد رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسيّ في محاولة إعطاء رأيي الخاصّ في الموضوع نفسه ، وكانت الدراسة كالآتي :

---

[1] ـ أنيس ، إبراهيم : **موسيقى الشعر** 16 .

[2] ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، 266 .

[3] ـ **موسيقى الشعر :** 177 ، وللنظر في رأيه أكثر ينظر 175 -180 من المصدر نفسه .

[4] ـ **رثاء الأبناء في الشعر العربي** 192.

[5] ـ ينظر : **الإطار الموسيقي للشعر ملامحه وقضاياه** 334 - 337.

[6] ـ ينظر : **الأسلوبية الصوتية** ،49.

[7] ـ ينظر : **القيان والغناء في العصر الجاهلي** ،195 -197 وينظر: تعليق عبد العزيز نبوي على رأي ناصر الدين الأسد في **:الإطار الموسيقي للشعر ملامحه وقضاياه**، 337.

الرقم	البحر الشعري	عدد القصائد والمقطوعات والنتف	النسبة المئوية لتكرار البحر إلى مجموعة القصائد والمقطوعات والنتف
1	الطويل	50	%17،18
2	البسيط	28	%9،62
	مخلع البسيط	35	%12،02
	مجزوء البسيط	1	%0،34
3	الكامل مجزوء الكامل	20 8	%6،87 %2،74
4	الخفيف	16	%5،49
	مجزوء الخفيف	14	%4،81
5	السريع	18	%6،18
6	الوافر	15	%5،15
7	مجزوء الوافر الرمل مجزوء الرمل	6 8 8	%2،06 %2،74 %2،74
8	المجتث	14	%4،81
9	المنسرح	12	%4،12
10	مجزوء الرجز	12	%4،12
11	المتقارب	9	%3،09
	مجزوء المتقارب	3	%1،03
12	المديد	8	%2،74
13	المقتضب	4	%1،37
14	الهزج	2	%0،68
المجموع		291	%100

يلاحظ من الجدول السابق أنّ شعراء الدراسة نظموا رثاءهم في أربعة عشر بحرا من البحور العروضية ، غلبت فيها البحور ذات الأوزان التامة الطويلة مثل : الطويل والبسيط والخفيف، فكان الطويل أكثرها تكرارا ثم البسيط ،كما نظموا على بعض البحور التي تقل تفعيلاتها عن تفعيلات الطويل والبسيط مثل: الكامل والخفيف والوافر ، إضافة إلى القليل من البحور المجزوءة مثل مجزوء الرجز ومجزوء الرمل و مخلع البسيط ومجزوئه .

ومن أنعمه النظر في البحور في الجدول السابق ، يلاحظ التقارب في النسب العالية بين البحور التامة والبحور المجزوءة ، إذ استطاع الشعراء إيجاد غايتهم في البحور المجزوءة والبحور التامة على السواء ، وتمكّنوا عبرها جميعا من نظم أفكارهم وأحزانهم .

لقد كان للطويل ثم البسيط حضور متميز في الجدول السابق، وقد نظم الشعراء العديد من القصائد الطوال على هذين البحرين ، مثل قصيدة ابن الجنّان في أبيه التي نظمت على البسيط ، وقصيدة ابن أبي الخصال في رثاء ولده ، التي نظمها على البحر الطويل ، ومنها ما قصيرة ، على نحو ما جاء به محمد بن عمر بن المنذر، إذ نظم بيتين فقط على الطويل في رثاء أبيه ، ممّا يعني أنّ هذين البحرين لم يكونا من نصيب القصائد الطوال فقط لما فيهما من طول في عروضهما ، فالعديد من النتف جاءت على هذين البحرين، إذ نظم أبناء عمر بن عذرة الثلاثة بيتا واحدا لكل منهم في رثاء أبيه على البسيط ، ممّا يبيّن أنّ البحر البسيط ومن قبله الطويل ،قد تلاءما مع القصائد الطوال والنتف أيضا ، وأنّ شعراء الدراسة وجدوا فيهما سببا دفعهم التوجه نحوهما ، إذ إنّ "الطويل والبسيط من أعلى البحور درجة وأكثرها افتتانا([1]) . فالعروض الطويل " تجد فيه أبدا بهاء وقوة ، وتجد في البسيط سباطة وطلاوة "([2]) وربما وجد الشعراء فيهما مقرّا لبثّ الأحزان والعواطف المؤلمة ، وقوة في تفعيلاتهما شدّت من قوة ألفاظ الشعراء واستوعبت الكثير من الألفاظ التي فاضت بالمعاني الحزينة ، أكثر من غيرها من البحور، وربما كان الافتتان في جمال تفعيلات هذين البحرين المتكررة مرّة بعد مرّة في البحر نفسه.

أمّا الكامل ثم الوافر ثم الخفيف ، فهي البحور التي جاءت بعد الطويل والبسيط في نظم الشعراء على تفعيلاتها ، فمجال الشاعر فيهما " أفسح من غيره ، ويتلو الوافر والكامل

---

[1] ـ القرطاجنّي : **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** 268 .
[2] ـ القرطاجني : **نفسه** 269.

عند بعض الناس الخفيف"([1]) ، إذ إنّ " للكامل جزالة وحسن اطّراد ، وللخفيف جزالة ورشاقة"([2]) ،وقد كان للكامل والوافر حضور متميز في بعض القصائد الطوال مثل قصيدة سعيد بن الحكم في رثاء ولده التي نظمها على الكامل ، وقصيدة ابن يامين الطويلة في رثاء ابنته وولدها التي نظمها على البحر الوافر ، إضافة إلى نظم العديد من المقطوعات القصيرة عليها ، ويمكن أن تكون الرتابة الموسيقية في تفعيلات هذه البحور سببا في لجوء الشعراء إليها ، ليتركوا نغما موسيقيا خدم شعور الحزن وتأثيره الحزين .

أمّا البحور الأخرى التي قلّ تكرارها مقارنة مع غيرها من البحور التي سبق أن ذكرتها ، فلم يقلل حضورها من شأنها وأهميتها ، فكلّ منها له ميزته الخاصة به ، ليؤدي موسيقى حزينة فيما نظم الشاعر على تفعيلاته ويكون قالبا للمادة الرثائية التي نجح في إبرازها .

وقد تساوى الشعراء تقريبا في التوجّه لمختلف البحور للتعبير عن عواطفهم على اختلاف نفسياتهم ، فمعظم القصائد الطوال التي نظمت على الطويل والبسيط والكامل والوافر جمعت بين العاطفة الهادئة الحزينة المسلّمة للواقع ، وبين لحظات عنيفة عكست غضب الشعراء وحقدهم وانفعالاتهم ، ليكون للبحور على اختلاف طولها جرس موسيقي جامع بين الهدوء والعنف ، مما يعكس أثره على أذن الشاعر الموسيقية .وهذا حال البحور التي قلّ حضورها ، إذ كان فيها الهدوء والعنف ، ورغم أنها كانت قصيرة ، إلا أنها تركت أثرا حزينا في نفس المتلقي بما فيها من جرس موسيقي حزين ينبّه المتلقي إلى إحساس الشاعر ومقدار تأثره ، وأجد أنّ هذا يعارض قول إبراهيم أنيس :" وفي الحقّ إنّ النظم حتى يتمّ في ساعة الانفعال النفسانيّ يميل إلى تخيّر البحور القصيرة "([3]) .

ومن هنا، أستطيع القول : إنّ التعميم في إصدار الأحكام كان سببا رئيسا في رفض بعضهم لمسألة الربط بين الموضوع والوزن ،وكان الأولى على القدماء إلغاء التعميم في آرائهم ، ليقولوا : إنّ من الشعراء من توجّهوا لبحور معيّنة ونظموا موضوع قصيدتهم على الوزن الملائم لغرض نفوسهم ، فالبحور الطويلة من أكثر البحور المطروحة للرثاء في دراستي ، ويبدو أنّ مدى سعتها سبب رئيس في توجّه الشعراء لها كثيرا ، فمثلا أبو حيان الأندلسي نظم ستة قصائد تقريبا على البحر الطويل في رثاء ابنته ، ورغم أنّ الحصري القيرواني قد ترك العنان مفتوحا للبحور المجزوءة ، إلا أنّ ذلك طغى على المقطوعات القصيرة التي جمعت بين الهدوء في العواطف والغضب ، وذلك لا يقلل من شأن البحور ،

---

[1] ـ القرطاجني : **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، 268.
[2] ـ القرطاجني : **نفسه** 269.
[3] ـ **موسيقى الشعر** 179.

فمعظم قصائده الطوال نظمها على البحور التامة. وأعود وأقول ، إنّ سعة المساحة التي منحها هذا الشاعر لنفسه في رثاء ولده ، كانت أهم الأسباب التي ساعدته على التنويع في الأغراض والبحور والقوافي التي سنقف عندها ، كما سمحت له بنقل مشاعره على اختلافها إلى المتلقي عبر الأوزان الشعرية التي تركت أثرا موسيقيا حزينا في أذن السامع وتأثيرا في نفسه .

وأخيرا ، فإنّ التوجه الأكبر كان نحو الطويل والبسيط ، ممّا يعني أنّ هذين البحرين كانا مقصودين في توجّه مجموعة كبيرة من الشعراء لهما ، ولا أرى أنّ ذلك نتيجة الصدفة المحضة في الحالات جميعها ، وهذا ينفي رأي القرطاجني في قوله :" ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء "([1]).

وبغضّ النظر عن هذه القضية ، فإنّ الأوزان التي يتخيّرها الشعراء أو حتى ينظموا قصائدهم عليها دون ترتيب مسبق ، لها دورها في جذب انتباه القارئ ، سواء أكان البحر الذي نظمت القصائد عليه من البحور الطويلة التي تسمح للقارئ الخوض في تفاصيلها وتتميز بقدرة استيعابها للكثير من الألفاظ بوقعها وتأثيرها في نفسه ، أم البحور القصيرة التي تجذبه بقدرة الشعر على رصف معانيه الواسعة ضمن ألفاظ قليلة توصل رسالته كاملة ودون أيّ تقصير ، ليكون لكلّ قصيدة أو مقطوعة أو نتفة جرسها الموسيقيّ الخاصّ الذي اكتسبته من جمال بحرها ووزن تفعيلاتها.

2ــ القافية :

حظيت القافية باهتمام كبير عند الشعراء والعلماء بالشعر ،" فالعمليّة الشعريّة ذات وحدة لا انفصام لجانب منها عن الآخر ، وإلا فإنّ الاضطّراب لا بدّ ظاهر في القصيدة مبدّد لجهد الشاعر"([2]) . وقد قيل :" اطلبوا الرماح ،فإنّها قرون الخيل ، وأجيدوا القوافي فإنّها حوافر الشعر ، أي عليها جريانه واطّراده ، وهي مواقفه ، فإن صحّت استقامت جريته ، وحسنت مواقفه ونهاياته "([3]).

ويمثّل الروي الحرف الأساسي في القافية ،فهو " أقلّ ما يمكن أن يراعى تكرّره ،وما يجب أن يشترك في كلّ قوافي القصيدة ، ذلك الصوت الذي تبنى عليه الأبيات "([4]).

---

[1] ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**: 269.
[2] ـ التنوخي ، عبد الباقي : **كتاب القوافي** ، 32.
[3] ـ القرطاجنّي **: منهاج البلغاء** ، 271.
[4] ـ أنيس ، إبراهيم **: موسيقى الشعر** ، 247.

وقد نوّع الشعراء الأندلسيون في رثاء أبنائهم وآبائهم في رويّ قصائدهم الرثائية ، إذ نظم الحصري القيرواني على حروف المعجم كافة ، أمّا باقي الشعراء ، فقد نظموا قصائدهم على سبعة عشر حرفا ، ويبيّن الجدول التقريبي الآتي نسبة حروف الروي لشعراء الدراسة جميعا :

الرقم	حرف الروي	عدد القصائد والمقطوعات والنتف	النسبة المئوية
1	الراء	28	%9،62
2	الدال	25	%8،29
3	الميم	16	%5،49
4	النون	16	%5،49
5	اللام	14	%4،81
6	الباء	14	%4،81
7	الحاء	11	%3،78
8	الفاء	11	%3،78
9	الكاف	11	%3،78
10	التاء	10	%3،43
11	الهاء	10	%3،43
12	القاف	10	%3،43
13	السين	9	%3،09
14	الطاء	9	%3،09
15	الزاي	9	%3،09
16	العين	9	%3،09
17	الغين	8	%2،74
18	لام الألف	8	%2،74
19	الصاد	7	%2،40
20	الواو	7	%2،40
21	الظاء	7	%2،40
22			
23	الذال	6	%2،06
24	الضاد	6	%2،06
25	الشين	6	%2،06

26	الجيم	5	%1،71
27	الياء	5	%1،71
28	الهمزة	4	%0،68
29	الشين	2	%0،68
المجموع		**291**	**%100**

نلاحظ من الجدول السابق ما يأتي :

1ــ نظم شعراء الدراسة منظومهم الرثائي على الحروف الهجائية جميعها، ممّا يدلّ على تنوّع روي قوافيهم الرثائية .

2 ــ كان (الراء والدال ثم الميم والنون ثم الياء والسين واللام) من أكثر حروف الروي تكرارا عند الشعراء ، وكلها حروف مجهورة ما عدا السين ، فهو من الحروف المهموسة المرغوبة التناول من قبل الشعراء ، لما فيه من حس موسيقي ، ويمكن أن يعود السبب في كثرة تناول الحروف المجهورة ؛ لسهولة النطق بها ولميزة وضوحها.

3ــ كانت(الهمزة والطاء والكاف والهاء) من أقل القوافي التي بنى الشعراء قصائدهم عليها، وربما يعود السبب إلى أنّ الهمزة والهاء من الحروف الحلقية، فالهمزة مثلا " من أشق الحروف وأعسرها حين النطق ؛ لأنّ مخرجها فتحة المزمار"([1]). أمّا الطاء مثلا فمن حروف الإطباق (ص ،ض ، ط ،ظ) التي" تتطلب للنطق بها وضعا خاصا للّسان يحمّل المتكلم بعض المشقة إذا قيست بغيرها من الحروف غير المطبقة"([2]). وقد أثبت الشعراء أنفسهم في كلا الجانبين ، فالقصائد التي قلّ تكرار رويها جاءت طويلة ،وخاصة الهمزة ، وهو الأمر الذي لا يقلّل من شأن هذه الحروف ، وإن لم يكن حضورها في قصائد الشعراء ومقطوعاتهم متعددة كغيرها من حروف الروي التي أكثروا من توظيفها .

4ــ تميّزت بعض حروف الروي التي بنى شعراء الدراسة قوافيهم عليها بالحضور المتميز لدى بعض الشعراء ، وذلك رغم قلة تكرارها بين الشعراء كروي لقصائد مختلفة ،ممّا يعكس سعة المساحة التي شكّلها بعض حروف الروي وسعة القدرة الشعرية للشاعر نفسه ، فمثلا تكرر حرف (الفاء) رويا ثلاث مرات ، مثّل فيها رويا مهما ذا حضور جدير بالانتباه في قصيدة ابن الجنان التي تجاوزت المائة والستين بيتا ، ومنها أيضا (الياء) ، إذ مثّلت الروي الذي ارتكزت على أساسه القافية في قصيدة ابن حمديس في رثاء أبيه .

5 ــ نوّع الشعراء في حركات قوافيهم ، فكان أكثرها الكسرة ، وهي تعدّ أقوى الحركات في العربية ، إذ نظموا إحدى وأربعين منظومة رثائية ، تراوحت بين قصيدة ومقطوعة ونتفة ،

---

[1] ـ أنيس ، إبراهيم **: موسيقى الشعر** ، 28 .

[2] ـ أنيس ، إبراهيم : **موسيقى الشعر** ، 29.

غلبت فيها المقطوعات ، ثمّ كانت الفتحة ، إذ ضمّت ثلاثا وعشرين منظومة بين قصيدة ومقطوعة ونتفة ، وقد امتازت الفتحة بألف الإطلاق في معظمها ، نحو قصيدة ابن الجنان وابن أبي الخصال وقصيدة لابن الجياب وغيرها ، ثمّ كانت الضمة ، إذ نظموا عليها سبع عشرة منظومة، وأخيرا السكون ، إذ ضمّت ست منظومات ، كان منها مقطوعة لابن سارّة الأندلسي وقصيدة لعبد الملك بن بشر وأخرى لابن شكيل وقصيدتان لأبي حيان الأندلسي .

6 ــ نوّع الشعراء بين القافية المطلقة والقافية المقيّدة في رثائهم ، لكن وكما بيّنت سابقا ، كانت نسبة الرثاء المنتهي بالقافية المقيدة غير الموصولة قليلا جدا ، إذا قورن بما انتهى بالقافية المطلقة ، فربما لم يجد الشعراء فيها القدرة على التعبير وإطلاق الصرخات بحرية أكثر.

ومن أمثلة القصائد التي انتهت بالقافية المقيدة ، قول ابن شكيل في رثاء أبيه([1]): (الطويل)

ولَسْتُ ، وإنْ أنْحَى الزمــانُ بِــصَرْفِهِ عَلَيّ ونالَتْنِي صُــرُوفٌ مِــنَ المِحَــنْ

بفاقِدِ شَيءٍ من أبــي غيــرَ شَخْــصِهِ ولا بائعِ القُرْبى ببخسٍ مــن الــثمنْ

القافية مقيدة ، وحرف رويها (النون) الساكنة غير الموصولة.

ومنها أيضا قول الحصري القيرواني في رثاء ولده([2]): (الرمل)

لا أقــولُ الطّــبّ أخْطــا إنّمــا خــالفَ المِقــدارُ فيــهِ مــا اتّفَــقْ

لــمْ يُبَــدّلْ خلْــقَ رَبّــي أحَــدٌ كَــذبَ الــشيطانُ واللهُ صَــدَقْ

القافية مقيدة ، وحرف رويها (القاف) الساكنة غير الموصولة ، وكما نلاحظ فهي لا تعطي الفرصة للمدّ في النطق .

أمّا القافية المطلقة الموصولة فكانت ذات حضور متميز في الرثاء ،وذات طلّة حزينة في الوقت نفسه . " والوصل هو حرف من حروف أربعة : إمّا هاء ، وإمّا مد بالواو ، أو بالياء ، أو بالألف ، ويعدّ الوصل آخر حروف البيت في الشعر ذي الروي المطلق"([3])، ويمكن أن تعدّ الهاء رويا ووصلا إن كانت أصلية وما قبلها متحركا([4]).

ومن هنا ، فقد كثرت القوافي المطلقة في الدراسة ، وذلك في القصائد والمقطوعات والنتف ، ويمكن أن يرجع ذلك لكونها " أوضح في السمع وأشدّ أسرا للأذن ؛لأنّ الروي فيها يعتمد على حركة ما بعدها ، إذ يستطيل في الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مدّ"([5]).

---

[1] - **الديوان** :84- **الديوان** :203.

[2] - **الديوان** :203

[3] - شريف ، محمد أبو الفتوح : **أوزان الشعر وقوافيه** 193.

[4] - ينظر : شريف ، محمد أبو الفتوح : **نفسه** 194.

[5] - أنيس ، إبراهيم **: موسيقى الشعر**281.

ومن القصائد الطوال التي انتهت بالقافية المطلقة قصيدة ابن الجنّان في رثاء أبيه ، نحو قوله([1]): (البسيط)

يَسْتَنْزِلُ الطّيْرَ وابْــنَ الــيَمّ يُخْرِجُــهُ هاوٍ مِنَ الجَوّ أوْ فــوْقَ الميــاهِ طَفــا

وأعْصَمُ([2]) بالــدّرّ يُلْفيــهِ مُعْتَــصِما يُلْقيهِ في دَمِهِ المَوّارِ([3]) قدْ سَــهَفا([4])

جاء (الفاء) رويا في الأبيات السابقة في (طفا ، سهفا) ، وجاءت الألف للإطلاق ، وقد نشأت من إشباع حركة الروي (الفتحة) التي تمثل الوصل في القافية هنا ، لتكون القافية أكثر وضوحا وأكثر أثرا في نفس المتلقي، وتسمح للشاعر بالتنفيس من آثار محنته عبر مدّ القافية ، ليكون أثر الموسيقى الخارجية أشدّ أسرا وتأثيرا على الأذن.

ومن الأمثلة على القافية المطلقة أيضا ، قول أبي الوليد بن عفير في رثاء ولده([5]): (الكامل)

فَنَعِــيّ إبــراهيمَ شَــبّ بأضــلُعي لهَبًــا مَــشيبُ الــرأسِ عنْــهُ رَمــادُ

وأذمّ عُمْــري بعــدَ فَقْــدِ مُحَمّــدٍ أنْ لــمْ يَحِــنْ منْــهُ عَلَيْــهِ نَفــادُ

جاءت (الدال) في (رماد ، نفاد) رويا متحركا بالضمة ، والواو خروج نشأت عن إشباع حركة الضم على حرف الروي الدال ، وهي التي تمثل الوصل غير المكتوب ، والذي يتبيّن عند النطق بالقافية ، لتكون في التقطيع العروضي (رمادُو) ، وقد زاد هذا الإشباع من إيقاع الدال ، الذي كان مرغوبا من قبل الشعراء لاتخاذه رويا، ممّا ترك أثرا في الموسيقى الخارجية وتأثيرا لطيفا على الأذن .

ومنها أيضا قول سعيد بن الحكم في رثاء ولده([6]): (الكامل)

لو جالَ في خَلَدِ امرئٍ قــدْ أظلمَــتْ أفكــارُهُ لجَــلا دجَــى الأفكــارِ

إذن ، لا يمكن التقليل من شأن حرف المدّ ضمن القافية في فاعليّة النغمة الموسيقيّة وأثرها سواء أكان ذلك بعد الرويّ أم قبله ، وحتى إن وجد في اللفظة السابقة للقافية ، أضف إلى ذلك مقدار سعته للأحزان والآلام وكونه متنفسا للأحزان والرغبات المدفونة في نفسه([7]). وأجد أنّ حرف المد يدخل في باب رمزية الصوت الذي يكون رمزا ومدلولا دالا في الوقت نفسه([8]).

---

[1] - ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** 349 ، 340.

[2] - يقال : فرس أو ظبي أعصم : إذا كان في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . ابن منظور: **لسان العرب** ، مادة (عصم).

[3] - مار الشيء مورا : تحرك وجاء وذهب . ابن منظور : **نفسه** ، مادة(مور).

[4] - سهف القتيل : تشحّط القتيل ونزعه واضطرابه .ابن منظور : **نفسه** ، مادة (سهف).

[5] - المراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** 2 /20.

[6] - مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 56.

[7] - ينظر :صالح ، مخيمر : **رثاء الأبناء في الشعر العربي** 196 ،19.

[8] - ينظر : مفتاح ، محمد : **تحليل الخطاب الشعري** 33 - 35.

ومما سبق ، فقد كانت القافية ذات حضور بارز في الموسيقى الخارجيّة ، وقد كانت الحاجة ومدى الحسرة في النفوس ، هي الدافع في الكثير من الأحيان لسند قوافيهم بحروف المدّ ، واعتماد حروف رويّ تتناسب وقصائدهم الرثائيّة .

ب ــ الإيقاع الداخلي :

تبيّن لنا أهمّية الموسيقى الخارجيّة في القصيدة الرثائيّة ، وما لها من دور في بثّ اللهفة والشوق في نفس القارئ ، فهل كان للموسيقى الداخليّة الدور نفسه في تحريك مشاعر المتلقي وجذبه نحوها ؟

تمثّل الموسيقى الداخليّة جزءا مهمّا ، قد يكون مساويا لأهمّية الموسيقى الخارجيّة ، فبهما معا "يحسّ المتذوّق أنّ القصيدة هي هندسة مرئيّة ومسموعة أيضا "([1]) .وقد اهتم الشعراء الأندلسيون ممّن رثوا أبناءهم وآباءهم بالموسيقى الداخلية بأشكالها المختلفة ، فأكثروا من الألفاظ التي حملت أشكالا موسيقية مختلفة ألوانها ، وجاء توظيفهم لها ذا مدلول حزين في معظم المواطن التي وجد فيها . ومن أهمّ أشكال الموسيقى الداخليّة في هذه الدراسة :

أ ــ التكرار : و قال فيه ابن فارس " ومن سنن العرب التكرير والإعادة ، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"([2]) . وقد تعدّدت أشكال التكرار هنا ، فمنها ما كان في تكرار لفظة معيّنة ، أو حرف معيّن ومنها ما كان في الخطاب الشعريّ . ومن أمثلة التكرار في الألفاظ ما قال أبو حيّان الأندلسي في رثاء ابنته نضار([3]): (الطويل)

فَصِرْنا ثلاثــا ظلْمَــةً مَــعَ ظلمَــةٍ على ظلمةٍ تَتْلو لنا ظلمــةُ اللّحْــدِ

يلاحظ تكرار الشاعر للفظة(الظلمة) أربع مرات في البيت نفسه ، ممّا أعطى نغما موسيقيّا متتابعا ، حسن انسيابه في أذن السامع ، وممّا زاد من أهمّية التكرار وانتباه القارئ له ،ما قد تعنيه هذه اللفظة من معان على صلة بالظلمة (كاليأس والتشاؤم والسواد والليل الحالك والتحطم والهلاك في الحياة نفسها) ؛ لذا فإنّ النّغمة الموسيقيّة في هذه اللفظة أضفت مدلولا سوداويّا تشاؤميّا ساعد الشاعر في وصف حالته على أتمّ وجه ، وتخيّل المتلقي لها .

ومن الألفاظ التي كان لها مساحة في التكرار ضمن القصائد الرثائيّة لفظة (القبر) ، منها ما قال ابن أبي الخصال في رثاء ولده([4]): (الطويل)

---

[1] - أبو حمدة ، محمد علي : **في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عموريّة " دراسة نقديّة إبداعيّة"** 28.

[2] - **الصاحبي** : 341 .

[3] - **الديوان** : 164 .

[4] - المراكشي : ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** ، 1 / 42 .

ويَا مُودِعيهِ في الثرَى هـلْ عَلِمْـتُم بأنّ لــهُ فــي غيْــر أرْضِــكُمُ قبْــرا
نَعَــمْ كُــلّ قبْــرٍ قبْــرُهُ فــإذا بَــدَا قــرَأتُ عليــهِ مِــنْ تَــذكّرِهِ شَــطَرا

لقد ذكرت لفظة القبر في البيت الأول مرّة واحدة ، ثم عاد الشاعر ليكرّرها في البيت الذي يليه مباشرة مرّتين متتاليتين ، وقد أضفى التتابع في الترتيب في البيت الثاني (قبر ــ قبره) لحنا حزينا في صدر البيت ، كما ترك أثرا عميقا في نفس المتلقي ، الذي صار يرى القبر من زاويتين ، فهو من جهة(السجن والحاجز والجدار الفاصل والانطواء بذاته والاختفاء والنهاية الأبديّة) . وهو من جهة أخرى قد تحوّل إلى(روضة وجنة وضياء) ؛ لاحتواء الفقيد .

كما وجد التكرار في بعض الحروف ، لنجد تركيز الشعراء على حرف معيّن أو حرفين مثلا في البيت الشعريّ نفسه أو أكثر ، ليكون البؤرة التي يتركّز فيها انتباه القارئ ، فمن ذلك ما قال عبد الكريم القيسيّ في رثاء ولديه([1]): (البسيط)

وهَوْلُ مَوْتِهِما في ســاعَةٍ عَظُمَــتْ عَلَيّ سَــاعَدَ فيهــا المَــدْمَعُ الهَــتِنُ
وحالُ نَقلِهِمــا عــنْ لــينِ مُفْتَــرَشٍ لِمَغسَلٍ خَــشِنٍ مــا مِثلُــهُ خَــشِنُ

نلاحظ تكرار الشاعر لحرف الميم عشر مرات في البيتين معا ، ولحرف الهاء خمس مرات ولحرف الشين ثلاث مرات ولحرف العين خمس مرات ، أمّا حرف الميم فهو من الحروف الشفويّة التي يسهل نطقها ، وأمّا الهاء فهو من الحروف الحلقيّة التي تنطلق من أعماق الحلق والنفس ، وأمّا العين فهو حرف انفجاري واضح من السهل النطق به وتكراره، وأمّا الشين فهو حرف ثقيل في نطقه واضح أشدّ الوضوح ، وقد غطى نوعا ما بوضوحه على النغمة الموسيقيّة التي أثارها حرف الميم والهاء ، ممّا أعطى فاصلا موسيقيّا، ومنعطفا في الأحاسيس، ومدلولا على أحزان الشاعر وحسراته ، التي نجحت رغبة الشاعر اللحوحة في إبرازها ؛ للتعبير عن مقدار صعوبة تقبّل النهاية ، ومدى الألم عبر تكرار حرف الشين خاصة ، ولفظة (خشن) الممثلة لكلّ الخشونة والفظاعة وأشكالها .

كما كان للتكرار في الخطاب الشعريّ دور كبير في تكوين الموسيقى الداخليّة عبر التكرار في الخطاب ،من ذلك ما قال يوسف الثالث في رثاء ولده([2]): (المنسرح)

ويــا ولَــيّ العُهُــودِ مــا نَعِمَــتْ في وطــنِ المُلْــكِ مِنْــكَ بــالوطَرِ
يا قِطْعَةَ القلْــبِ مُــذ نأيْــتَ لَقَــدْ تركْــتَ قلبِــي للوَجْــدِ والفكَــرِ
يا قُــرّةَ العــينِ مُــذ رَحلــتَ لقــدْ خلّفــتَ عيْنَــي للــدمْعِ والــسّهَرِ

---

[1] - **الديوان** :328.
[2] - **الديوان** :77.

إنّ التكرار فيما سبق " يسير وفق آليّة واحدة ، حيث تقوم أداة النداء (يا) بدور مهمّ في إعطاء هندسة القصيدة الإيقاعيّة شكلا مميّزا"([1]) ، ليكون التلاؤم بين أداة الخطاب (يا) والألقاب التي رغب الشاعر بمناداة ولده بها ومخاطبته عبرها (ولي العهود ، قطعة القلب ، قرّة العين) ، ليكون قطعة من جسده عظم مدلولها في نفسه ، وقد زاد ذلك من أهمية التكرار السابق في الخطاب . " وبهذه الآليّة تشكّل النص ، حيث تتناصّ الأفكار من خلال ترابط معانيها عن طريق التكرار الذي تؤدي فيه المفردة اللغويّة دلالتها داخل كلّ بيت ، ثم تؤول هذه المفردات داخل النصّ بأسره ،لتتحوّل إلى علامة جديدة لتصبح مدلولا ودالا في الوقت نفسه"([2]).

ب ــ التجنيس : " وهو أن يورد المتكلّم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها ، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى .. ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى"([3]). وقد كان الجناس الناقص من أكثر أنواع الجناس المطروحة في أشعار الدراسة ، وربما يكون السبب في ذلك سهولة اشتقاق اللفظة من الأخرى ورغبة الشعراء التأكيد على اللفظة الأولى التي وقع فيها الجناس ، وقد كانت قصيدة ابن الجنّان غنيّة بالجناس الناقص .

ومن الجناس قول ابن الجنّان في رثاء أبيه([4]): (البسيط)

وخَــاطَبَتْنِي خطُــوبُ الــدّهْرِ مُعْلِنَــةً بالرّزْءِ كَيْمَــا أبُــثّ البَــثّ واللّهَفــا

وقع الجناس بين لفظتي (خاطبتني ، خطوب) ، (أبثّ ، البثّ) ، وقد حمل الجناس في ثناياه جرسا موسيقيّا ، وذلك عبر اشتقاق الاسم من الفعل نفسه وإعطاء كلّ منهما لمسة خاصّة تشدّ التركيز إليها ، فمثلا زاد من وقع الجرس الموسيقيّ للفظتي (خاطبتني ، خطوب) احتواء اللفظتين على حرف مدّ ، تمكّن من تهويل الشاعر لأحداث الدهر التي وجّهت صفعتها إليه . أمّا (أبثّ ، بث ّ) فقد زادت الشدّة على آخر الكلمتين من حدّتها ، فتركت أثرا حادّا في نطق اللفظة للدلالة على نفسيّة الشاعر من ناحية أخرى .

ومن الجناس الذي تشابهت لفظتاه واختلف معناه ، ما قال يوسف الثالث في رثاء ولده([5]):

(مجزوء الرمل)

---

[1] ـ يوسف ، عبد الفتاح : **فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعريّ للنقائض " نمط خاصّ من الوعي بالآخر " مجلة فصول** ، العدد62 ، 2003م ،40.

[2] ـ يوسف ، عبد الفتاح : **فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعريّ للنقائض " نمط خاصّ من الوعي بالآخر " مجلة فصول** ، العدد62 ، 2003م ، 40

[3] ـ أبو هلال العسكري : **الصناعتين** ، 353 وينظر أيضا : الخطيب التبريزي **: الكافي في العروض والقوافي** ، 172 - 174.

[4] ـ ابن المرابط : **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ، 338.

[5] ـ **الديوان** :156 .

غيْـــــــرَ أنّ المـــــــوتَ إذْ يَتَلاقـــــــى بـــــــالنّفوسِ

كُـــــلّ مَـــــرْؤُوسٍ يُـــــرَى فـــــي يَدَيْـــــهِ وَرَئـــــيسِ

وقع الجناس بين لفظتي (مرؤوس ، رئيس) ؛ ليعطي صنعة فنّية وبديعا في الألفاظ، إضافة لدلالة تساوى العبد فيها وسيّده في ملعب الموت .

ومن أهمّ الألفاظ التي وجدت الجناس فيها ، والتي حرص شعراء عديدون على ذكرها في الدراسة لفظتي (المشيب والشيب) ومشتقاتهما ، كان منهم([1]) الحصري القيرواني الذي قال في رثاء ولده([2]): (الخفيف)

كـــانَ شَـــيْبِي بـــهِ شَـــبابًا فَلَمّـــا بَـــانَ عَنّـــي رَدّ الـــشّبابَ مَـــشيبَا

إنّ اتفاق الشعراء في المجانسة بين الألفاظ الدالة على الشباب والألفاظ الدالة على الشيب ، يؤكّد تقارب الأفكار بين الشعراء الراثين ، سواء أكان الأب أم الابن، ويصوّر الفطرة الربانية التي جبل عليها الإنسان من حبّ للشباب وبغض للشيب، وقد زاوج معظم الشعراء بين شبابهم وشيبتهم ؛ لأنهم أدركوا الشيب وعاشوا الشباب من خلاله ؛ لوجود أبنائهم في حياتهم ، فلمّا فقدوهم عادوا إلى الشيب وعانوا فيه. ولا أعتقد أنّ المشيب المقصود محصور على مشيب الرأس والشيخوخة ، بل امتدّ ليكون مشيب القلب قد تحقق بما فيه من يأس يملؤه، وهذا يعني " أنّ قيمة الشيب ليست معنويّة فحسب ، بل هي قيمة مادية يتلمّس الشاعر حضورها في نفسه وكأنّ الشيب علامة للموت الذي أخذ ينتشر في حياة الشاعر بكلّ متعلّقاتها" ([3]). و لعلّ الموت المقصود هنا ، شعورهم بالموت في الحياة نفسها ، وهو من الأسباب الدافعة لهم لذكر الشيب أيضا .

ومن الجناس التام قول الحصري القيرواني في رثاء ولده: ([4]) (مجزوء الخفيف)

بـــــأبي الـــــصادقِ الـــــذي كـــــانَ إنْ قـــــالَ أوْجَـــــزا

وإذا نلتـــــــــهُ يـــــــــدًا قـــــامَ بالـــــشّكْرِ أوْ جـــــزَى

إنه يجانس بين (أوجزا ، أو جزى) ،إذ حملت كلا اللفظتين الحروف نفسه والترتيب نفسه والحركات نفسها،لكن بمعنيين مختلفين ، فاللفظة الأولى جاءت بمعنى (المختصر)والثانية

---

[1] - ينظر : ابن حمديس ، **ديوانه** 366 و عباس ، إحسان : **معجم العلماء و الشعراء الصقليين** (أبو محمد القاسم التميمي يرثي ولده) 167. و ينظر : ابن شكيل ، **ديوانه** 83 : وينظر: الحصري القيرواني **: ديوانه**، 242 .

[2] - **الديوان** : 83.

[3] -إبراهيم العدوان ، أحمد وجميل عكاشة ، رائد : **جدليّة الحياة والموت في معلّقة عبيد بن الأبرص ، قراءة تحليليّة نصيّة** ، المجلة الأردنية ، مج 2 ، 2009م ، 97 .

[4] - **الديوان:** 136 وللنظر في أمثلة أخرى عن الجناس ، ينظر :**ابن حمديس** : ديوانه 364 ، 365 ، 366 والمعتمد بن عباد **: ديوانه** : 68 ، 69 ، 70 ،105

بمعنى(العطاء) ، وهو ما يدفع المتلقي إلى البحث عن الفرق بين اللفظتين ، وقد ترك الجناس هنا حسّا موسيقيا في أذن المتلقي كان ذا تأثير معنوي واضح ، لا يتخلّله التكلف.

ج ــ التصريع : وهو " تصيّر مقطع آخر المصراع الأوّل في البيت الأوّل من القصيدة مثل قافيتها "([1]) وللتصريع أثره الواضح في تشكيل الموسيقى الداخلية للقصيدة ، " فاستخدامه في أوّل قصائد الشعر ومطالعه يدلّ على عناية الشعراء بهذه المطالع بوصفها أوّل ما يصافح السمع ، ومنها يستدلّ على مقدار تجويد الشاعر ، كما أنّ له دورا محمودا في تشويق النفوس وتحريكها لسماع الشعر "([2]) .

وقد ذكرت الكثير من الأبيات الشعرية التي احتوت التصريع عبر الفصول الأولى ، لكني سأعطي فكرة أوضح عبر أمثلة أخرى ،من ذلك ما قال الحصري القيرواني في رثاء ولده([3]): (الخفيف)

نَيّــــراتُ الأيّـــــامِ بَعْـــدَكَ حُلْـــكُ وحَيـــــاةُ الغريـــبِ دُونَـــكَ هُلْـــكُ

كان للتصريع في هذا البيت دور مهم في جذب المتلقي من الناحيتين الموسيقية والدلالية ،إذ إنّ لفظتي (حلك ، هلك) على صلة وثيقة من حيث الموسيقى والتناغم الذي بدا واضحا بين الألفاظ في الضرب والعروض من جهة ، ومن حيث المدلول اللغويّ من جهة أخرى ، فالحلك والسواد والظلام صارت سببا للهلاك ، وسببا لعيشة الضنك ، ليصير الشاعر غريبا في الحياة نفسها التي تنعّم بإشراقة ولده فيها من قبل .

ومن التصريع ما قال يوسف الثالث في رثاء ولده([4]): (الخفيف)

سَـــألونَا عَمّـــا لَـــدَيْنا اخْتِبَـــارَا فأجَابَـــتْ مِنّـــا النّفـــوسُ اعْتِبـــارَا

وقع التصريع بين لفظتي (اختبارا ، اعتبارا) ، الأمر الذي ترك فضولا في نفس المتلقي لمعرفة السؤال المطروح والجواب الذي سيكون واضحا بعد الاطلاع على الأبيات التي تلي هذا المطلع ، إضافة إلى تأثيرها ووقعها الموسيقي في النفوس .

وقد تبيّن لي بعد دراستي لحجم التصريع وحضوره في رثاء الأبناء والآباء ، أنّ معظم القصائد الطوال قد ابتدأت مطالعها بالتصريع ، منها مثلا : قصيدة ابن الجنان وابن شكيل وابن الجياب وسعيد بن الحكم وابن يامين وابن أبي الخصال ومحمد بن جبير الكناني

---

[1] ـ قدامة بن جعفر : **نقد الشعر 19**

[2] ـ سليمان ، سعد : **لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني** ، 245.

[3] ـ **الديوان** : 147.

[4] ـ **الديوان** : 86 .

وابن رشيد الفهري ،ومعظم قصائد أبي حيان الأندلسي ، ومعظم قصائد ديوان الحصري القيرواني، إضافة إلى القصائد المتوسطة الطول ، فقد جاء أغلبها مصرّعا أيضا ، مثل : قصيدة ابن مطروح وأبي الوليد بن عفير وأبي محمد القاسم التميمي وغيرهم ، بينما قلّت نسبة التصريع في المقطوعات القصيرة .

وما سبق يؤكد أنّ الشعراء الذين نظموا القصائد الطوال حرصوا على التصريع وترك أثره في النفوس ، ليتخذوا من مطلع القصيدة مفتاحا يفتتحون به منتوجهم الرثائي ، تكون فيه سمة المرونة والجرس الموسيقي الذي يسلب الأذهان إليه .

أمّا المقطوعات ، فربّما قلّ فيها التصريع ؛ لأنّ أغلبها جاء عفويا في لحظة الحدث ، ودون ترتيب ذهنيّ مسبق ، لكنّ ذلك لم يمنع أن يكون من الشعراء من حرص على التصريع في رثائه ، مثل ابن عبد ربه ، إذ إنّ المطّلع على ديوانه يلاحظ أنّ هذا الشاعر قد حرص كلّ الحرص على بدء قصائده المتوسطة ومقطوعاته جميعا بالتصريع ، وكأنه يسير وفق آلية ممنهجة حريصة على ألوان الموسيقى التي بدت حزينة نادبة في رثائه .

د ــ الترصيع :

وهو " أن يتوخّى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف " ([1]) . "وأصله من قولهم رصعت العقد إذا فصلته"([2]) ، و"الحسن منه ما لم يتكلف فيه السجع ولم يتوخّ الموازنة "([3]) وقد كان من أقل أشكال الموسيقى الداخلية الموجودة في أشعار الدراسة ، وربما يرجع السبب في ذلك لكونه يحتاج تركيزا أكبر في جلب الألفاظ التي تشكّل الموازنة الصوتية بين صدر البيت وعجزه .

ومن الأمثلة على الترصيع قول ابن يامين في رثاء ابنته وابنها([4]): (الوافر)

نَعيمـــي بعـــدَ صَـــدْعَتِها غـــرامٌ وَنَـــوْمي بَعْـــدَ صـــدْمَتِها غِـــرارُ

على صَـدْعٍ أصـابَ بهـا فـؤادي بُنَيّـــكِ لا يُخـــالُ لـــه انْجِبـــارُ

أظهر الشاعر عبر الترصيع في البيت الأول موازنة صوتية أشبه بالسجع ، وقد بدت الموازنة الصوتية واضحة على النحو الآتي : بين (نعيمي) و(نومي) وبين (بعد

---

[1] - قدامة بن جعفر : **نقد الشعر، 14** .وقد كان الترصيع من أقل أشكال الموسقى الداخلية وجودا في أشعار الدراسة .

[2]- أبو هلال العسكري: **الصناعتين**، 416

[3] - أبو هلال العسكري : **نفسه**، 421

[4] - مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 47.

صدعتها) و(بعد صدمتها) وبين (غرام) و(غرار) ، مماّ ترك نغمة موسيقية تحلو للأذن ، ولا تخلو من الحزن في الوقت نفسه .

ومن الأمثلة على الترصيع أيضا ، قول أبي محمد القاسم التميمي في رثاءولده([1]): (الوافر)

وأعطَتنـــي بـــهِ الـــسّلْمَ الأعـــادي وأضـــحَكَني بـــه الـــدهرُ القطـــوبُ

نلاحظ الترصيع عبر الموازنة الصوتية المتناسقة بين الصدر والعجز ، وقد جاء الترصيع بين (وأعطتني به) و(أضحكني به) وبين (السلم) (الدهر) وبين (الأعادي) و(القطوب) ، وقد ترك الترصيع أثره الموسيقي العالي الحس في بيت القصيد .

هـــ ــ حسن التقسيم : وهو " ما يقوم على تقسيم الكلام قسمة مستوية على أساس الوزن ، بحيث تحقق الكلمات المقسّمة دورا موسيقيا وجرسا يترك أثره في القصيدة ، وبالتالي في النفوس"([2]) .

ومن أمثلة التقسيم قول الحصري القيرواني في رثاء ولده([3]): (مخلّع البسيط)

نِعْـــمَ الثـــوابُ الـــذي جـــزاهُ بِحُـــسْنِ صَـــبْرٍ علـــى امتحـــانِ

نَـــزْفُ دَمٍ ، وانتهـــاك ســـقمٍ وبُعْـــدُ أمّ ، وقـــرْبُ شـــانِ

برز اهتمام الشاعر بالحسّ الموسيقي فيما سبق ، وذلك عبر حسن التقسيم في البيت الثاني ، إذ قسّم محنة ولده في جمل متتابعة متساوية في لفظها وإيقاعها (نزف دم) و (انتهاك سقم) و (بعد أم) و (قرب شان)، فبيّن الأسباب التي أودت بحياته في إيقاع صوتي موسيقي حزين ، يوحي بنغمة حزينة لا يمكن التهاون بها .

ومن ذلك قول الشاعر نفسه أيضا في وصف ولده([4]): (مخلّع البسيط)

نـــامِي الهُـــدى ، واضـــحُ المُحَيّـــا صَدَقُ([5]) الحِجـــا ، صـــادقُ اللـــسانِ

نهـــــــارهُ لا تَـــــــراهُ إلا مُرَتّـــــلَ الـــــذكرِ وَالمَثـــــانِي

يلاحظ حسن التقسيم في البيت الأول ، وما ترك من إيقاع صوتي مؤثر ، بما حمل من عبارات نسّقت وقدّمت بأسلوب يؤكد قدرة الشاعر في التأليف الموسيقي لكلمات قصيدته ،

---

[1] - عباس ، إحسان : **معجم العلماء والشعراء الصقليين** ، 167

[2] - : أبو هلال العسكري : **الصناعتين** ، 375 .

[3] - **الديوان** : 264.

[4] - **نفسه** : 264 .

[5] - الصّدْق: الكامل من كل شيء. ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (صدق) . وقد جاءت هنا بمعنى كامل العقل.

إذ قسّم صفات فقيده كما يلي : (نامي الهدى) و(واضح المحيا) و(صدق الحجا) و(صادق اللسان) ، ووجد التتابع والترابط متينا بينها ، كما برز الأثر الموسيقي لحسن التقسيم في الأذن .

ومنه قول ابن الجياب في رثاء ولده وتعداد صفاته الحميدة([1]): (الكامل)

للَــهِ ذاكَ القبــرُ مــاذا ضَــمّ مــن فَــضْلِ الحُجَــى ومَحاسِــنِ الآداب

يبدو اهتمام الشاعر بالموسيقى الداخلية واضحا عبر تقسيم العبارات التي تضمنت صفات الفقيد تقسيما متناسقا على النحو الآتي: (فضل الحجى) و(محاسن الآداب)، وقد ترك التقسيم مصدرا للحس بالموسيقى الداخلية من قبل المتلقي لهذه الأبيات .

[1] - الحبّازي ، مشهور : **ديوان ابن الجياب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 1982 / 1983 م ، 157.وللنظر في أمثلة أخرى تمثل حسن التقسيم ، يمكن الرجوع إلى الحصري القيرواني : **ديوانه** 237 وابن الخطيب : **ديوانه** ، 413/1.

خاتمة

قدّمت دراسة موضوع رثاء الأبناء والآباء في الشعر الأندلسي بعد تحليل معانيها وأفكارها وفهمها فهما ساعد في الموازنة بين طرفي الدراسة نتائج عدّة ، وهي :

ــ تفوّق الآباء على الأبناء في ساحة الندب ، فقد تميز الآباء بالعفوية والصدق الخالص في الندب ، وهي نتيجة طبيعية لما ترك المتوفّون من غصّة في نفوس آبائهم ، في حين أبدى الأبناء حرصا شديدا عبر ندب آبائهم على نيل رضاهم وردّ جميلهم في الدنيا ، ليكون لهم غاية من ندب الآباء والوفاء لهم ، على عكس الآباء ممّن رثوا أبناءهم بعيدا عن أي مقصد سوى الحسرة .

ــ تقاعس الأبناء في تأبين الشهادة لآبائهم ، فلم يحتسبوا الشهادة بابا للعزاء ولا مفرّا للأحزان أو سبيلا للتخفيف منها ، نتيجة انجرافهم وراء مشاعر الغضب والاقتصار على ما يملأ نفوسهم من مشاعر متضاربة ، في حين نجح الآباء في إبراز هذه الخصلة وإعطائها ما تستحق من مكانة رفيعة عبر رثائهم .

ــ أثبتت الدراسة سعة المساحة المتاحة أمام الآباء في رثاء أبنائهم الصغار وفي رثاء بناتهم أيضا ، إذ كثرت المعاني المتكررة والمتنوعة الخاصة بهم .

ــ أثبتت الدراسة حرص الآباء في الفترة الأندلسية على تعليم بناتهم مثل أبنائهم ،وإدراكهم أهمية العلم منذ زمن بعيد ، وأنها ليست ظاهرة حديثة العهد ، ممّا ينقل صورة لثقافة منفتحة تشارك فيها المرأة والرجل بدعم فئة من الآباء الحريصين على طلب أبنائهم العلم في المجتمعات الأندلسية ، بعيدا عن كل أشكال التمييز بين الأبناء الذكور والإناث .

ــ لم يتصنّع الأبناء الأقوال والأفعال في تأبين آبائهم ، بل توجّهوا إلى الموجود فعلا في آبائهم والتزموا الصدق والواقع في تأبينهم ، ولم يكن التهويل والتعظيم غرضا مقصودا في رثائهم ، في حين وجدت التصنع وتحميل التأبين أكثر من واقعه في تأبين الآباء لأبنائهم ، كما بدا حرصهم على التهويل والتعظيم والمبالغة والإطناب والتفصيل في معظم مواضع التأبين .
ورغم أنّ الأبناء قد انطلقوا في تأبين آبائهم من حاضر افتقدوا آباءهم فيه إلى ماض رفيع افتخروا به ، إلا أنّ الصدق والواقعية كانا شعارا لهم ، في حين انطلق الآباء في أحيان كثيرة

من حاضر مرير إلى مستقبل لم يكن في ساحة التأبين ، ممّا أبعد الصدق والواقعية عن تأبينهم لأبنائهم .

ــ طغت المعاني الموجّهة لوصف الحياة والموت أكثر عند الأبناء منها عند الآباء ، نظرا لفتور مشاعر الأبناء النادبين ، ممّا ترك لهم خيار التوجّه إلى الحياة والموت وإعطائها مساحة لا تقل في الأهمية عن مساحة الندب والتأبين ، وقد تفوّهوا بها بعد نضوج فكري في معالجة هذا الموضوع .

ــ نجح بعض الآباء والأبناء في إعطاء الموت جوّا فلسفيا لا يخلو من الجدل والتعقيد ، وكان أهمهم ابن الجنّان من الأبناء والحصري القيرواني من الآباء ، وقد انفردا في الحديث عن بداية خلق الإنسان ونهايته ، إضافة إلى طرح ابن الجنّان قضية الروح والجسد لغزا محيّرا عبر الرثاء .

ــ اتّسم موضوع الحياة والموت بصفتي العموم والشمولية ، إذ جاء حديث الآباء والأبناء عنه في معرض للإنسان بشكل عام وللأمم السابقة دون خصوصية ، حتى إنّ التساؤلات ضمن أبياتهم الشعرية وجّهت للمجهول الذي تمثّل بابن آدم ، ولم يركز الشعراء فيها على مصيبتهم بحدّ ذاتها .

ــ غلبت الصورة الحسية بأنواعها على نظيرتيها العقلية والإيحائية ، إذ فاقت نسبتها كل الصور الأخرى ، نتيجة تشارك الحواس جميعا في تشكيلها واعتماد الشعراء عليها بشكل رئيس وخاصة ما اعتمدوا فيها على حاسة البصر .

ــ أثبتت الدراسة وجود علاقة بين موضوع الرثاء والوزن العروضي ، فقد توجّه العديد من الشعراء إلى البحر الطويل والبسيط ، لما في هذه البحور من مساحة للألفاظ وسعة، لكنّ هذا الحكم لم يكن عامّا وشاملا ، ممّا يعني أنّ القصد في تخيّر الوزن العروضي المناسب ، لم يكن هدفا مقصودا للشعراء جميعا ،لينفي ذلك صفة الشمولية عن العلاقة الرابطة بين الموضوع والوزن ، ولا ينفي وجود شيء منها .

ــ حرص الشعراء على الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية ؛ لبثّ أثرها الحزين في نفس المتلقي ، وقد نجحت الأوزان والقوافي وما اعتمدوا من تكرار وتصريع وترصيع وحسن للتقسيم في نقل الرتابة الموسيقية الحزينة من نفس الشعراء إلى القصائد وبالتالي إلى من يتلقاها .

وأخيرا ، فإني أرجو التوفيق من الله العلي القدير .

ملحق

تعريف بشعراء الدراسة

1 ــ ابن الأبّار(ت 658)هــ :

هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله الحافظ العلامة القضاعيّ البلنسيّ ، إمام في العربية وفقيه، له يد في البلاغة والإنشاء في النظم والنثر ، له مصنفات عديدة في الحديث والتاريخ والأدب ، ولد سنة 595 هــ ، وقتل مظلوما بتونس سنة 658 هــ .وقد رثى ولده بنتفة تألفت من بيتين فقط .

تنظر ترجمته في : الغبريني ، أبو العباس : **عنوان الدراية** 309 ــ 313 والصفدي، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات** 355 ــ 356 والكتبي ، ابن شاكر : **فوات الوفيات** 3 / 404، وقد جمعت أشعار هذا الشاعر في ديوان واحد بتعليق من عبد السلام الهراس . ويمكن التعرف أكثر إلى هذا الشاعر بالرجوع إلى : فليفل ، حسن : **ابن الأبار ، حياته وشعره** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية 1982م .

2 ــ إدريس بن إدريس (ت 213)هــ :

هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ، قوي أبوه حتى ملك جميع المغرب الأقصى ، أمّا إدريس ابنه فقد ولي أخوه الإمامة بعد أبيه ، وحصلت لإدريس مملكة سنية، وخطب لنفسه بالخلافة ، وكان شاعرا فصيحا ، توفي سنة 213 هــ . وقد رثى أباه أيضا بمقطوعة تألفت من خمسة أبيات .

تنظر ترجمته في : الصفدي ، صلاح الدين: **الوافي بالوفيات** 8 / 314 ، 315 ، 319 وابن خلدون : **تاريخه** 4 / 14 ،15.

3 ــ إسماعيل بن بدر (ت 351)هــ :

هو أبو بكر ، إسماعيل بن بدر بن إسماعيل ، كان مولى نعمة لبني أميّة ، وولي بإشبيلية للناصر عبد الرحمن بن محمد ، وكان أثيرا لديه ونادما له ، عاش إلى دولة ابنه الحكم المستنصر بالله ، وقد حمل عنه الحديث، وذكر أنّ صناعة الشعر غلبت عليه ، وكانت سنة وفاته (351) هــ . ورثى ولده بخمسة أبيات .

ترجمته من : ابن الفرضي ،**تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس** 1/ 80 و : ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 1/ 254.

4 ــ ابن البراء التجيبي :

هو أبو العباس ، أحمد بن محمد بن عبد الله بن البراء التجيبي من أهل الجزيرة الخضراء ومعدود في المجيدين من الشعراء ، وله ديوان نظم ونثر كبير ، فارق وطنه وهو صغير منتزها إلى بلاد الصحراء وممتدحا من كان بها من الأمراء ، لم تذكر سنة وفاته ، وقد جعلته في هذا العصر ؛ لأنّ أباه محمد بن البراء توفي في حدود الخمسمائة .وقد رثى أباه بنتفة تألفت من بيتين فقط .

ترجمته من : ابن الابّار : **تحفة القادم** 15 ، 16 والصفدي : **الوافي بالوفيات** 8 / 26 ، 27.

5ــ الجليس بن الجبّاب(ت 651)هــ :

هو عبد العزيز بن الحسين بن الجبّاب الأغلبيّ السعديّ الصقليّ المعروف بالقاضي الجليس أبو المعالي ، سمّي الجليس ؛ لأنه كان يعلّم الظاهر وأخويه أولاد الحافظ القرآن الكريم والأدب ، وكانت عادتهم تسمية مؤدّبهم الجليس ، تولّى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفّق ابن الخلال ، توفي سنة 561 هــ ، وقد اقترب إلى السبعين من عمره ، وقد رثى أباه بمقطوعتين كان مجموع أبياتهما معا ثمانية أبيات .

تنظر ترجمته في : الكتبي ، ابن شاكر : **فوات الوفيات** 2 / 332 .

6 ــ ابن الجنّان (ت 650)هــ:

هو محمد بن أحمد الأنصاري ، من أهل مرسية ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الجنّان ، كان محدّثا راويا ، كاتبا بليغا شاعرا بارعا ، استكتبه بعض أمراء الأندلس ، فكان يتبرّم من ذلك ويقلق ثمّ خلّصه الله تعالى منه ، خرج من بلده مرسية سنة 640 هــ ، واستقرّ بأريولة ثمّ توجّه إلى بجاية ، وتوفي بها سنة 650 هــ .وقد رثى أباه بقصيدة طويلة احتوت مائة وواحدا وسبعين بيتا .

ترجمته في : ابن الخطيب : **الإحاطة** 2 / 348 ــ 359 و الغبريني: **عنوان الدراية**، والمقّري : **نفح الطيب** 7 / 415 وما بعدها . ويمكن الرجوع إلى : ابن المرابط : **زواهر الفكر في جواهر الفقر** ، 337 ــ 353 وقد جمعت أشعاره في ديوان واحد بعنوان : **ديوان ابن الجنّان الأنصاري الأندلسي** ، تحقيق منجد مصطفى بهجت .

7ــ ابن الجيّاب (ت 749)هــ:

هو أبو الحسن بن الجيّاب الأنصاري الغرناطي ، رئيس كتّاب الأندلس ، من مشايخ لسان الدين بن الخطيب ، اختصّ به اختصاصا تامّا ، وأورثه رتبته من بعده وعهد بها إليه ، وتدرّب بذكائه حتى استحقّ أزمّته ، ولد بغرناطة سنة 673 هــ وتوفي سنة 749 هــ . وقد رثى ولده بقصيدتين طويلتين كان مجموع أبياتهما معا أربعة وستين بيتا .

تنظر ترجمته في : ابن الخطيب : **الإحاطة** 4 / 125 و المقري : **نفح الطيب** / 434، 445 و : **أزهار الرياض** ، 1 / 192 وللتعرف أكثر على هذا الشاعر يمكن الرجوع إلى : الحبّازي ، مشهور : **ديوان أبي الحسن بن الجيّاب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 1982/ 1983م

8 ــ **أبو الحسن علي وأبو محمد :**

هما أبو الحسن علي وأبو محمد عبد الله بن أبي الحسن ، أولاد عبد الملك بن عياش ابن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي ، من قرطبة وأصلهم من سلفه من يابرة ، وقد رويا عن أبيهما الذي كان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا ، لم أعثر على ترجمة خاصة بهما، واعتمدت في التعريف بهما ما جاء في ترجمة أبيهما ، وقدّرت أن يكونا في هذا العصر ؛ لأنّ أباهما توفي سنة 568 هــ .وقد رثيا أباهما بمقطوعتين كان مجموع أبياتهما معا ستة أبيات .

اعتمدت في الترجمة : المراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** 26/5 ــ 29 .

9 ــ الحصري القيرواني (ت388)هــ:

هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضرير ، شاعر مشهور ، كان صاحب تصنيفات وتأليفات كثيرة وإحسان في النظم ، خرج إلى جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه بالقيروان ، فتاهدته ملوك طوائفها وتنافسوا فيه ، كان مشهور اللسان ، محبّا للهجاء متوجّها نحوه، وتوفي بطنجة سنة 488هــ .وقد رثى هذا الشاعر ولده في ديوان كبير بدأ من صــ 78 ــ 281، تألف من مائتين واثنتين بين مقطوعة وقصيدة ، إضافة إلى مقطوعتين قالهما في رثاء أبيه من خارج الديوان أيضا .

تنظر ترجمته في : ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** ق4 / مج1 / 245 ، 246 . وابن خلكان : **وفيات الأعيان**3 /331 ــ334 ،والحموي : **معجم الأدباء** 13،14 / 39 ــ40. ويمكن الاطلاع على أشعاره في رثاء ولده بالعودة إلى ديوانه بعنوان : **المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح .**

10 ــ الحكم بن أحمد :

هو الحكم بن أحمد بن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، كان من نبهاء المروانيين بقرطبة ، وكان له طبع معين في قرض الشعر ، ولم تذكر سنة وفاته ، لكني وضعته في هذا العصر ، لأنّ أخاه عمر توفي سنة 315 هـــ ، وقد رثى ابنه بمقطوعة تألفت من ثلاثة أبيات .

ترجمته في ، ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 1 / 213 ، 214 .

11 ــ ابن حمديس(ت572)هـــ :

هو أبو محمد ، عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزديّ الصقليّ الشاعر المشهور ، دخل إلى الأندلس سنة 471 هـــ ، ومدح المعتمد بن عباد فأعطاه الكثير ، توفي سنة 527 هـــ بجزيرة ميورقة ، ودفن إلى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور ، وكان قد عمي ، وقيل دفن ببجاية ، وله أشعار تدلّ على أنه بلغ الثمانين من عمره . وقد رثى ابنته بقصيدة طويلة بلغت أربعين بيتا ، ورثى أباه بقصيدة طويلة أيضا احتوت ثلاثة وثلاثين بيتا .

تنظر ترجمته في : ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** ق4 / مج 1 / 320 وابن خلكان : **وفيات الأعيان** 3 / 212 ــ 215 . و قد جمعت أشعاره في ديوان واحد ، بعنوان : **ديوان ابن حمديس الصقلي** ، صحّحه وقدّم له إحسان عباس .

12 ــ أبو حيان الأندلسي (ت745)هـــ :

هو محمد بن يوسف بن علي الشيخ أثير الدين ، أبو حيّان ، ابن أبي الحجّاج ، النّفزيّ الأندلسي الجيّانيّ الأصل ، الغرناطيّ المولد ، تبحّر في علم القرآن والحديث والعربية واللغة والأدب والتاريخ ، ونظم القريض والرسائل ، ولد بغرناطة سنة 654 هـــ وتوفي سنة 745 هـــ ، ودفن بالصوفية خارج باب النصر من القاهرة . وقد رثى ابنته باثنتي عشرة قصيدة إضافة لقصيدة أخرى جمع بينها وبين ابنه حيان ، وبلغ مجموع أبياته الشعرية معا مائة وثمانين بيتا . تنظر ترجمته في : المقري : **نفح الطيب** 2 / 535 ــ 584 والمقريزي، تقي الدين : **كتاب المقفّى الكبير** 503 ــ 507 .ويمكن الرجوع إلى ديوانه بعنوان : **ديوان أبي حيان الأندلسي** ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي .

13ــ ابن أبي الخصال(ت 540)هــ :

هو محمد بن أبي الخصال ، أبو عبد الله ، واسمه مسعود بن طيب بن خلصة الغافقي، ذو الوزارتين ، سكن قرطبة ، وأصله من قرية بشقورة ، وهي فرغليط ، وبها نشأ ، وفيها طلب العلم والأدب ، فكان إماما بليغا محدّثا وكاتبا ، ولد سنة 465 هــ وقتل سنة 540 هــ. وقد أطنب صاحب المقتضب في وصفه ، وقد رثى ولده بقصيدة طويلة وصلت إلى أربعين بيتا.

تنظر ترجمته في : أبو عمرو عثمان بن علي الشلبيّ : **المقتضب من سمط الجمان وسقط الأذهان**40 ، 41 . وابن دحية : **المطرب** 187 ــ 189 ، وابن الأبّار : **المعجم** 152 ابن الخطيب : **الإحاطة** 2 / 388 ، 389 ، 416 ويمكن الرجوع أيضا إلى : **رسائل ابن أبي الخصال** ، تحقيق محمد رضوان الداية .

14 ــ ابن الخطيب(ت 776)هــ :

هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانيّ اللوشيّ الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، ذو الوزارتين ، الشهير بلسان الدين بن الخطيب ، وزير مؤرخ وأديب كاتب ، ولد ونشأ بغرناطة، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ثمّ ابنه الغني بالله محمد من بعده ، وقد قتل خنقا في سجنه سنة 776 هــ ،وقد رثى أباه بمقطوعة تألفت من أربعة أبيات وقصيدة تألفت من ثمانية عشر بيتا .

ترجمته من : المقري : **نفح الطيب** 5 / 8 ــ 12 **وأزهار الرياض** 1 / 186 ــ 190 ويمكن التعرف أكثر إلى هذا الشاعر بالرجوع إلى ديوانه بعنوان : **ديوان لسان الدين بن الخطيب** السلماني ، صنع وتحقيق محمد مفتاح .

15 ــ ابن خلصة الضرير(ت470)هــ :

هو محمد بن خلصة أبو عبد الله النحوي الشذوني ، نزيل دانية ، كان كفيفا من كبار النحاة والشعراء ، أخذ عن ابن سيده ، وبرع في اللغة والنحو ، وشعره مدوّن ، توفي سنة 470 هــ أو ما قبلها ، وقد رثى أباه بمقطوعة قصيرة تألفت من خمسة أبيات.

تنظر ترجمته في : ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** 1/3 / 322 ــ 323 و الصفدي ، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات** 3 / 42.

16 ــ أبو الربيع الداني(ت 631)هـ :

هو سليمان بن أحمد بن علي بن أبي غالب ، من بيت مشهور بدانية ، سكن مرّاكش ، كان أبوه أبو جعفر قاضيا بمالقة ، تعلّق سليمان بطريقة الكتابة ، فأبلى فيها شبابه ، ثمّ مال إلى طريق التوثيق ، توفي سنة 631 هـ . وقد رثى أباه بثلاث مقطوعات كان مجموع أبياتها معا تسعة عشر بيتا.

تنظر ترجمته في : ابن سعيد المغربي : **اختصار القدح المعلّى** 123 ، 124 والصفدي : **الوافي بالوفيات** 15 / 346 ، 347 وابن خميس : **أدباء مالقة** 372 .

17 ــ أبو الربيع الموحّدي (604)هـ :

هو الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن المؤمن بن علي ، أحد أمراء دولة بني عبد المؤمن ، تولى بعض الولايات ، تولى أمر بجاية حتى دخلها علي بن إسحاق بن غانية ، وتولى ولاية تلمسان ، توفي سنة 604 هـ .وقد رثى ولده بثلاث قصائد متوسطة الطول كان مجموع أبياتها الشعرية معا 36 بيتا . ترجمته في : ابن سعيد الأندلسي : **رايات المبرّزين** 241 (الحاشية) ، ويمكن الرجوع أيضا إلى : **ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحِد** ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرين .

18 ــ ابن رشيد الفهري(721)هـ :

هو محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري ، من أهل سبتة ، ولد فيها سنة 657 هـ ، قرأ بسبتة وتفقه في العربية ، وكان على حظ عال في علوم الرواية والإسناد والحفظ والأدب ، ومن تأليفه " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة"، و" إحكام التأسيس في أحكام التجنيس " توفي بفاس سنة 721 هـ ،وقد رثى ولده بقصيدة احتوت تسعة وعشرين بيتا .

تنظر ترجمته في : ابن الخطيب : **الإحاطة** 3 / 135 ــ 137 والعسقلاني ، شهاب الدين : **الدرر الكامنة** 4 / 131 ــ 229 والقاضي ، أبو العباس : **درّة الحجال** 2 / 96 ــ 100 .

19 ــ أبو زكريا الهنتاني (ت 647)هـ :

هو يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني ، يعدّ مؤسس دولة الحفصيّين في تونس ، كان له حركة في عدد من المدن والمناطق وسّع بها ملكه ، كان مهتما بالعلم وحريصا على تقريب العلماء وإنشاء المصانع والمدارس والمساجد ،ولد سنة 598 هـ وتوفي

سنة 647 هـ . وهو الذي وفد عليه ابن الأبّار واستنصره على العدو المتكالب على شرق الأندلس ،وقد استصرخه في قصيدته السينية أيضا. وقد رثى ولده بمقطوعة تألفت من خمسة أبيات .

ترجمته من :**البيان المغرب** 4 / 12 ــ14 والمقري : **أزهار الرياض** 3 /208 وابن سعيد الأندلسي : **رايات المبرّزين** 257 .

20 ــ ابن سارّة الشنتريني :

هو عبد الله بن محمد بن سارّة البكري ، شنتريني ، سكن المرية وغرناطة ، وتردّد مادحا ومنتجعا ، كان ذا حظ كبير من النحو واللغة وحفظ الأشعار ، أديبا ماهرا وشاعرا مجيدا ، توفي بعد سنة 500 هـ وقد رثى ابنته بمقطوعة تألفت من ثلاثة أبيات إضافة إلى بيتين آخرين.

ترجمته من : ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** 2/2 / 834 ، 835 والأصبهاني ، عماد الدين : **خريدة القصر** 2 / 315 و ابن الخطيب : **الإحاطة** 3 / 439 و ابن الأبّار: **التكملة لكتاب الصلة** ، 2 / 251.

21ــ سعيد بن الحكم (ت 680)هـ :

هو سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد ، الشيخ الفقيه والرئيس المكرّم ، دخل بجاية وبقي بها مدّة ، ثمّ انتقل إلى تونس ومنها إلى ثغر ميورقة ، جمع بين الرواية والدراية ، له علم بالعربية والأدب ، وله نظم ونثر وكتابات ، وله مشاركة في العلوم ، توفي سنة 680 هـ .

وقد رثى ولده بقصيدة طويلة احتوت واحدا وأربعين بيتا .

ترجمته من : المراكشي : ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** 2 / 28 ــ 33 **و الغبريني عنوان الدراية** 303 ــ 307 .وللاستزادة يمكن الرجوع إلى : **لباب الألباب** لمؤلف مجهول، إذ تناول العديد من القصائد لهذا الشاعر .

22 ــ ابن شكيل(ت 605)هـ :

هو أحمد بن أحمد بن يعيش بن شكيل الصدفي الأديب ، من أهل شريش ، أخذ عن مشيخة بلده ، وصحب القاضي أبا حفص بن عمر وولاه قضاء بعض الكور ، وشعره مدوّن، ولد سنة 578 هـ ، وتوفي سنة 605 هـ ، وقد رثى أباه بقصيدة طويلة تألفت من واحد وخمسين بيتا .

تنظر ترجمته في : ابن الأبّار : **تحفة القادم** ،140 وابن سعيد الأندلسي : **المغرب** 1 / 304 والمقري : **نفح الطيب** 4 / 64 .وقد جمعت أشعاره في ديوان واحد بعنوان : **أبو العباس أحمد بن شكيل الأندلسي شاعر شريش** ، تقديم وتحقيق حياة قارة .

23 ــ ابن أبي العباس(ت 562)هـ :

هو عبد الله بن أبي العباس ، يكنى أبا محمد ، من جلّة الأدباء وعلية الفصحاء الخطباء ، وهو معدود في الرؤساء من أهل مالقة ، عُرف بأنه جليل المقدار عالي الهمة رفيع القدر ، كان معظّما عند بعض السادات مقرّبا لديهم ، يباهون به في مجالسهم ، ويشاورونه في أمورهم ، وقد توفي سنة 562 هـ . وقد رثى أباه بمقطوعتين ضمّتا معا سبعة أبيات .

ترجمته من ابن خميس : **أعلام مالقة** 221 ، 227.

24 ــ عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي(ت 466)هـ :

هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي الصقلي ، فقيه من أعيان المالكيّة، تعلّم في صقلّية وتفقه بشيوخ القرويّين والصقليّين ، فكان فقيها فهما صالحا دينا مليح التأليف، وألّف كتاب النكت والفروق لمسائل المدوّنة ، توفي بالإسكندريّة سنة (466) هـ . و قد رثى ولده بأربعة أبيات .

تنظر ترجمته في :القاضي عيّاض : **ترتيب المدارك** 774 ــ 776 .

25 ــ ابن عبد ربه(ت 328)هـ :

هو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموي ، ولد سنة (246 هـ) ، عالم اشتهر بالأندلس ووصل ذكره إلى المشرق ، اهتم بالعلم وأعطاه عنايته ، كان أحد محاسن الأندلس علما وفضلا وأدبا ونبلا ، وهو صاحب العقد الفريد . وقد عاش سبعين سنة في إمارة قرطبة واثنتي عشرة سنة في خلافة قرطبة ، توفي سنة (328) هـ . وقد رثى ولده بأربع مقطوعات وقصيدتين متوسطتي الطول ، وبلغ مجموع أبيات رثائه فيه سبعة وخمسين بيتا .

تنظر ترجمته : الثعالبي : **يتيمة الدهر** ، 2/ 85 **ومطمح الأنفس** :270 ــ 275 والذهبي : **سير أعلام النبلاء** 15 / 283 والصفدي ، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات** 8 / 10، وللاستزادة : ينظر : **ديوان أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي** ، جمع وتحقيق محمد رضوان الداية.

26 ــ عبد الرحمن(ت 606)هـ :

هو عبد الرحمن بن عذرة الأنصاري القاضي ، يكنى أبا القاسم ، من أهل الجزيرة الخضراء ، صدر في نبهائها ، و خطيبا مقتدرا ، سمع من أبيه وغيره ، وأجاز له أبو عبيد الله بن الفخار وأبو العباس بن اليتيم ، ولي قضاء بلده ، وقد توفي سنة 606هـ ، وقد رثى أباه ببيت واحد فقط .

تنظر ترجمته في : ابن الأبّار : **تحفة القادم** 146 و : **التكملة لكتاب الصلة** 44/3.

27 ــ عبد الرحيم (ت 609)هـ :

هو عبد الرحيم بن عمر بن عذرة الأنصاري القاضي ، من أهل الجزيرة الخضراء ، يكنى أبا الحكم ، ولي الأحكام ببلده ، وكان مشاركا في الأدب ، ذا حظ من النظم والنثر ، أجاز له أبو العباس بن اليتيم وأبو محمد بن عبد الله وأبو الحجاج بن الشيخ ، وقد توفي سنة 609 هـ .ورثى أباه ببيت من الشعر.

تنظر ترجمته في ابن الأبّار : **التكملة لكتاب الصلة** ، 3 / 60 وقد ذكر اسمه مع إخوته في **تحفة القادم** 146 .

28 ــ عبد الكريم القيسي :

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي ، من شعراء القرن التاسع الهجري ، ولد في مدينة بسطة ، كان أبو عبد الله محمد البياني أستاذه ، وقد أخذ عنه العلوم الدينية والعلوم اللغوية ، كان الشاعر إماما لمسجد في مدينة برجة ، كما كان له حانوت خاص به ، وترجّح وفاته بعد منتصف القرن التاسع الهجري .وقد نظم قصيدة واحدة في رثاء ولديه ، تألفت من سبعة عشر بيتا .

اعتمدت في ترجمته مقدمة تحقيق الديوان ، ينظر من 7 ــ14 وقد اعتمد المحقق بدوره على أحداث مرّت في الديوان ذكرها الشاعر ، ولم يذكر مصادر أخرى ، وينظر أيضا شريفة ، محمد : **البسطي ، آخر الشعراء الأندلسيين** 10 ــ28 ، و قد ذكر المؤلف أنّ ديوان الشاعر هو المصدر الوحيد للتعريف بالشاعر ، إذ لم يذكره أصحاب المعاجم ؛ لأنه آخر الشعراء الأندلسيين . ينظر : شريفة ، محمد : **نفسه**،7

29 ــ عبد الملك بن بشر:

هو عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم ، كان بشر أبوه من أمراء الأموية ، فقتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاريّ آخر عمال بني أمية على العراق ، وقد نجا عبد الملك في فلّ القوم إلى المغرب ، فقصد الأندلس ، ودخلها في أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية مع ابن عمه جزّى بن عبد العزيز بن مروان ، وسكن جواره في قرطبة ويعرف بالبشريّ ، وكان عبد الرحمن بن معاوية يحبه ويشاوره ، وهو الذي أشار عليه باصطناع البربر واتخاذ العبيد ؛ ليستعين بهم على العرب . وقد رثى هذا الشاعر أباه بقصيدة احتوت سبعة أبيات .

تنظر ترجمته في : **الحلة السيراء** 1/ 58 و**المغرب** 1 /60. لم تذكر سنة وفا ة الشاعر ورجّحتها في عصر الإمارة ؛ لأنّه عاصر عبد الرحمن الداخل(113 ــ 172 هــ) الذي كان أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكما ، وبه يبدأ عصر الإمارة .

ينظر : علي الحجّي ، عبد الرحمن : **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة** ، 227 ــ 233 .

30 ــ أبو علي إدريس العبدري (ت450)هــ :

هو إدريس بن اليمان بن سالم ، أبو علي العبدريّ المعروف بالشبينيّ الأندلسيّ الشاعر ، وقيل إنّ أصله من قسطلّة الغرب ، قرأ بدانية وبها نشأ ومنها انبعث ، تردّد على ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان كلّما قال قصيدة لم يضرب عليها حجابا ، ولم يضمّنها كتابا، حتى يأخذ بها مائة دينار ، توفي سنة 450 هــ . وقد رثى أباه بمقطوعة تألفت من بيتين فقط.

تنظر ترجمته في : ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة** 336/1/3 وابن سعيد الأندلسي، **المغرب في حلى المغرب** 1 / 400 الصفدي ، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات** 8 / 327 .

31 ــ **عمر بن أحمد(ت315)هــ :**

هو عمر بن أحمد بن الأمير محمد بن عبد الرحمنبن الحكم بن هشام ، كان من أهل الأدب والشعر ، وهو أخو الحكم بن أحمد ، الذي سبق أن ذكرته ، وقد توفي عمر بن أحمد سنة (315) هــ. وقد رثى أباه بقصيدة قصيرة احتوت عشرة أبيات .

ترجمته في ، ابن الأبّار : **الحلّة السيراء** ، 1 / 213 ، 214 .

32ــ أبو محمد التميمي : وكان من الشعراء الذين لم أعثر لهم على أخبار . وهو كما ذكر إحسان عباس أبو محمد قاسم بن عبد الله التميمي ، من أهل صقلية ، شاعر ذكر فتنة أهل صقلية وشدة حربهم ودخول الفرنجة إليهم .وقد أخذت هذه المعلومات من : **معجم العلماء والشعراء الصقليين**،164. وقد رثى ولده بقصيدة تألفت من أربعة وعشرين بيتا .

33 ــ محمد بن جبير الكناني(ت624)هـ :

هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني ، يكنى أبا الحسين ، من أهل غرناطة ، سكن بمالقة وأقام فيها مدّة ، ورحل إلى المشرق وأقام هناك حتى توفي سنة 624هـ . كان من العمّال المشتغلين بأشغال السلطان ، وجمع مالا كثيرا ، ثمّ ترك ذلك كله ، وتصدّق بجميع ماله وزهد في الدنيا ، وكان من أهل العلم والفضل والدين والأدب البارع والشعر الفائق ، ويحدّث عن جماعة من شيوخ الأندلس . وقد رثى ولده بقصيدة طويلة احتوت واحدا وخمسين بيتا .
ترجمته من : ابن خميس : **أدباء مالقة** 138 ، 149 والمقّري : **نفح الطيب** 2 / 381 ــ 389 .

34 ــ محمد بن عذرة :

هو محمد بن عمر بن عذرة الأنصاري القاضي ، أخو عبد الرحمن وعبد الرحيم ، أبناء عمر بن عذرة ، من أهل الجزيرة الخضراء ، وقد ذكر اسمه مع بيته الشعري في **تحفة القادم** 146 ، ولم أعثر له على ترجمة خاصة به .

35 ــ محمد بن عمر بن المنذر(ت 580)هـ :

هو محمد بن عمر بن المنذر، أبو الوليد ، أحد أعيان شلب ونبهائها ، من بيت قديم في المولّدين ، لازم التعلّم بإشبيلية في صغره حتى تميّز بالمعارف الأدبية والفقهية ، تزهّد وانزوى وتصدّق بماله بعد فترة من حياته ، توفي سنة 580هـ . و رثى ابنته في مقطوعة واحدة تألفت من بيتين فقط.

ترجمته من : ابن الابّار : **الحلّة السيراء** ، 2 / 202 وما بعدها .

36 ــ ابن مطروح(ت 635)هــ :

هو عبد الله بن محمد بن مطروح التجيبيّ القاضي من أهل بلنسية ، وأصله من سرقسطة ، ولي القضاء بعدّة من كور بلنسية وغيرها ، وولي بآخر عمره قضاء دانية ، كان فقيها عارفا بالأحكام ، من أهل الشورى والفتيا ، أديبا شاعرا ، ولد سنة 574 ه وتوفي ببلنسية سنة 635 هــ والروم محاصرون لها ، و قد رثى أباه بقصيدة تألفت من عشرة أبيات.

ترجمته من : ابن الأبّار : **التكملة لكتاب الصلة** 2 / 296 ، 297 : **تحفة القادم** 228 ، 229 .

37ــ المعتمد بن عباد(ت 488)هــ :

هو محمد بن عبّاد بن إسماعيل بن المعتضد ملك الأندلس ، ولد بمدينة باجة سنة (431) هــ ، وولي الملك سنة (461)هــ بإشبيلية ، كان من أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم أهمية ، أولاده يزيد ويلقّب بالراضي ، وعبد الله والفتح . وقد كان قصره مقصدا لأعيان الشعر وأفاضل الأدباء ، توفي بسجن أغمات سنة (488)هــ . وقد رثى أولاده بمقطوعتين قصيرتين وثلاث قصائد متوسطة الطول ، كان مجموع أبياتها جميعا خمسة وأربعين بيتا .

تنظر ترجمته في : ابن خاقان : **مطمح الأنفس** 169 ــ 188 **وقلائد العقيان** 1 / 51 وما بعدها وابن سعيد المغربي : **رايات المبرّزين** 46 . والصفدي، صلاح الدين : **الوافي بالوفيات**3 / 183 ــ 187 ، وابن المؤقت : **السعادة الأبدية** 1/ 137و قد جمعت أشعار هذا الشاعر في ديوان واحد بعنوان **ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية** ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد بدوي .

38 ــ أبو وليد الباجي(ت 474)هــ :

هو سليمان بن خلف الأندلسي الباجي ، من علماء الأندلس وحفّاظها ، كان فقيها متكلما محدّثا مفسّرا شاعرا ،أصل آبائه من بطليوس ، انتقلوا إلى باجة الأندلس ، من كتبه " المنتقى " " إحكام الفصول في أحكام الأصول " ولد سنة (403) هــ في بطليوس ، وتوفي سنة (474) هــ . و قد رثى ولديه بمقطوعتين كان عدد أبياتهما معا خمسة عشر بيتا .

تنظر ترجمته في : ابن بسام الشنتريني : **الذخيرة**،94/1/2 ، 95 وابن خلكان : **وفيات الأعيان** ، 2 / 408 ، 409 والقاضي ، عيّاض : **ترتيب المدارك** 3 / 802 ــ 808 وابن سعيد الأندلسي : **المغرب في حلى المغرب** 1/ 327 والحموي : **معجم الأدباء** 11 / 246 والمقري : **نفح الطيب** 2/ 67 ، 69 .

39 ــ أبو الوليد بن عفير(588)هــ :

هو سعد السعود بن أحمد بن هشام بن عفير الأموي ، روى عنه ابنه القاضي أبو أمية وأبو بكر بن عبد النور وغيرهم ، وكان محدّثا حافظا فاضلا مثابرا على اقتفاء الآثار النبوية ، ولد سنة 513 هــ ، واستشهد سنة 588 هــ . ورثى ولده بمقطوعة تألفت من ثمانية أبيات.

ترجمته من : المراكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة** 4 / 18 ،19 ، 21 .

40 ــ ابن يامين(661)هــ :

هو أحمد بن محمد بن نجْوت الحجْري ، أبو القاسم بن يامين ، شقري سكن شاطبة كتب متحققا بالأدب وبرع في نثر الكلام ونظمه ، لجأ إلى سعيد بن الحكم بعد سقوط شاطبة وكان وصوله إلى منرقة سنة 641 هــ ، فأصبح من كبار كتّابه ومن شعرائه المقرّبين ، غادر منرقة إلى تونس واستوطنها وتوفي فيها سنة 661 هــ . وقد رثى ابنته وابنها بقصيدة طويلة احتوت ثلاثة وستين بيتا .

ترجمته في : ابن سعيد الأندلسي : **اختصار القدح** 53 ــ 59 والمرّاكشي ، ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة 1** / 522 ــ 524 وينظر أيضا : مؤلف مجهول : **لباب الألباب** ، 45.

41 ــ يوسف بن إسماعيل(459) هــ :

هو يوسف بن إسماعيل بن نعزلّة اليهودي ، كان أبوه من بيت مشهور بغرناطة إلى أن استوزره باديس بن حبوس ملك غرناطة ، فاستهزأ بالمسلمين ، وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات ، قتل بغرناطة وصلب في نهر سنجل ، وكان ابنه يوسف صغيرا ، فهرب إلى إفريقية ، مات مقتولا بعد صلبه، وقتل من اليهود يوم مقتله عدد عظيم، وكان ذلك سنة 459 هــ ، وقد رثى أباه بمقطوعة تألفت من خمسة أبيات .

تنظر ترجمته في : ابن سعيد الأندلسي : **المغرب** 2 / 90 ، 91 وابن الخطيب : **الإحاطة** 1/ 439 ، 440 .

42 ــ يوسف الثالث:

هو يوسف بن يوسف بن محمد بن عبد الغني بالله الملقب بالناصر من بني الأحمر ، شاعر من ملوك الأندلس ، من سكّان غرناطة ، ولمّا توفي أبوه كان هو ولي العهد ، فأبعده أخ له أصغر منه اسمه محمد ، وحبسه في قلعة شلبونية من أعمال غرناطة نحو أربع عشرة سنة ، وقد تولى الحكم بعد أخيه محمد بن يوسف ، وتوفي سنة 820 هـ .وأصل بني الأحمر من أرجونة من حصون قرطبة ، ويعرفون ببني نصر ، وينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج.وقد رثى ولده بتسع منظومات بين قصيدة ومقطوعة ، كما رثى أباه بمقطوعتين ، وكان مجموع أبياته جميعا مائة وخمسة عشر بيتا .

اعتمدت في ترجمة بني الأحمر : ابن خلدون ، **تاريخه** 4 / 170 ، 178 ، 179. أمّا الشاعر نفسه فلم أعثر على ترجمة له سوى إشارة في **درة الحجال** تذكر أنّ يوسف تولّى الحكم بعد أخيه محمد ينظر 2 / 283 ، كما اعتمدت الزركلي ، **معجم الأعلام** 8 / 259 وراشد / محمود : **الفخر عند الشاعر يوسف الثالث** ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، 2004 م ،صـــ 2 ، 3 وقد جمع معلوماته من مصادر حديثة ؛ لعدم وجود ترجمة لهذه الشخصية ، كما لجأت إلى مقدمة ديوان يوسف الثالث ، تحقيق عبد الله كنون : صـــ س ، ش وقد اعتمد إشارة درّة الحجال وكتاب يسمى " **تاريخ إسبانيا المسلمة** " للمؤلف بالنثيا .

الفهارس

- فهرست الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرست الأحاديث النبوية الشريفة .
- فهرست الأعلام.
- فهرست الأماكن.
- فهرست القوافي.

فهرست الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
"وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (156)أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ	155-157	البقرة	106
"وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)"	169-171	آل عمران	49
"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)"	185	آل عمران	90
"وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ (157)"	157	النساء	16
"أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ"	78	النساء	91
"وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"	32	الأنعام	89
"قُلْ إِنّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوّلُ الْمُسْلِمِينَ."	162	الأنعام	99
"وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ"	22	الأعراف	103
"وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ"	34	الأعراف	91، 124
"إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ"	4	يونس	102
"فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ"	210	يونس	101
"قَالُوا أَضْغَاث أَحْلَام وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَام بِعَالِمِينَ"	44	يوسف	124
"يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُف وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْن فَهُوَ كَظِيم"	84	يوسف	125
"وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ"	26	الرعد	89
"وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. " "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"	23-24	الإسراء	55

"مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى"	55	طه	97
"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)"	14-12	المؤمنون	98-97
"إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"	34	لقمان	101
"وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا"	38	الأحزاب	91
"إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ"	30	الزمر	26
" أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ"	54	فصلت	124
"وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلكَ ما كنتَ منهُ تَحِيدْ"	19	ق	18
"خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصال كَالفَخّارِ"	14	الرحمن	97
"وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى"	1	النجم	103
"خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخّارِ"	14	الرحمن	93
"كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ"	26	الرحمن	95
"فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85)"	85-83	الواقعة	19
"وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"	9	المجادلة	104
"فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (19) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)"	24-19	الحاقة	105-104
"يوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"	18	النبا	103
"ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا"	29	النبأ	104
"أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"	10-8	البلد	98
"يوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ"	4	القارعة	103
"وَمِنْ شَرّ حاسِدٍ إذا حَسَد"	5	الفلق	13

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
:" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ".	76
:" الصبر عند الصدمة الأولى "	107 ، 125
ـ عن أنس رضي الله عنه أنّ امرأة أتت إلى رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك : فقالت : أردت لأقتلك ، قال " ما كان الله ليسلطك على ذلك " قال أو قال "علي" قال : قالوا: ألا نقتلها ؟ قال :لا ، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عيه وسلم ".	16
:" ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية "	21
:"ما من الناس من مسلم من يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم "	109
:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى"	31
:"هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء "	3

فهرست الأعلام

(أ)

- ابن الأبار (محمد بن عبد الله) 29، 171
- إبراهيم أنيس 152، 155
- إبراهيم حوّر 3
- الأخفشين (عبد الحميد بن عبد المجيد و علي بن سليمان) 60
- إدريس بن إدريس 15 ، 16 ، 149 ،171
- آدم 84 ، 103 ،125
- أرطأة بن سمية 9،10
- إسرافيل 103
- إسماعيل بن بدر171
- الأسود بن يزيد 60
- الأعشيين (ميمون بن قيس وأعشى باهلة عامر بن الحارث) 60
- الأعمى التطيلي (أحمد بن عبد الله) 23
- امرؤ القيس 127
- أنس رضي الله عنه 16
- أيوب 125

(ب)

- ابن البراء التجيبي (عبد الله بن محمد) 25 ،172

(ج)

- أبو جعفر المنصور 48
- الجليس بن الجبّاب (عبد العزيز بن الحسين) 16 ، 75 ، 142 ، 146 ، 172
- ابن الجنّان (محمد بن أحمد الأنصاري)3 ، 4 ، 12 ، 19 ، 20 ، 24 ، 30 ، 37 ، 39 ، 52 ، 57 ، 74 ، 76 ، 80 ، 81 ، 83 ، 84 ، 85 ، 87 ، 89 ، 90 ، 92 ، 93 ، 94 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 103 ، 104 ، 109 ، 117 ، 121 ، 124 ، 127 ، 130 ، 138 ، 140 ، 145 ، 147 ، 150 ، 154 ، 158 ، 159 ، 160 ،163 ،165 .
- ابن الجياب (أبو الحسن بن الجياب) 20 ، 25 ، 33 ، 34 ، 35 ، 59 ، 122 ، 159 ،165 ، 168،173 .

(ح)

- حازم القرطاجني 124 ،156 .
- أبو الحسن
- 61 ، 66 ، 89 ، 173.
- الحصري القيرواني (علي بن عبد الغني الفهري) 8 ، 9 ، 10 ، 12 ، 13 ، 18 ، 21 ، 22 ، 28 ، 30 ، 31، 32 ، 38 ، 39 ، 40 ، 43 ، 44 ، 49 ، 50 ، 51 ، 55 ، 58 ، 62 ، 64 ، 65 ، 67 ، 73 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، 88 ، 89 ، 90 ، 98 ، 100 ، 103 ، 104 ، 109 ، 112 ، 116، 120 ، 123 ، 124 ، 126، 127 ، 128 ، 129 ، 131 ، 134 ،139، 140 ، 143، 144 ، 147 ، 155 ، 157 ، 159 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 173.
- الحكم بن أحمد 28 ، 112 ، 149 ، 174 .
- ابن حمديس (أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر) 22 ، 23 ، 53 ، 56 ، 59 ، 88 ، 90 ، 95 ، 120 ، 174 ، 158 .
- حيان 71 ، 72 .
- أبو حيان الأندلسي 9، 10 ، 11، 12 ، 20، 22 ، 27 ، 50 ، 53 ، 58 ، 63 ، 64 ، 65 ، 71، 80 ، 95 ، 128 ، 140 ، 141 ، 144 ، 155 ، 159 ، 161 ، 166 .

(خ)

- ابن أبي الخصال (مسعود بن طيب) 14 ، 36 ، 38 ، 39 ، 47 ، 56 ، 74 ، 106 ، 110 ، 115 ، 116 ، 122 ، 125 ، 134 ، 154 ، 159 ، 161 ، 175 .
- ابن خلصة الضرير (محمد بن خلصة) 5 ،150 ،175.
- الخنساء 4

(ر)

- أبو الربيع الداني (سليمان بن أحمد) 9 ،31 ، 32 ، 72 ، 92 ، 175.
- أبو الربيع الموحدي (سليمان بن عبد الله) 3 ،4 ، 9،10 ،40 ،81 ،82 ،83 ،85 ،96 ، 106 ، 176.
- ابن رشيد الفهري (محمد بن عمر) 40 ، 42 ، 166 ، 107 .
- ابن رشيق القيرواني 50 ، 135 .

(ز)

- أبو زكريا الهنتاني (يحيى بن عبد الواحد) 111 ،177.

(س)

- سعيد بن الحكم 18 ، 28، 29 ، 40 ، 49 ، 56 ، 57 ، 59 ، 67 ، 73 ، 107 ، 109 ، 120 ، 121 ، 123 ، 125 ، ، 139، 137 ، 155 ، 160 ، 165 ، 177 .
- سعيد بن المسيب 60.

(ش)

- ابن شكيل (أحمد بن أحمد) 57 ، 59 ، 65 ، 66 ، 67 ، 82 ، 90 ، 121 ، 124 ، 134 ، 159 ، 165 ، 178

(ع)

- عائشة 4
- ابن أبي العباس (عبد الله بن أبي العباس) 66 ، 109 ، 179.
- عبد الحق بن محمد السهمي 34، 109 ، 117 ، 179 .
- عرار 57.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) 24 ،25 ،28 ، 36 ، 58 ، 59 ، 61 ، 66 ، 68 ، 139 ، 166 ، 178 .
- عبد الرحمن بن الحكم 104 ، 180 .
- عبد العزيز نبوي 152.
- عبد الغني بن الحصري القيرواني 21 ، 30 ، 50 ، 112 ،123 .
- عبد الكريم القيسي 6 ، 27 ، 28 ، 135 ، 162 ،179 .
- أبو علي إدريس اليماني العبدري (إدريس بن اليمان) 6 ،145 ،180 .
- عبد الملك بن بشر 48 ، 69 ، 93 ، 120 159 ، 180 .
- عمران بن عبد الحق بن محمد السهمي 34 ، 118 .
- عمر بن أحمد 4 ، 8 ، 28 ، 54 ، 55 ، 62 ،115 ، 116 ،135 ،144 ،181.
- عمر بن عذرة 154
- عمرو بن شأس 57
- عواد مهدي 118

(ف)

- ابن فارس 161 .
- الفرزدق 84.

(ق)

- أبو القاسم 33 .
- القاسم بن محمد 60.

(ل)

- لبيد 10 .
- لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله)47 ، 115 ، 118 ، 127 ، 177 .
- لقمان عليه السلام 88 .

(م)

- المأمون 122.
- ابن المبارك 60 .
- محمد بن جبير الكناني (محمد بن أحمد) 23 ، 32 ، 33 ، 54 ، 57 ، 61 ، 121، 165 ،181 .
- أبو محمد بن سارّة الأندلسي(عبد الله بن محمد) 41 ، 177 .
- محمد صلى الله عليه وسلم 16 ، 108 ،126 .
- محمد صالح الضالع 152.
- أبو محمد عبد الله الأزدي 48.
- محمد بن عمر بن المنذر 23 ، 154 ،181 .
- أبو محمد القاسم التميمي 85 ،86 ، 110 ، 116 ، 133 ،166 ،167، 184 .
- مخيمر صالح 152 .
- ابن مطروح (عبد الله بن محمد)5 ، 70 ، 92 ، 112 ، 123 ،182.
- المعتمد بن عباد 7 ، 36 ، 38 ،41 ، 46 ، 49 ، 122 142 ، 182 .

(ن)

- ناصر الدين الأسد152
- نضار 10 ، 12 ، 20 ، 27 ، 50 ، 53 ، 63 ، 64 ، 95 ، 161 .

- النوار 84 .
- نوح عليه السلام 83 .

(و)

- أبو الوليد الباجي (سليمان بن خلف) 29 ،108 ، 183 .
- أبو وليد بن عفير (سعد السعود بن أحمد) 35 ، 160 ، 166 ، 183 .

(ي)

- ابن يامين (أحمد بن محمد) 41 ،70 ، 72 ، 74 ، 84 ، 90 ، 91 ، 95 ، 102 ، 103 ، 128 ، 150 ، 151 ، 155 ، 165 ، 166 ، 183 .
- يزيد 49
- يعقوب عليه السلام 125 ، 126
- يوسف بن إسماعيل 15 ، 16 ، 183 .
- يوسف الثالث (يوسف بن يوسف) 8 ، 9 ، 25 ، 32 ، 40 ،41،39 ، 43 ، 51 ، 54 ، 58 ، 69 ، 91 ، 92 ، 93 ، 109 ، 129 ، 134 ، 145 ، 146 ، 162 ، 163 ، 165 ، 183 .
- يوسف عليه السلام 125 ،126

فهرست الأماكن

اسم المكان	الصفحة
الأندلس	50 ،52 ،127
أوريولة	130
بعاث	127
الحجاز	53
سنجل	15
شاطبة	128
صفين	127
طريف	47 ، 127
العراق	68
مرسية	140
مصر	53
مكة	53
منرقة	40 ، 128

فهرست القوافي

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
قافية الألف			
إمْساءِ	البسيط	الجليس بن الجباب	16
الظّلماء	الكامل	الحصري القيرواني	62
العَلْياءِ	الكامل	الحصري القيرواني	67
وَمَسائِي	الخفيف	الحصري القيرواني	21
قافية الباء			
التّرائبْ	الوافر	ابن الأبّار	29
خُلّبَا	الكامل	لسان الدين بن الخطيب	47
تقرَبا	الكامل	أبو محمد عبد الله الأزدي	48
بما حبا	الكامل	لسان الدين بن الخطيب	115
قد كبا	الكامل	لسان الدين بن الخطيب	119
مشْبُوبا	الخفيف	يوسف الثالث	58
رغيبا	الخفيف	الحصوْي القيرواني	89
مشيبا	الخفيف	الحصري القيرواني	164
الحبيبُ	الوافر	أبو محمد القاسم التميمي	85
الحروبُ	الوافر	أبو محمد القاسم التميمي	86
يُريبُ	الوافر	أبو محمد القاسم التميمي	116
القريبُ	الوافر	يوسف الثالث	116
شيبُ	الوافر	يوسف الثالث	133
القطوبُ	لوافر	أبو محمد القاسم التميمي	133 ، 167
عقْبي	الطويل	محمد بن جبير الكناني	23
حَرْبِ	الطويل	محمد بن جبير الكناني	31
جَنْبِ	الطويل	محمد بن جبير الكناني	32

تُجْبي	الطويل	محمد بن جبير الكناني	54
العُجَبِ	الطويل	محمد بن جبير الكناني	57
الغَريبِ	الوافر	الحصري القيرواني	10
ثيابي	الكامل	أبو الربيع الداني	35
الآدابِ	الكامل	ابن الجياب	168
قافية التاء			
لفتى	السريع	الحصري القيرواني	116
عَبَثْ	المتقارب	الحصري القيرواني	80
بعاثُ	مخلّع البسيط	الحصري القيرواني	127
تَحْنيثي	البسيط	الحصري القيرواني	64
مبثوثِ	البسيط	الحصري القيرواني	103
مطموثِ	البسيط	الحصري القيرواني	112
قافية الجيم			
الغَنِجُ	مجزوء الوافر	الحصري القيرواني	73
نَتَجوا	مجزوء الوافر	الحصري القيرواني	81
هَمَجوا	مجزوء الوافر	الحصري القيرواني	83
النّصيحا	الخفيف	يوسف بن إسماعيل	15
النّواصَحُ	الطويل	يوسف الثالث	25
القوادِحُ	الطويل	يوسف الثالث	58
صَبوحُ	الوافر	الحصري القيرواني	99
سَفْحُ	البسيط	أبو الربيع الموحّدي	3
التَّبْريح	الخفيف	أبو حيان التوحيدي	10
المسْفوح	الخفيف	أبو حيان التوحيدي	95
قافية الخاء			
مُمَخْخ	مجزوء الخفيف	الحصري القيرواني	103
قافية الدال			
عددُ	المديد	لحصري القيرواني	50
مُفْتَقَدْ	الرمل	عبد الملك بن بشر	48
وعَدَدْ	الرمل	عبد الملك بن بشر	69، 93

الجسدْ	الرمل	عبد الملك بن بشر	120
وحَسودا	الكامل	ابن عبد ربه	58
فَريدا	الكامل	ابن عبد ربه	60
وحيدا	الكامل	ابن عبد ربه	60
مَوْلودا	الكامل	ابن عبد ربه	66
تَبيدُ	الطويل	عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي	34
سعيدُ	الطويل	عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي	109
يُعيدُ	الطويل	عبد الحق بن محمد بن هارون	118
بُعْدُ	الطويل	المعتمد بن عباد	41
مَوْعِدُ	الكامل	ابن عبد ربه	28
عِهادُ	الكامل	أبو الوليد بن عفير	35
رمادُ	الكامل	أبو الوليد بن عفير	160
الجَلَدُ	المنسرح	ابن عبد ربه	36
أجِدُ	الخفيف	يوسف الثالث	39
الوِرْدِ	الطويل	ابن أبي العباس	66
اللّحدِ	الطويل	أبو حيّان الأندلسي	161
بَلَدِ	البسيط	إدريس بن إدريس	15
تَجَلّدِي	الكامل	ابن عبد ربه	28
المُعتدي	مجزوء الرمل	أبو الربيع الموحدي	81
كَبدِي	مجزوء الرجز	أبو الربيع الموحدي	40
البَلَدِ	المنسرح	ابن عبد ربه	68
العدَدِ	المنسرح	ابن عبد ربه	139
الحسد	المتقارب	المعتمد بن عباد	149
السّهادِ	المتقارب	إدريس بن إدريس	122
السوادِ	المتقارب	المعتمد بن عباد	142

قافية الذال

أفلذا	الطويل	الحصري القيرواني	55
معاذا	المنسرح	الحصري القيرواني	109
اللذاذا	مخلع البسيط	الحصري القيرواني	144

قافية الراء			
اعْتَذَرْ	الطويل	لبيد	10
السّهَرْ	الطويل	أبو حيان الأندلسي	9
غَبَرْ	الطويل	أبو الحسن علي	61
الكِبَرْ	الطويل	أبو الحسن علي	66 ،89
أمَرْ	الطويل	أبو حيان الأندلسي	144
القدرْ	مجزوء البسيط	يوسف الثالث	41
يُعْرى	الطويل	ابن أبي الخصال	11
الأَضْرَى	الطويل	ابن أبي الخصال	14
تَكْرى	الطويل	ابن أبي الخصال	47
صَبْرا	الطويل	ابن أبي الخصال	47
الصّدْرا	الطويل	ابن أبي الخصال	36
ظُهْرا	الطويل	ابن أبي الخصال	56
الصبرا	الطويل	ابن أبي الخصال	74
والأجْرا	الطويل	ابن أبي الخصال	106
الصغرى	الطويل	ابن أبي الخصال	110
أورى	الطويل	ابن أبي الخصال	115
الأخرى	الطويل	ابن أبي الخصال	134
جمرا	الطويل	ابن أبي الخصال	122
قبرا	الطويل	ابن أبي الخصال	162
أحمرا	الطويل	أبو حيان الأندلسي	141
الورى	الطويل	أبو حيان الأندلسي	71
قَدَرا	البسيط	أبو الربيع الداني	92
السهرا	البسيط	أبو الربيع الداني	32
عَرَا	الرمل	أبو حيان الأندلسي	63
الثّرى	الرمل	أبو حيان الأندلسي	27
اعتبارا	الخفيف	يوسف الثالث	165
العَذارى	الخفيف	أبو حيان الأندلسي	63
الدّهْرُ	الطويل	محمد بن عمر بن المنذر	23
الصبرُ	الطويل	المعتمد بن عباد	36
صَبْرُ	الطويل	ابن عبد ربه	36

والدّيارُ	الوافر	ابن يامين	40
وانْكسارُ	الوافر	ابن يامين	72
والنّهارُ	الوافر	ابن يامين	72
انهمارُ	الوافر	ابن يامين	74
فِرارُ	الوافر	ابن يامين	91
تُدارُ	الوافر	ابن يامين	102
اشتهارُ	الوافر	ابن يامين	128
عفارُ	الوافر	ابن يامين	128
غرارُ	الوافر	ابن يامين	166
المهار	الوافر	ابن يامين	150
نارُ	الوافر	ابن يامين	151
قِصارُ	الوافر	ابن يامين	84
البوارُ	الوافر	ابن يامين	95
الصّدرُ	الطويل	المعتمد بن عباد	7
صَبْر	الطويل	المعتمد بن عباد	49
جُلّناري	مخلّع البسيط	الحصري القيرواني	123
القُصور	الوافر	أبو الربيع الموحّدي	10
قصير	الوافر	أبو الربيع الموحّدي	84
خبير	الوافر	أبو محمد القاسم التميمي	86
للصّغير	الوافر	أبو الربيع الموحّدي	96
الأجورِ	الوافر	أبو الربيع الموحّدي	106
قراري	الكامل	سعيد بن الحكم	29
الإذْكار	الكامل	سعيد بن الحكم	18
وار	الكامل	سعيد بن الحكم	49
نُجَار	الكامل	سعيد بن الحكم	56
لِعَرار	الكامل	سعيد بن الحكم	57
المقدار	الكامل	سعيد بن الحكم	59
الأمْطار	الكامل	سعيد بن الحكم	67

بالمُخْتارِ	الكامل	سعيد بن الحكم	107
المُختار	الكامل	سعيد بن الحكم	109
أوطاري	الكامل	سعيد بن الحكم	120
الآثار	الكامل	سعيد بن الحكم	125
بسِرار	الكامل	سعيد بن الحكم	123
الأفكار	الكامل	سعيد بن الحكم	160
الأعصار	الكامل	سعيد بن الحكم	137
الإبدار	الكامل	سعيد بن الحكم	139
أعمار	الوافر	ابن يامين	70
للصغير	الوافر	أبو الربيع الموحدي	96
مقتدر	المنسرح	يوسف الثالث	93
بالوطر	المنسرح	يوسف الثالث	162
بصري	المنسرح	يوسف الثالث	145
منهمر	المنسرح	يوسف الثالث	147
قافية الزاي			
أوجزا	مجزوء الخفيف	الحصري القيرواني	164
المُتَخزّي	الخفيف	الحصري القيرواني	42
بعَجْز	الخفيف	الحصري القيرواني	62
قافية السين			
المُجَنّسَا	الطويل	ابن الجياب	20
الأسَى	الطويل	ابن الجياب	33
أسَى	الطويل	ابن الجياب	33
وَأَتْعسا	الطويل	ابن الجياب	34
يَؤُوسُ	الكامل	الحصري القيرواني	30
خَميسُ	الكامل	الحصري القيرواني	68
خسيسُ	الكامل	الحصري القيرواني	131
بالنفوس	مجزوء الرمل	يوسف الثالث	164
والإنْس	الطويل	أبو حيان الأندلسي	53
قافية الضاد			

ارتِكاضًا	الوافر	الحصري القيرواني	13
غِماضًا	الوافر	الحصري القيرواني	31
تقاضى	الوافر	الحصري القيرواني	42
البَياضا	الوافر	الحصري القيرواني	80
قافية الطاء			
غطّى	السريع	الحصري القيرواني	132
قافية العين			
يَنْقَعُ	الطويل	عمر بن أحمد	4
تَخْشَعُ	الطويل	عمر بن أحمد	8، 115
مَدَارِعُ	الطويل	أبو حيان الأندلسي	20
أَجْزَعُ	الطويل	عمر بن أحمد	28
هُجَعُ	الطويل	عمر بن أحمد	62
تَقْلِعُ	الطويل	عمر بن أحمد	54
يَباضِعُ	الطويل	أبو حيان الأندلسي	64
تطّلعُ	الطويل	عمر بن أحمد	135
مُمْرَعُ	الطويل	عمر بن أحمد	144
مُمْتَنَعُ	البسيط	ابن البراء التجيبي	25
قافية الغين			
صَبَغا	المنسرح	الحصري القيرواني	50
الصّيَغا	المنسرح	الحصري القيرواني	97
لَغى	المنسرح	الحصري القيرواني	99
قافية الفاء			
تُصرفُ	الطويل	يوسف الثالث	54
مُعْتَكِفا	البسيط	ابن الجنّان	3، 117
شَفَى	البسيط	ابن الجنّان	12
قُعْفا	البسيط	ابن الجنّان	19
ضَعُفا	البسيط	ابن الجنّان	24
انْخَسَفا	البسيط	ابن الجنّان	30
مُنْصفا	البسيط	ابن الجنّان	37
نَكَفا	البسيط	ابن الجنّان	37

وانْتَسَفا	البسيط	ابن الجنّان	34
والجَنْفا	البسيط	ابن الجنّان	38
شرَفا	البسيط	ابن الجنّان	51
الرّأفا	البسيط	ابن الجنّان	56
اللّطفا	البسيط	ابن الجنّان	57
وطْفا	البسيط	ابن الجنّان	75 ، 144
الغُرَفا	البسيط	ابن الجنّان	76
الضّعَفا	البسيط	ابن الجنّان	77
عفا	البسيط	ابن الجنّان	80
الرهفا	البسيط	ابن الجنّان	81
وعفا	البسيط	ابن الجنّان	84
عَجَفا	البسيط	ابن الجنّان	85
أكفا	البسيط	ابن الجنّان	87
نزفا	البسيط	ابن الجنّان	87
ورفا	البسيط	ابن الجنّان	89
اختلفا	البسيط	ابن الجنّان	92
خفا	البسيط	ابن الجنّان	92
اكْتَنْفا	البسيط	ابن الجنّان	93
عسَفا	البسيط	ابن الجنّان	95
أسفا	البسيط	ابن الجنّان	96
انْحَدَفا	البسيط	ابن الجنّان	97
نُطفا	البسيط	ابن الجنّان	97
سرفا	البسيط	ابن الجنّان	101
الزّلفا	البسيط	ابن الجنّان	103
ردِفا	البسيط	ابن الجنّان	104
الصّحُفا	البسيط	ابن الجنّان	105
رأفا	البسيط	ابن الجنّان	109
صلفا	البسيط	ابن الجنّان	124
قفا	البسيط	ابن الجنّان	127
وفى	البسيط	ابن الجنّان	130
اللّهفا	البسيط	ابن الجنّان	163
طفا	البسيط	ابن الجنّان	160

خسَفا	البسيط	ابن الجنّان	140
وهفا	البسيط	ابن الجنّان	147
عصفا	البسيط	ابن الجنّان	137
ثقفا	البسيط	ابن الجنّان	146
منكسفا	البسيط	ابن الجنّان	148
قطفا	البسيط	ابن الجنّان	150
ومصحفِ	الطويل	الحصري القيرواني	129
قافية القاف			
لانْفَلَقْ	الرمل	الحصري القيرواني	126
واعْتَنَقْ	الرمل	الحصري القيرواني	18
اتّفقْ	الرمل	الحصري القيرواني	159
عوارقُ	الطويل	ابن رشيد الفهري	40
الحدايقُ	الطويل	ابن رشيد الفهري	42
سابقُ	الطويل	ابن رشيد الفهري	107
لاحقُ	الطويل	ابن رشيد الفهري	135
لواثق	الطويل	ابن رشيد الفهري	107
باق	البسيط	الحكم بن أحمد	28
لاق	البسيط	الحكم بن أحمد	112
ساق	البسيط	الحكم بن أحمد	149
قافية الكاف			
مُتّكا	المتقارب	الحصري القيرواني	123
يبكوا	الخفيف	الحصري القيرواني	8
وَفْكُ	الخفيف	الحصري القيرواني	13
وَفْرُكُ	الخفيف	الحصري القيرواني	13
هُلْكُ	الخفيف	الحصري القيرواني	165
مِسْكُ	الخفيف	الحصري القيرواني	143
مَنَامُكِ	الطويل	أبو حيان الأندلسي	12
احْتِشَامُكِ	الطويل	أبو حيان الأندلسي	65
قافية اللام			

الأجَلْ	الطويل	يوسف الثالث	69
الدولْ	الطويل	يوسف الثالث	128
قَليلا	الخفيف	ابن خلصة الضرير	5
يَذْبُلا	المتقارب	ابن مطروح	5 ،70
نَقْفُلا	المتقارب	ابن مطروح	70
مستعجلا	المتقارب	ابن مطروح	112
يمطلا	المتقارب	ابن مطروح	123
قِلى	المتقارب	ابن مطروح	91
الأصْلِ	الطويل	ابن حمديس	70
السفلي	الطويل	ابن حمديس	95
الشّمل	الطويل	أبو زكريا الهنتاتي	111
فحومل	الطويل	امرؤ القيس	125
والدول	الطويل	يوسف الثالث	129
عجول	الطويل	الحصري القيرواني	134
مُرْتَحَل	البسيط	يوسف الثالث	8
الأسَل	البسيط	يوسف الثالث	25
قافية الميم			
بالحمى	السريع	يوسف الثالث	146
مُتَوَهّمُ	الكامل	أبو الوليد الباجي	29
يَسْلَمُ	الكامل	أبو الوليد الباجي	108
الضرغامُ	الخفيف	الحصري القيرواني	50
سِهامُ	الخفيف	الحصري القيرواني	13
الكِرَامُ	الخفيف	الحصري القيرواني	21
الحوائم	الطويل	يوسف الثالث	42
أقوامي	البسيط	الحصري القيرواني	38
بَهْرام	البسيط	الحصري القيرواني	104
أحلام	البسيط	الحصري القيرواني	124
النّدَم	البسيط	عبد الرحمن بن الحكم	104
مَقامِي	الكامل	الحصري القيرواني	50
قافية النون			
الزمَنْ	الطويل	ابن شكيل	65

وَسَنْ	الطويل	ابن شكيل	124
يمتهنْ	الطويل	ابن شكيل	82
المِحَنْ	الطويل	ابن شكيل	134 ، 159
وولْدانا	البسيط	المعتمد بن عباد	8
جَذْلانا	البسيط	المعتمد بن عباد	46
دَنا	البسيط	ابن عبد ربه	24
العَلَنا	البسيط	أبو حيان الأندلسي	58
زَمَنا	البسيط	أبو حيان الأندلسي	63
رنا	البسيط	أبو حيان الأندلسي	128
الأذنُ	البسيط	عبد الكريم القيسي	6
وَطَنُ	البسيط	عبد الكريم القيسي	27
الثمنُ	البسيط	عبد الكريم القيسي	135
الهَتِنُ	البسيط	عبد الكريم القيسي	162
أعْني	الطويل	أبو علي الإدريسي العبدري	7
قَان	الطويل	الحصري القيرواني	140
اللسان	مخلّع البسيط	الحصري القيرواني	167
امتحان	مخلّع البسيط	الحصري القيرواني	167
اللّحن	الطويل	أبو علي إدريس العبدري	7 ،147
قافية الهاء			
مأواها	الطويل	الجليس بن الجباب	143
ذكراها	الطويل	الجليس بن الجباب	146
رياها	الطويل	الجليس بن الجباب	142
ساهِ	مخلّع البسيط	الحصري القيرواني	88
سوسنِها	مجزوء الوافر	الحصري القيرواني	128
قافية الياء			
ثاويَا	الطويل	يوسف الثالث	32
قاشِيَة	المتقارب	ابن حمديس	22
الماضِيَة	المتقارب	ابن حمديس	53 ، 88
الوصيّ	الوافر	أبو محمد بن سارّة	41

المصادر والمراجع

1ــ **القرآن الكريم**

ــ ابن الأبّار ، أبو عبد الله محمد بن الأبّار (ت 658)هـ :

2ــ **تحفة القادم**، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1986م .

3 ــ **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق عبد السلام الهرّاس ، دار المعرفة ، الدار البيضاء ،د.ط ، المغرب ، د.ت .

4ــ **الحلّة السيراء** ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1985م .

5ــ **ديوانه** ، تعليق عبد السلام الهرّاس ، الدار التونسية ، د.ط ، 1985م.

6ــ **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد 594هـ** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، القاهرة ، بيروت ، 1989م .

ــ الأسد ، ناصرالدين :

7 ــ **القيان والغناء في العصر الجاهلي** ، دار المعارف ، ط2 ، مصر ، 1968م .

ــ الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430) هـ

8 ــ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1967م

ــ الأصفهاني الكاتب ، عماد الدين : (ت597)هـ

9 ــ **خريدة القصر وجريدة العصر** ،قسم شعراء الأندلس ، تحقيق آرزتاش آذزونوش ، الدار التونسية ، 1971م .

ــ الأصفهاني ، أبو فرج : (ت356)هـ

10 ــ **الأغاني** ، تحقيق لجنة من الأدباء ، الدار التونسية ، د. ط ، 1983م.

ــ ابن الإمام الشلبي ، عثمان بن علي بن عثمان (ت560)هـ :

11 ــ **المقتضب من كتاب سمط الجمان وسقط الأذهان** ، تعليق حياة قارة ، د.ط، 2002م .

ــ أنيس ، إبراهيم :

12 ــ **موسيقى الشعر** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، القاهرة ، 1986م.

ــ البخاري ،محمد بن إسماعيل (ت256) هـ :
13- صحيحه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وأحمد محمد شاكر ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، القاهرة ، 2004م .

ــ بديع الزامن الهمذاني :(ت398)هـ
14ــ **المقامات** ، قدّم لها وشرحها فاروق سعيد ، ط1 ، بيروت ، 1982م .

ــ التلمساني ، ابن أبي حجلة (ت776) هـ :
15 ــ **سلوة الحزين في موت البنين** ، تحقيق مخيمر صالح ، دار الفيحاء ، عمّان ، 1994م

ــ التنوخي ، عبد الباقي بن المحسّن :
16 ــ **كتاب القوافي** ، تحقيق عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان ، دار الإرشاد ، ط1 ، بيروت ، 1970م .

ــ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك (ت 429)هـ :
17 ــ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1983 م .

ــ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : (ت255)هـ :
18 ــ **الحيوان** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل،د.ط ، بيروت ، 1996 م.

ــ ابن جعفر ، قدامة : (ت337)هـ
19ــ **نقد الشعر** ، عنى بتصحيحه س .أ . بونيباكر ، مطبعة بريل ، ليدن ، د.ط، د . ت .

ــ الجمحي ، محمد بن سلاّم (ت231)هـ :
20ــ **طبقات فحول الشعراء** ، شرح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ،د.ط ، القاهرة،د.ت .

ــ الجيّار ، مدحت :
21ــ **الصورة الشعرية عند أبي القاسم** ، دار المعارف ، ط2 ، 1995 م .

ــ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت 852)هـ :
22ــ **تهذيب التهذيب** ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 1326هـ .
23 ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار إحياء التراث العربي ،د.ط، بيروت ، د.ت.

ــ الحجي ، عبد الرحمن علي :
24ــ **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**،دار القلم ،ط2 ،دمشق، 2008م.

ــ الحريري ، القاسم بن علي : (ت516) هـ
25 ــ **مقاماته** ، دار صادر، د.ط ، بيروت ، د.ت.

ــ أبو الحسن المدائني ، علي بن محمد (ت 228)هـ :
26 ــ **التعازي** ، تحقيق محمد الديباجي ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 2006 م.

ــ الحصري ، علي بن عبد الغني (ت488)هـ :
27 ــ **المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح** ، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط2 ، تونس ، 1974 م .

ــ أبو حمدة ، محمد علي :
28 ــ **في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية " دراسة نقدية إبداعية"** دار الجيل ، بيروت ، 1984م .

ــ ابن حمديس (ت527) هـ :
29 ــ **ديوانه** ، صحّحه إحسان عباس ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، 1960م.

ــ حمودة ، سليمان :

30 ــ **لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2002م.

ــ حوّر، محمد إبراهيم :

31 ــ **رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي** ، مكتبة المكتبة ،د.ط ، أبو ظبي ، العيْن ، 1981 م.

ــ الحميري، محمد عبد المنعم :(ت727)هـ

32 ــ **الروض المعطار في أخبار الأقطار** ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط2 ، 1980 م.

ــ أبو حيّان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت745)هـ :

33 ــ ديوانه : تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، ط1 ، بغداد ، 1969م .

ــ أبو حيان التوحيدي :

34ــ **البصائر والذخائر** ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، د.ط ، دمشق ، د.ت .

ــ ابن خاقان ، الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت 529)هـ :

35ــ **قلائد العقيان في محاسن الأعيان** ، تحقيق حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار، ط1، الأردن ، 1989م .

36ــ **مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس** ، تحقيق محمد علي شوابكة ، دار عمّار ، ط1 ، 1983م .

ــ ابن أبي الخصال، مسعود بن طيب (ت.540)هـ :

37 ــ **رسائله** ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، ط1 ، سوريا ، 1987م.

ــ الخطيب التبريزي (ت 502) هـ :

38 ــ **الكافي في العروض والقوافي** ، تحقيق الحسّني حسن عبد الله ، مطبعة المدني، د.ط ، القاهرة، د.ت .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت808)هـ :
39 ــ **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1971م.

ــ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681) هـ :
40- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ط د.ت .

ــ ابن خميس المالقي ، محمد بن محمد بن علي (ت639)هـ :
41 ــ **كتاب أدباء مالقة المسمّى مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأنوار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار** ،تحقيق صلاح جرّار، دار البشير ، ط1 ، الأردن ، 1999م .
42 ــ **أعلام مالقة** ، تحقيق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ودار الأمان ، ط1 ، بيروت والرباط ، ، 1999م .

ــ ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت 633) هـ:
43ــ **المطرب من أشعار أهل المغرب** ،تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين ، د.ط ،1933م.

ــ الذهبي ، شمس الدين (748ت)هـ :
44 ــ **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق نذير حمدان ، مؤسسة الرسالة ،ط7 ، بيروت ، 1990م.

ــ الرباعي ،عبد القادر :
45 ــ **الصورة الفنية في النقد الشعري ،دراسة في النظرية والتطبيق** ، دار جرير ، ط1 ، الأردن ،2009م.

ـ أبو الربيع الموحدي ، سليمان بن عبد الله : (ت604) هـ
46 ـ **ديوانه** ، تحقيق محمد بن تاويت وآخرين ، منشورات كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس، د.ط ، د.ت .

ـ الزركلي ، خير الدين بن محمود الدمشقي: (ت1396)هـ
47 ـ **معجم الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ، دار العلماء للملايين ، ط4 ، بيروت ، 1979م.

ـ الزواهرة ، ظاهر محمد هزّاع :
48 ـ **اللون ودلالاته في الشعر" الشعر الأردني أنموذجا"** ، دار الحامد ، ط1 ، الأردن ، 2008م .

ـ الزواوي ، خالد محمد :
49 ـ **الصورة الفنية عند النابغة الذبياني** ، الشركة المصرية للنشر ـ لونجمان ، دار نوبار للطباعة ، ط1 ، مصر ، 1992م.

ـ أبو سعد الآبي ، منصور بن الحسين (ت421)هـ :
50 ـ **نثر الدر** ، تحقيق محمد إبراهيم عبد الرحمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، 1987م.

ـ ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت 685)هـ :
51 ـ **اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية وآخرون ، القاهرة ، بيروت .
52 ـ **رايات المبرّزين وغايات المميزين** ، تحقيق محمد رضوان الداية ، التراث الأندلسي ، ط1 ،1987م.
53 ـ **المغرب في حلى المغرب** ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1997م .

ـ السيوطي ، جلال الدين (ت911) هـ :
54 ـ **مقاماته** ، تحقيق سمير محمود الدروبي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، د.ط، 2007م .

ــ شريفة ، محمد :
55 ــ **البسطي آخر الشعراء الأندلسيين** ، دار الغرب الإسلامية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1985م.

ــ ابن شكيل ، أحمد بن شكيل : (ت605)هـ :
56 ــ **ديوانه** ، تحقيق حياة قارة ، منشورات المجمع الثقافي ، ط1 ، أبو ظبي ، 1998م.

ــ شلق ، علي :
57 ــ **الشم في الشعر العربي** ، دار الأندلس ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1984م.
58 ــ **اللمس في الشعر العربي** ، دار الأندلس ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1984م.

ــ الشنتريني ، علي بن بسام (ت 542)هـ :
59 ــ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1997م .

ــ شوكت بهنام ، هدى :
60 ــ **مقدمة القصيدة في الشعر الأندلسي** ، دراسة موضوعية فنية ،دار الشؤون الثقافية العامة ــ آفاق عربية ، ط1 ، بغداد ، 2000 م.
ــ صالح ، مخيمر :
61 ــ **رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري** ، مكتبة المنار ، ط1، الأردن ، د.ت .

ــ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764)هـ :
62 ــ **نكت الهميان في نكت العميان** ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، القاهرة ، 2000م .
63ــ **الوافي بالوفيات** ، اعتناء بيرند راتكه ، دار فرانزشتايز شتو تغارت ، ط2 ، 1991م .

ــ الصمادي ، ساري علي :
64ــ **ظاهرة الحزن في الشعر الأندلسي في القرن الخامس للهجرة** ، 1990م.

ـــ الضالع ، محمد :
65 ـــ **الأسلوبية الصوتية** ، دار غريب ، د.ط ، القاهرة ، 2002م.

ـــ الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599)هـــ :
66 ـــ **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ، دار الكتاب العربي ،د.ط ، 1967م.

ـــ ضيف ، شوقي :
67 ـــ **الرثاء** ، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة .

ـــ العاني، محمد شهاب :
68 ـــ **أثر القرآن الكريم في الشعر العربي ، دراسة في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة** ، دار دجلة ، ط1 ، عمّان ، 2010م .

ـــ عباس ، إحسان :
69 ـــ **معجم العلماء والشعراء الصقليين** ،دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1994م .

ـــ أبو العباس القاضي ، أحمد بن محمد(ت1025)هـــ :
70 ـــ **ذيل وفيات الأعيان المسمى درّة الحجال في أسماء الرجال** ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة ، ط1 ، 1971م.
ـــ عبد الخالق ، أحمد محمد :
71 ـــ **قلق الموت** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1987م.

ـــ ابن عبد ربه ، أحمد بن عبد ربه (ت 328) هـــ :
72 ـــ **ديوانه** ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر ،ط2 ، دمشق ، سوريا ، 1987م.
73 ـــ **العقد الفريد** ، شرحه وضبطه أحمد أمين وآخرون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، القاهرة ، 1372هـــ .

ـــ عبد العزيز ، عبد المجيد :
74 ـــ **أعشاب القيد والقصيدة ،التجربة الشعرية عند المتوكل طه** ، مؤسسة الأسوار ،ط1 ، عكا ، 2003م.

ـــ عبد الكريم القيسي :
75 ـــ **ديوانه** ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات "بيت الحكمة"، د.ط ، تونس ،1988م.

ـــ ابن عذارى المراكشي : (ت695)هـ
76ـــ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق خ.س. كولان وإليفي بروفسال، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .

ـــ أبو عمشة ، عادل :
78ـــ **العروض والقافية** ، مكتبة خالد بن الوليد، ط1 ، نابلس ، 1986م.
ـــ عيد، أمجد :
79 ـــ **معجم الحكم والأمثال والأقوال الخالدة** ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمّان ، الأردن ، 2002م.

ـــ عياض ،عياض بن موسى بن عياض (ت544)هـ :
80 ـــ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة ودار مكتبة الفكر ، بيروت ، طرابلس .

ـــ الغبريني ، أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714)هـ :
81 ـــ **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت ، 1979م.

ـــ الغنيم ، إبراهيم بن عبد الرحمن :
82 ـــ الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، الشركة العربية للنشر ، السعودية ، د.ط 1415هـ .

ـــ ابن فارس ،أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395)هـ :
83 ـــ **الصاحبي** ، تحقيق أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ط ، القاهرة ، د.ت .

ـــ أبو الفتوح شريف ، محمد :
84 ـــ **الشعر وقوافيه " دراسة تطبيقية "** ، دار القلم ، ط1 ، دبي ، 1988م.

ـــ الفرزدق (ت 114)هـــ :
85 ـــ **ديوانه** ، دار صادر، د.ط ، بيروت ، 1966م.

ـــ ابن الفرضي ،أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403)هـــ :
86 ـــ **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس** ، عني بنشره وتصحيحه عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني بمصر ،ط2 ، 1988م.

ـــ فيدوح ،عبد القادر :
87 ـــ **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي** ، دار صفاء، د.ط ، الأردن ، د.ت.

ـــ القاسم ، عدنان :
88 ـــ **التصوير الشعري : التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية** ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1980م .

ـــ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت276)هـــ :
89 ـــ **المعارف** ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط2 ، مصر ، د.ت.
90 ـــ **الشعر والشعراء** ،تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، ط2 ، مصر ،د.ت .

ـــ القرطاجني ، حازم (ت684) هـــ:
91 ـــ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تقديم محمد الحبيب الخوجة ، دار الكتب الشرقية،د.ط، تونس ، 1966م.

ـــ القزويني ، الخطيب (ت 739)هـــ :
92 ـــ **الإيضاح في علوم البلاغة** ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب ، ط5 ، 1980م .

ـــ القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت646)هـــ :

93ــ **تأريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء** ، مكتبة المُثنى ببغداد ، ومؤسسة الخانجي بمصر ، د.ت.

ــ القيرواني ، الحسن بن رشيق (ت 456)هـ :
94 ــ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط، مصر ،د.ت .

ــ الكتبي ،محمد شاكر (ت 764)هـ :
95ــ **فوات الوفيات والذيل عليها** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

ــ لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبد الله (ت776)هـ :
96 ــ **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط1 ، القاهرة ، 1997م .
97 ــ **ديوانه** ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، ط1 ، 1989م .
ــ ابن المؤقت ، محمد بن محمد بن عبد الله : (ت1396)هـ
98 ــ **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية** ، تحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر ، ط1 ، مراكش ، 2002م.

ــ مؤلف مجهول:
99 ــ **لباب الألباب من نظم الشعراء ونثر الكتّاب "نصوص من الشعر والنثر في عصر الموحدين بالأندلس** " ، تحقيق حسن فليفل ، نسخة خاصة غير منشورة .

ــ المالقي ، أحمد بن عبد النور (ت702) هـ :
100ــ **رصف المباني في شرح حروف المعاني** ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مطبعة زيد ابن ثابت ، دمشق ، 1975م.

ــ المبرّد، محمد بن يزيد (ت276) هـ :
101ــ **التعازي والمراثي** ، تحقيق محمد الديباجي ، دار صادر ، ط2، بيروت ، 1992م .
102 ــ **الكامل في اللغة والأدب** ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .

ـــ محمد ، جليل حسن :
103 ـــ **الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام** ،دار دجلة ، ط2 ، 2009م.

ـــ ابن المرابط ، محمد بن علي بن عبد الرحمن : (ت633)هـــ
104 ـــ **زواهر الفكر وجواهر الفقر** ،دراسة و تحقيق حسن محمود فليفل ، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة ، ط1 ، الرياض ، 1997م .
ـــ المراكشي(أبو عبد الله الأنصاري) ، ابن عبد الملك :(ت703)هـــ
105 ـــ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، د.ط ، د.ت.

ـــ امرؤ القيس : (ت80) ق.هـــ
106 ـــ **ديوانه** ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة ، د.ت
ـــ المراكشي ، عباس بن إبراهيم : (ت1378)هـــ
107 ـــ **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام** ، المطبعة الجديدة ، طالعة فاس ، ط1، 1936م .

ـــ مسلم ،مسلم بن الحجاج القشيري (ت261) هـــ :
108 ـــ **صحيحه** ، مكتبة الثقافة الدينية ، طبعة جديدة ، القاهرة ، 2001م .
109 ـــ صحيحه ، شرحه أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت، لبنان ، 1996م .
ـــ م . عيد ، يوسف :
110ـــ الحواسية في الأشعار الأندلسية ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، د . ط، طرابلس ، لبنان ، 2002م .
ـــ المعتمد بن عباد (ت488)هـــ :
111 ـــ **ديوانه** ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد بدوي ، دار الكتب المصرية ، ط3 ، القاهرة ،2000م.

ـــ مفتاح ، محمد :
112 ـــ **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)** ،المركز الثقافي العربي،ط3 ، الدار البيضاء وبيروت ، 1992.

ـــ المقّري ،شهاب الدين أحمد بن محمد (ت1041)هـ :
113 ـــ **أزهار الرياض في أخبار عيّاض** ،تحقيق سعيد أحمد وعبد السلام الهرّاس ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة د.ط ، 1980 م.
114ـــ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، 1997 .

ـــ المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845)هـ :
115ـــ **كتاب المقفّى الكبير** ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت، لبنان ، **1991م** .

ـــ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت711) هـ :
116ـــ **لسان العرب:** تعليق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي،د.ط ، بيروت ، 1988م.
ـــ نبوي ، عبد العزيز :
117 ـــ **الإطار الموسيقي للشعر** ، ملامحه وقضاياه ، الصدر لخدمات الطباعة (سبسكو) ، مدينة نصر ، 1987م.

ـــ النقراط ، علي محمد :
118 ـــ **ابن الجياب الغرناطي حياته وشعره** ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ط1 ، بنغازي ، د .ت.

ـــ نوفل ، حسن :
119ـــ **أصوات النص الشعري** ، دار نوبار ، القاهرة ، 1995م.

ـــ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : (ت733)هـ
120 ـــ نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، ط2 ، القاهرة ، 2007م.

ـ أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله(ت395)هـ :
121 ـ **الصناعتين (الكتابة والشعر)** ، تحقيق مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1984 م.

ـ ياقوت الحموي ،أبو عبد الله شهاب الدين :(ت626)هـ
122 ـ **معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب** ،تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ،ط1 ، بيروت ،1993م .

ـ يوسف الثالث :
123 ـ ديوان ملك غرناطة ، تحقيق عبد الله كنون ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، القاهرة، 1965م.

الرسائل الجامعية

ـــ حامد بحر ،رباح :

1 ـــ **الشعر في مدينة شلب من عصر الطوائف حتى سقوطها** ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، 2009م .

ـــ الحبّازي ، مشهور عبد الرحمن :

2 ـــ **ديوان أبي الحسن بن الجياب دراسة وتحقيق** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 1982/ 1983م .

ـــ حسن عبد الرحيم ، رائد مصطفى :

3 ـــ **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2001م .

ـــ الزبيدي ، حسام عبد الكريم :

4ـــ **الصورة الشعرية عند ابن زيدون** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الهاشمية ، 2005م.

ـــ الزبيدي ، حسين نصر سالم حسين :

5 ـــ **شعر الرثاء السياسي في العصر الأموي** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2008م.

ـــ السعودي ، نزار جبريل إبراهيم :

6 ـــ **رثاء المرأة في الشعر الأندلسي** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2006م .

ـــ الشموط ، مهدي عواد :

7 ـــ **الرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2010م .

ـــ الصباري ، خميس بن ماجد بن خميس :

8 ـــ **فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية** ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ، 2006م .

ـــ العبد اللات ، فاطمة مفلح مرشد :

9ـــ **شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 2002م .

ـــ فاضل ، هاشم :

10 ــ **الحياة والموت في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين** ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، 1984م.

ــ فلاف عروات ، أحمد :

11 ــ **الحياة والموت في الشعر العربي** ، رسالة دكتوراة ، جامعة الجزائر ، 1993م.

ــ القاسم ، فدوى عبد الرحيم :

12 ــ **الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف** ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، 2002م.

ــ يوسف مصطفى ، محمود راشد :

13 ــ **الفخر عند يوسف الثالث** ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين، 2004م.

الدوريات

ـ الأحمد ، أيمن :

1 ـ **قصيدة الرثاء المبدوءة بالنسيب في الشعر الجاهلي** ، إربد للبحوث والدراسات، مج 8، العدد الثاني ، 2005م ، (201 ـ 221 ...)

ـ البغدادي ، مريم :

2 ـ **التأصيل الفني للبكائية القديمة في الشعر الجاهلي ، أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات "** ، المجلد 4 ، العدد1 ، 1986م ، (29 ـ 61)

ـ الحلحولي ، محمود :

3 ـ **الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي : قطري بن الفجاءة نموذجا** ، مجلة جامعة الخليل ، مج6 ، العدد1 ، 2011م.

ـ الرفوع ، خليل عبد سالم :

4 ـ **المنية في الشعر الجاهلي " دراسة في دلالاتها وصورها الاستعارية "** ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، مج 3 ، العدد 3 ، 2007 ، (107 ـ 105) .

ـ أبو سويلم ، أنور :

5 ـ **الاستسقاء في الشعر الجاهلي** ، مؤتة للبحوث والدراسات ، مج1 ، العدد 1 ، 1986م ، (71 ـ 105).

ـ أبو سويلم ، أنور :

6 ـ **مرثاة الخنساء الإنسانية (الموت ـ الثأر ـ الخلود)** ، أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات " مج 4 ، العدد 1 ، 1986م ، (7 ـ28)

ـ الشتيوي ، صالح علي :

7 ـ **الصراع بين الحياة والموت في شعر أبي فراس الحمداني** ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، مج 3 ، الدد4 ، 2007م ، (159 ـ 170 ...) .

ـ العدوان ، أحمد إبراهيم و عكاشة ، رائد جميل :

8 ـ **جدلية الحياة والموت في معلقة عبيد بن الأبرص ، قراءة تحليلية نصية** ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، مج5 ، العدد 3 ، 2009م ، (91 ـ 106).

ـ العماري ، فضل بن عمار :

9 ـ **المنية والأمنية : فكرة الموت في الشعر الجاهلي** ، مجلة جامعة الملك سعود ، مج 6، العدد 1 ، 1994م ، (3 ـ40) .

ــ العوادي ، الحبيب :

ــ قاسم ، نادر :

10 ــ **الخطاب الشعري في الرواية الفلسطينية " دراسة تطبيقية في روايات إميل حبيبي "** ، مجلة جامعة بيت لحم ، مج1 ، عدد 17 ، 1998م .

ــ المحاسنة ، علي ارشيد :

11 ــ **شعر الرثاء في حروب الردة دراسة موضوعية فنية** ، مؤتة للبحوث والدراسات ، مج 8 ، عدد2 ، 1993م (119 ــ 153...) .

ــ محمد صبري ، زينب :

12 ــ **الصورة الفنية في الشعر العربي خلال العهد العثماني** ، مجلة الأحمدية ، عدد 9 ، دبي ، 1422 ه ، (202 ــ 244) .

ــ الهدروس ، سالم :

13 ــ **صورة الجهاد في النثر الأندلسي زمن المرابطين** ، مجلة أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات " ، مج 13 ، عدد 2 ، 1995م ، 145 ــ 215)

ــ يوسف ، عبد الفتاح :

14 ــ **فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري للنقائض " نمط خاص في الوعي بالآخر "** ، فصول ، عدد 62 ، 2003م (30 ــ 39 ...) .

Abstract

Lamentation of the offspring and Forefathers in Andalusi Poetry Prepared

This study has included lamentation in the Andalusi Poetry directed to sons and forefathers in the age of Walis (governors) until the end of the age of Denny Al-Ahmar (95.897) Hejra, under the title " Thedeploration of sons and forefathers in the Andalusi poetry".

The study consisted of three main parts , each of which formed a complete chapter, lamentation, devotion and talking about life on earth, death and life-after .The lamentation and its meanings represented the first chapter, in which the poets melancholy and attitudes were shown, and which they have passed through by lamenting their offsprings and their forefathers by analyzing their poems with their meanings and balancing between the two sides and indicating what the lamentation of the Andalusi son or forefather stands for.

While the second chapter included the significance of lamenting used by Andalusi poets in lamenting their sons and forefathers in such a way as to make the dead victim worthy of the honor of lamentation and a cause for the lamenting person's pride. Hisloss of qualities that remained an pain that he tried to decorate by the best qualities through his poems or verse.

While in chapter Three ,the research focused on the significance employed for talking about life on earth, death and life after, each which affected the psyche of the lamenting person, and how it was a reason for his consolation and the acceptance of his crisis – dilemma, which included conceiving the fact of life and death and its quality and the fact that after life there are incidents that might be enough for poets' sermons

and Foresight far without restricting their thinking to the world's disasters.

Hence, this study depicts the poets switching ,from lamenting to the subjective meanings between the lamentation of the offspring and the forefathers. This is true in case of its existence, whether in similarity or difference.

While the last chapter; centered on recognizing the artistic properties of this poetry and perusing poets' ability to express their thoughts and meanings through the revelation of the special traits of their lamentation poems together with their adopted styles, and musical sense and poetic images, which all contributed to the formation of melancholic poems.

Hebron University

Faculty of Graduate Studies

Arabic language Department

Lamentation of the offspring and Forefathers in Andalusi Poetry Prepared

Prepared by

ManalMousa Ahmad Isma`eel

Supervised by

Dr. Hassan FleiFel

Associate Professor of Andalusi an Literature

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of arts in Arabic language literature, College of graduate studies academic research, Hebron University.

1434.H. – 2013 A.C.